حتى لا تذبل قيمنا

محمد بن أحمد الرشيد

العبيكان
Obeikan

obeikandl.com

ح مكتبة العبيكان، ١٤٣٥هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الرشيد، محمد أحمد

حتى لا تذبل قيمنا./ محمد أحمد الرشيد -ط٣. - الرياض، ١٤٣٥هـ

٣٠٤ ص؛ ١٤ × ٢١سم

ردمك: ٣-٦٧٣-٥٠٣-٦٠٣-٩٧٨

١- الثقافة العامة. أ- العنوان

ديوي ٠٣١ رقم الإيداع: ١٤٣٥/٢٣٩٣

حقوق الطباعة محفوظة للناشر

الطبعة الثالثة

١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م

الناشر العبيكان Obeikan للنشر

المملكة العربية السعودية - الرياض - المحمدية - طريق الأمير تركي بن عبدالعزيز الأول

هاتف: ٤٨٠٨٦٥٤ فاكس: ٤٨٠٨٠٩٥ ص.ب: ٦٧٦٢٢ الرياض ١١٥١٧

موقعنا على الإنترنت

www.obeikanpublishing.com

متجر العبيكان Obeikan على أبل

http://itunes.apple.com/sa/app/obeikan-store

امتياز التوزيع شركة مكتبة العبيكان Obeikan

المملكة العربية السعودية - العليا - تقاطع طريق الملك فهد مع شارع العروبة

هاتف: ٤١٦٠٠١٨ /٤٦٥٤٤٢٤ - فاكس: ٤٦٥٠١٢٩ ص. ب: ٦٢٨٠٧ الرياض ١١٥٩٥

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

obeikandl.com

obeikandl.com

فهرس المحتويات

الموضوع الصفحة

تقديم الطبعة الثالثة ٩

تقديم الطبعة الثالثة ١١

الإسلام مصدر للقيم كلها ١٥

النقد الذاتي، والتفكير الإيجابي........................ ٢٠

الوسطية والاعتدال ٢٧

لا.. لا للتحلل والتسيُّب ٣٣

التكافل الاجتماعي ٣٩

دفاع الإنسان عن أخيه ٤٦

أدب الحوار ٥٢

مبدأ المقنع الكندي ٥٩

أمانة الكلمة........................ ٦٦

الإخلاص ٧٦

وهكذا.. ترأَّسهم الصَّادقُ الأمين........................ ٨٣

حُسْنُ الظن ٩٠

العدل........................ ٩٧

التواضع.. لا التكبر سمة المؤمنين ١٠٤

الحياء ١٠٩

الكرم سمة الكرام ١١٦

أطفالنا والقيم الدينية........................ ١٢١

أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً ١٢٧

obeikandl.com

عود الجمع ورأبُ الصَّدع ١٣٢
الوفاء، والعرفان.......................... ١٣٨
إن لم تكن صادقاً معي فلست صديقي.. .... ١٤٤
يا قوم.. هذا هو الوقت.. فاغتنموه.................. ١٤٩
النظافة والنظام.......................... ١٥٤
المُرُوءَة ١٥٩
الرَّحْمَة................................ ١٦٥
مَن حُماةُ الفضيلة؟ وما مسؤولياتهم؟ ١٧٢
يا حسرتاه.. هل ضاع الصدق؟! ١٨١
الحب الكبير الطاهر..هل أنت من أهله؟!............... ١٨٦
كرامة الإنسان.. هل هناك اليوم ألزم من الدعوة إلى حفظها؟.... ١٩١
فلنكافح النفاق؛ لأنه من صور الفساد ١٩٦
صناعة الإنسان أهم من صياغة الكلام................. ٢٠١
وهكذا.. تتحقق سيادة أهل القيم ٢٠٦
الجود المخلص، والعطاء الكريم...................... ٢١٠
الحق معهم، وما أحرى أن نتأسَّى بهم.................. ٢١٦
الحرية ٢٢٠
العفْوُ والتسامح.......................... ٢٢٤
المسلم الحق لا يعاني أزمة شك ٢٢٨
الإيثار ٢٣٢
حق الجار والجوار......................... ٢٣٦
﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾ ٢٤٠
فلنجعل الصبر ديدننا ٢٤٤

obeikandl.com

التعاون ٢٤٩

التفاؤل ثقة بالله فلا للتشاؤم ٢٥٣

إصلاح ذات البين ٢٥٧

البشاشة ٢٦١

السلام عليكم ٢٦٥

تقدير الكبير سِنّاً وقَدْراً ٢٦٩

ما أعظم حق الوالدين! ٢٧٣

وللبنوة حقوقها ٢٧٧

أبناؤنا أكبادنا تمشى على الأرض ٢٨١

صلة الرحم ٢٨٤

المال مال الله ٢٨٨

العمل قرين الإيمان ٢٩٢

وأخيراً.. سمو قيمنا فوق كل ما جاءت به القوانين ٢٩٦

الخاتمة ٣٠١

obeikandl.com

obeikandl.com

تقديم الطبعة الثالثة

كنت في حديث مع صديق عربي لي خارج الوطن، وحدثني عن مشروع له يتمثل في إصدار كتاب له يتضمن سيرته الذاتية، والمبادئ والقيم التي عاش عليها، ويحيا على منهاجها، وقد أبدى رغبته في أن أزوده بنسخة من كتابي (حتي لا تذبل قيمنا) الذي سمع أحاديث عنه، ولم يسعد بقراءته، فوعدته بتحقيق رغبته فور عودتي إلى الوطن، ولكنى فوجئت بنفاد كل النسخ من الطبعتين السابقتين، سواء عندي أو في المكتبات كلها، ما كان حافزاً لي قويّاً على إصدار هذه الطبعة الثالثة.

وفي مراجعتي لهذا الإصدار وجدت أن هناك قيماً أخرى لم أتحدث عنها والحمد لله أن قيمنا في ديننا وحياتنا كثيرة لا حد لها.

فأضفت ما استطعت الكتابة عنه من هذه القيم في هذه الطبعة الثالثة، وهناك كثير، فليس بإمكان كتاب كهذا استيفاء كل القيم.

إن إضافة قيم أخرى لما سبق في الطبعتين السابقتين يضفي عليّ سعادة مصدرها أن هناك والحمد لله من يهتمون بالقيم والمثل العليا في قرائنا وبين أهلينا، وعسى أن أحقق بما تحدثت عنه من قيم عليا في ديننا وحياتنا المزيد من معرفة للقيم العليا والتمسك بها بين كثير من الناس هنا وهناك.

إن انتشــار التمسـك بالقيم والعمل بها دليـل على رقي الحياة الإنسـانية والاجتماعية في كل حدود حياتنا من تعاملنا مع صغارنا، حتى أعلى المستويات في كل صور التعامل مع الجميع حولنا.

هـذا، وهنـاك قيـم عليا أخـرى أسـأل الله تعـالى أن يوفقني للحديـث عنها في طبعة لاحقة، ذلك أن هنـاك الكثير والجميل من القيم التي يزخر بها منهاج ديننا القويم لو تمسكنا بها جميعاً فهماً وعملاً، وتطبيقاً عمليّاً في تعاملاتنا لحققنا المثالية المرغوبة بيننا.

محمد بن أحمد الرشيد

١٤٣٥هـ - ٢٠١٣م

obeikandl.com

تقديم الطبعة الثانية

هـذه هي الطبعة الثانية لهذا الكتاب العزيز عليّ الذي أضفت إليه تسع عشرة قيمة من قيمنا العظيمة بعد نفاد الطبعة الثانية التي تطرقت فيها للحديث عن أكثر من ثلاثين قيمة من قيمنا العظيمة وما أكثرها إذ إنني كلما أمعنت النظر في قيمنا وجدت فيها الجديد والجميل المثالي، فأضفت هذه التسع عشرة قيمة في هذه الطبعة الثالثة.

وأشعر بكثير من الأسى أن كثيراً من قيمنا قد أهمل من بعض المتهاونين في التحلي بهذه القيم التي لو تمسكنا بها جميعاً، وجاء سلوكنا على نهجها لكنا الأمة المثالية حقاً، ولما أصابنا هذا الوجع المتعدد الألوان الذي تعانيه الأمة الإسلامية اليوم.

كان هذا عنوان إصدار سابق منذ سنوات عدة، ولأن القيم اليوم تحتاج إلى دعم أكثر وتمسك أقوى ما دعاني إلى التوسع في الحديث عن القيم أكثر مما كان عليه الأمر في الإصدار الثاني إدراكاً مني أن القيم السامية لا حدود لها في حياتنا، ولا استغناء عنها في تعاملاتنا، وهي ما يميز ديننا الإسلامي وهو مصدر لكل القيم التي تُسعد حياتنا.

إنه في خضم التيارات المتلاطمة، والأحداث المتلاحقة، والأعاصير العاصفة التي يمرّ بها كوكبنا الأرضي، والتي لا يمكن أن تنفصل أو تنعزل عنها بلادنا ومجتمعاتنا يرى المتأمل لأحوال

الناس أن كثيراً من الأصول والمبادئ، والثوابت الدينية، والأخلاقية، والفكرية يغشاها اليوم الغبش، فلا يُبصرها الناس كما ينبغي أن يبصروها، فتغيب وتنسى، وفي هذا من الخطر الداهم على الفرد والجماعة، وعلى الصُّعُد كافة ما يُقلق بال العقلاء، ويقضّ مضاجع الحكماء، خشية وخوفاً.

وقد رأيت بعض هذه المبادئ قد غابت عن بعض الأذهان، فكتبت صفحات بعنوان: (هكذا تعلمت الإسلام) نُشرت في أكثر من مطبوعة، ثم أحسست بالحاجة إلى إضافة أفكار أخرى إليها، وهذه الصفحات تضمّ هذه وتلك جميعاً.

معلوم أننا جميعاً ولِدنا والحمد لله في بيئة مسلمة، من آباء وأمهات مسلمين ولم يكن الإيمان في نفوسنا قابعاً في زوايا باردة أو مظلمة، بل كان دافئاً موّاراً بالحياة، ثم كانت بيئتنا التعليمية غنيَّة بالمواد الدينية التي أصَّلتْ مشاعرنا على أسس علمية وحقائق إيمانية، فزدنا بفضل الله إيماناً يوماً بعد يوم، وهذه والله نعم لا يمكن أن يؤدّي حقّها حمد ولا ثناء.

ويعود ذلك الخير إلى أننا تعلّمنا ونحن يافعون أن مصدرنا الأول في التلقي هو كتاب الله المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تليه السُّنّة المطهرة الصحيحة، التي أفنى في خدمتها جهابذة العلماء، على مرّ القرون أعمارهم لينقّوها لنا ويوثِّقوها، وتعلمنا أننا نأخذ أفهام أئمتنا الأعلام للكتاب والسَّنة باحترام لائق، لكن لا يصل إلى درجة التقديس لأي منهم.

obeikandi.com

ونحاول في الوقت نفسه أن نفهم الدليل؛ حتى نكون مقتدين ومتَّبِعين على بصيرة فلا نضع فهمَ النص في مرتبة موازية للنص، ولا نتعصب لقول إمام من الأئمة الأعلام، ولكن نحترمهم جميعاً.

وها أنذا.. أقدمها للقارئ الكريم في هذا الإصدار الجديد؛ إبراءً للذمة، وقياماً بواجب البيان الذي يمليه عليّ معتقَدي وخلقي مردداً مع نبي الله شعيب عليه السلام ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].. والحمد لله أولاً وآخراً.

محمد بن أحمد الرشيد

ربيع الأول ١٤٣٣هـ - فبراير ٢٠١٢م

obeikandl.com

obeikandl.com

الإسلام مصدر للقيم كلها

في المناسبات الدينية كلها، كشهر رمضان، وأيام الحج، وعيد الأضحى المبارك نعيش نحن المسلمين قدر الجهد متمسكين بالقيم الإسلامية النبيلة التي أوجبها الله علينا، وجاء رسوله الحبيب محمد ﷺ قدوة حسنة في الالتزام بها.

وكل هذه القيم تلتقي في رحاب الإسلام الذي لا دين عند الله سواه، وكم هو حري بالمسلمين أن يستمروا على التمسك بهذه القيم والفضائل طوال أيامهم وسائر أحوالهم وليس في المناسبات الدينية وحدها. ولأن الدين عند الله الإسلام.

لذا، فإن الإسلام هو منهج الحياة الأسمى، وهو الصراط المستقيم إلى الله خالق كل شيء، وهو دعوة التوحيد التي لا حياد عنها.

وإذا كانت لنا قيم عظمى نتمسك بها، فليست هناك قيمة أعظم ولا ألزم لنا من التمسك بتعاليم الإسلام في كل شؤون حياتنا. بل إن قيمنا كلها تنبع في أصولها من الإسلام، وكل ما عند العرب من قيم كريمة حتى قبل الإسلام فإن الإسلام قد أقرها، وتبنى ما هو عظيم منها.

يقول رسولنا ﷺ: «**إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق**».

هذه الأخلاق، وهذه القيم تتمثل في البشاشة، وحب الآخرين، وحسن الظن بهم ومشاركاتهم في السراء والضراء.

openkanar.com

ليت هؤلاء المقطبين في وجوه الناس، والذين لا يحسنون الظن بالآخرين يدركون أن هذا ليس من قيم الإسلام.

الإسلام يتسم بالقدرة على استيعاب الحياة بكل جوانبها، والحل لجميع مشكلاتها الحالية والمتجددة؛ لأنه منهج البشرية جمعاء، أرسى مصدره الإلهي في قواعده وأصوله من سعة الآفاق، وكلية الإحاطة، ما جعله عالميّاً، قادراً على الحياة والعطاء والإبداع.

وإذا كان تصور الفكر المادي للإنسان والحياة تصوراً ضيقاً يتجاهل المعاني الروحية، ويجعل هذه الحياة هي البداية، وهي النهاية، وهي الغاية وبذلك تبقى الغرائز في الإنسان مشدودة إلى حيوانيتها، بدلاً من السمو بها إلى آفاقها الإنسانية، فإن التصور الشامل للحياة يربط المادة بالروح، ويربط الحياة الدنيا الزائلة بحياة خالدة هي الغاية، وبذلك يرتبط الإنسان بالله، فتسمو غرائزه، ويعود إلى الصورة المثالية التي أرادها الله له، ويستقيم في كل عمل يعمله.

هكذا تكون كل تصوراتنا للإنسان والكون والحياة منبثقة من التصور الإسلامي الشامل، وأن ننهج في حياتنا العملية سلوكاً مستقيماً يؤكد هويتنا الإسلامية، انطلاقاً من الثقة المطلقة بشمولية المنهج الإسلامي، الذي نظم عمليّاً علاقة الفرد بنفسه وعلاقته بخالقه، وعلاقته بأسرته، وعلاقته بمجتمعه، وعلاقاته السياسية، والاقتصادية والثقافية.

وانطلاقاً من إيماننا بشمول المنهج الإسلامي نرى أن أهم المرتكزات التي تقوم عليها الحياة العملية هي العودة إلى المنابع

الصافية للعقيدة، كتاب الله وسنة رسوله ومقاومة البدع الفاسدة، والأباطيل الدخيلة على الدين، ومقاومة نزعات الذين يحاولون عبر إعلامهم إضعاف الوعي الديني الصحيح لدى الناس، أو إدخالهم في متاهات التأويلات التي لا تخلو من سوء المقصد وزيف الحقيقة. ذلك لأن الإسلام دين شامل لشتى المعاملات، جامع لكل العلاقات الشخصية، والاجتماعية، والعالمية متمثلة في:

- علاقة الإنسان بالله: وتتمثل في الإيمان الصادق الذي يربطه بالقيم الأخلاقية، وفي إقامة العبادات، والشعائر، واحترامها لقيم الاتصال الدائم المتجدد بالله، وهو اتصال يتم مباشرة دون واسطة بشرية، كما هو الحال في بعض المعتقدات (زعماً باطلاً).
- وفي مجال علاقة الإنسان بمجتمعه الذي يعيش فيه، فإن سمو العلاقات في مراقبة واعية تروض الغرائز الذاتية، وتقيدها بالقيم الأخلاقية التي ندعو ألاّ تذبل أبداً تلك القيم التي تشكل معايير استقامة البنية الاجتماعية والتي تدعو أن تكون مصلحة المجتمع فوق مصلحة الفرد: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]، وتدعو إلى المساواة والتعاون: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢].

ومن أعظم قيمنا الإسلامية أيضاً سمو العلاقات بالكون والأشياء، ذلك السمو الذي يتمثل في التفكير الذي يحرر العقل من الأوهام، والخرافات، والانغلاق، ويطلقه مفكراً في ملكوت الله، ذلك لأن التفكير، وطلب العلم، والمعرفة، والإتقان، والإبداع أمور تُعدّ في الإسلام فريضة ترقى إلى مستوى العبادة.

﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾ [الأعراف: ١٨٥]. وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [آل عمران: ١٩٠].

ومن القيم السامية في الإسلام قيمة علاقة الإنسان بالمال، المال الذي هو عصب الحياة، وهو الشهوة الكبرى التي تحرك حياة الناس، وهو سر الصراع العالمي اليوم.

وسمو قيمة المال يتمثل في أساس أكده الإسلام، وهو أن المال مال الله، وأن الإنسان مؤتمن عليه، ومستخلف فيه: ﴿ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾ [الحديد: ٧]. إذ لا يجوز احتكار المال أو كنزه، وحبسه عن تحقيق النفع والخير العام: ﴿ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ ﴾ [الحشر: ٧]. لكن مع وجوب الاستقامة في التصرف في المال: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٧].

ومن أبرز قيمنا الإسلامية الاهتمام بالأسرة؛ إذ يبدأ الإسلام برعاية الأسرة باعتبارها نواة المجتمع، وإعداد المرأة إعداداً يمكنها من القيام برسالتها العظيمة في البيت بوصفها أماً فاضلة، ويمكنها من مشاركة الرجل في التعليم، والعمل، وبناء الحياة في المجالات التي تتفق وأنوثتها، والتي تستطيع أن تبدع فيها: «**النساء شقائق الرجال**».

واهتمام الإسلام بالتربية والتعليم وفقاً لمنهج يساير التقدم العلمي، وإعداد الشباب إعداداً روحيّاً، وبدنيّاً، وعلميّاً، وأخلاقيّاً يمكنهم من تحمل المسؤولية بجدارة. ويهتم بالثقافة والإعلام؛

obeikandl.com

لتعيش كل أجهزة الدولة وكل فئات المجتمع واعية متمكنة متطورة مع الحياة.

فتتآزر كل مؤسسات التعليم مع وسائل الإعلام في إيجاد جيل نابض بالحيوية مدرك للمسؤولية، واعٍ بمهماته تجاه دينه ووطنه، مدرك أنه ينتمي لخير أمة أخرجت للناس يملك الطموح لأن يكون إسهام وطنه في الرقي الإنساني والتطور العلمي ماديّاً ومعنويّاً إسهاماً يليق بخيرية هذه الأمة، وقدسية هذا الوطن الذي يعتز به.

هذه لمحات من قيم ديننا الإسلامي، منهجنا العملي الدائم الذي لا بديل عنه.

وكل هذه القيم، وما يتصل بها هو مجموع الأسس والدعائم التي ندعو الله أن يمدنا بالثبات عليها، والتمسك بها، وحمايتها من عواصف العصر المدمرة، وأن يزيد تعهدنا لنموها؛ حتى لا تذبل قيمنا هذه أبداً.

obeikandl.com

النقد الذاتي، والتفكير الإيجابي

نعلم أن النقد هو بيان أوجه القوة والضعف في مكونات أي شيء أو أي عمل، ولا نصل إلى الحكم إلا بعد الفحص، والدراسة، ومعرفة النتائج؛ لذا فإن الموضوعية توجب على الإنسان الوقوف مع نفسه، وتدبر أعماله، والتأمل في سلوكياته وعلاقاته ليعرف مدى نجاحه أو إخفاقه، وبعد ذلك يعمل على تعزيز نقاط القوة فيما هو مُقْدِم عليه من أوجه نشاطه وعمله، والتخلص من نقاط الضعف إن وجدت.

ومعلوم أنه لا تصفو نفوس بني آدم لتكون خيراً محضاً، إلا نفوس الأنبياء عليهم السلام، ثم يأتي بعدهم الصّديقون، أما مَنْ عَدَاهم فلا يتنزهون عن الخطأ والهوى، ونحن البشر فينا خير قد يقلّ أو يكثر، والحكمة تقتضي الاستفادة من أي جانب إيجابي خيِّرٍ؛ مهماصغر عند أي شخص مراده خدمة دينه، ووطنه، ومجتمعه، حتى إن كانت لديه جوانب أخرى من التقصير أو القصور بمعنى أن نركز على كل إيجابية مهما كانت صغيرة.

ومعلوم كذلك أن: «**كل بني آدم خطَّاء**» كما جاء في الحديث الشريف، فقد يظهر للمرء خطؤه، وقد يخفى عليه؛ لذا فمن الضروري أن يراجع الفرد، والجماعة، أنفسهم وسلوكهم، وتصرفاتهم، وأعمالهم لتمييز الخطأ من الصواب، وتصحيح الطريق لنسير على معطيات المراجعة والفحص: «**كلكم خطاؤون وخير الخطائين التوابون**».

لهذا، فلا نتوقع من بني البشر مثالية مطلقة في السلوك والأخلاق، وفي أمثالنا العربية المأثورة: «لكل إنسان هفوة ولكل جواد كبوة» ففي الوقت الذي نتلمس فيه الصواب لا نغالي في التوقعات بأن أحداً مهما كانت حكمته لا يخطئ.. ألم يقل عمر بن الخطاب ذات مرة: «أصابت امرأة وأخطأ عمر».

إن الحكيم لا ينتظر النصيحة حتى تأتي إليه، بل يطلبها، وهذا يشبه وُقُوفه أمام المرآة يتفقد مظهره، ويصلحه تبعاً لما يراه، وهو لا ينتظر المرآة حتى تأتي إليه، وإلى هذا أشار النبي ﷺ بقوله: «**المؤمن مرآة أخيه**».

إن المجتمعات التي تؤصل النقد الذاتي تفلح؛ لأنها لا تكرر الأخطاء التي تقع فيها، سواءً على مستوى الفرد أو على مستوى الجماعة، وهذه إحدى فوائد دراسة التاريخ دراسة متأنية للتعلّم منه، واستلهام العبر من أحداثه، وما أعظمها من فائدة عبَّر عنها الشاعر الحكيم بقوله:

ومَنْ وَعَى التاريخ في صدره — أضاف أعماراً إلى عمره

ولقد وجدت من التأمل في الناس، وفي الحياة، وفي تجارب الحاضرين والغابرين أن التفكير السلبي لا يأتي بخير، وأعني بالتفكير السلبّي: إنفاق الوقت في التفكير بالجوانب السلبية، والحزن عليها، والتشاؤم بسببها، ما يدعو إلى القعود والتواني. أما التفكير الإيجابي فهو الذي يدعو إلى التفاؤل، والتبشير، وإذا صادف صاحبُه خطأ أو عقبة واجهها وفي قلبه الاعتماد على الله، والثقة بأن لكل مشكلة حلاًّ، ولهذا فإني بقدر ما أركز على (النقد

الذاتي) أصـرّ على ألا يتحول إلى (جَلْد للذات)، وأعني به: المبالغة في الشـعور بالذنب، ومعاقبة النفس، وإهانتها، وتهوين شأنها، حتى تقتنع بأنه ليس بإمكانها أن تتسلم زمام التغيير.

روى الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيحه، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال: رسول اللّه ﷺ: «**المؤمن القوي خيرٌ وأحبّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تَعْجِزْ، وإن أصابك شيءٌ فلا تقل: لو أني فعلت كذا، كان كذا وكذا، ولكن قل: قَدَّر اللهُ وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان**».

إن تاريخنا الإسـلامي حافل بالصـور المشـرقة المشرفة للنقد الذاتـي، وإنـه لا يضـيق به من يخلص في طلب الصـواب، وها هو النموذج الخالد في طلـب النقد الذاتي جاء في خطبة الخليفة الأول أبي بكر الصـديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حـين تولى الخلافة أعلـن في أول خطبة له رغبته في معرفة كل شـيء عـن أعماله، قال: «إني قـد وُلِّيت عليكم ولسـتُ بخيركم، فإن رأيتمـوني على حق فأعينـوني، وإن رأيتموني علـى باطـل فقوموني أطيعـوني ما أطعـت اللّه فيكم، فإن عصـيته فـلا طاعـة لي عليكـم».. حق لـك أيها الخليفة يا صـاحب رسـول اللّه وصـاحب هذه المقولة النبراس مع أنك لو وُضِـع إيمان الأمة في كفـة وإيمانـك في كفـة لرجحـت كفتـك كمـا قـال عنـك الحبيب المصطفى ﷺ نعم، حُقَّ لك أن تكون المثال الحيّ للنقد الذاتي الحر.

وفي قولـه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أطيعـوني مـا أطعت اللّه فيكـم» معيار عملي للنقـد الذاتـي الحقيقـي؛ فهو نقـد للأعمـال.. للسـلوكيات لا نقد للمظهر، والملبس، والشخصيات وذاتي التصرفات.

من ذلك نعـرف أن النقد الإيجابي هو الذي يتناول ما نقوم به من أعمال، ومـا نقدمه للآخرين، وما بيننا من علاقات، وليس فيه النقد الشخصـي الانفرادي للذاتيات.. وفي النقد العملي يجب على الناقد الحصـيف ألاّ ينقد عملاً يراه مقصـراً أو مخالفاً إلاّ إذا أتى هو بما هو أفضـل، خالٍ مما رأى من عيـوب؛ لأن الحكمة تقول: إذا عبت أحداً وتأكدت من قيامه بما تراه عيباً أو لم يعجبك عمل، فقدم الدليـل على ما تقـول، والتصـويب العملي كما تريـد، وبذلك يكون النقد الإيجابي قيمة إسـلامية ونظرية عملية رفيعة المسـتوى؛ ننقي بها حياتنا، ونقوِّم بها أعمالنا مما قد ينتابها من نقص أو تقصير.

من هنا، فإن دراسة نتائج الحروب والمعارك بعد انتهائها نصراً أو هزيمـة على سـبيل المثـال إنما هي في الحقيقة تفكـير إيجابي؛ فالدولة المنتصـرة تعرف أسـباب نصـرها وتحرص علـى دعمها، والمهزومة تعرف أسـباب الهزيمة وتتلافاهـا، وتعد العدة للإيجابي في استعداداتها مثلما تفعل الدولة المنتصرة.

الإيجـاب في كل الأمـور هـو الخير، والسـلب نقص، وقصـور، وتخلـف، ومرض، والتفكـير الإيجابي قـدرة وكفاءة، وشـعور قوي صـادق بالـذات، والسـلبي ضـعف وانحسـار وخذلان، وكسـر لقوة النفس، وتثبيط لهمتها، وقد يؤدي إلى ضياع كل خير يأتي إليها.

لا تقل: إني لن أقدر على عمل هذا الشـيء.. بل قل: سـأحاول، واعتمد على الله، وابذل الجهد صادقاً، وحتماً ستصل.

واعتمد على الله، وابذل الجهد صادقاً، وحتماً ستصل.

وحين تنتقد فلا تركز على نقاط الضعف؛ فتحبط من تنتقده وتقوض عمله، بل أبرز الجوانب الإيجابية، وبيّن ما تراه ضعفاً، شارحاً الأسباب ومبيناً طرق الخلاص منها.

فلا يوجد إنسان إلا وفيه أوجه خير وفيه غير ذلك.. فالكمال للّه وحده، ولا يوجد عمل إلا وفيه جوانب جيدة، وجوانب ضعيفة؛ لأنه يبقى في طبيعته عملاً إنسانيّاً.

الصادقون المخلصون لا يتوانون عن النقد البناء إذا ما رأوا حاجة لذلك، وصاحب الرأي لا يتورع عن طلب المشاركة فيه مهما كان عمله، أو كانت حكمته والدعوة إلى نقد ما يرى رغبة في توخي الصواب، ووصولاً إلى ما هو أقرب للكمال.

ألم يقدِّم أصحاب رسول اللّه رضي الله عنهم الرأيَ إلى نبيهم الموحَى إليه من السماء، وهم يعلمون أنه لا ينطق عن الهوى.. أن ينزل في غزوة بدر عند موقع غير ما رآه صلى الله عليه وسلم ونزل الرسول على رأيهم، وكان النصر حليفهم تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

إنه درس عملي لنا نحن أتباع رسول اللّه صلى الله عليه وسلم أن يكون من قيمنا إبداء الرأي فيما نراه صواباً.. لا نجامل رئيساً ولا نداهن مديراً.. فالحق أحق أن يتبع.

إني لأجد أن إبداء الرأي في الأمور ذات العلاقة بالصالح العام واجب ديني.. وحين يرى المرء أمراً واجب الأداء.. فالدين يحتم عليه إبداء ذلك ولا يكتمه لما قد يكون من سوءٍ وظلمٍ إذا لم يتحقق؛ فالساكت عن الحق وإبداؤه شيطان أخرس والحديث الشريف

يكلفنا بذلك حين يقول: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده.. فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»، لكن النقد يكون بلطف ومراعاة للموقف، وعدم المجاهرة بنقد الخطأ والتشنيع، بمن أخطأ، وإنما يرشده إلى الصواب سرّاً بينهما، والحكمة تقول: «رحم الله امرءاً أهدى إلي عيوبي».

ما أعلى صوت التصفيقات في ندواتنا، واجتماعات المسؤولين في مصالحنا تصفيقاً حارّاً، وما أكثر المباركين والمهنئين بروعة ما قاله المتحدث، أو قرره المسؤول، والحقيقة أنهم في كثير من الأحيان قد نافقوا وضللوا، وارتكبوا في حق الخير والناس، والوطن آثاماً كبيرة بهذا النفاق المصطنع.

وفي المقابل كم شَوَّهَ المغرضون الحاسدون صورة أعمال عظيمة.. ونددوا برجال مخلصين ابتغوا الحق، ووجه الله، ونفع الوطن والناس فيما يعملون.

وبعد هذا كله أدعو للتركيز على الإيجاب وتوخي الصدق، والدفاع عن الحق ونصرة صاحب الصواب، وأقول: إن كل من يعمل في أي مجال عليه أن يحاول تحقيق نجاحات مهما كانت صغيرة في موقعه، فأشد ما تحتاج إليه بلادنا في حقبتها الحالية ليس التطلع للوصول إلى النجوم، بل قطع مسافات وإن كانت قصيرة في رحلتنا على الأرض نحو أهدافنا السامية.. فالنجاح وحده يدعو إلى النجاح، ولنفتح صدورنا للحوار وللنقد الإيجابي البناء، فليس أنفع لحل المشكلات إن وجدت من اجتماع العقول، ولنحاول أن نلتمس في الحاضر عناصر قوة فننميها، ومواطن نجاح فنشيد بها، وأخاً

يبذل ذوب النفس فنبارك خُطاه ونسـانده، وموقعاً يمكن أن يتسارع بخـبرة نمتلكها، فنسـرع جميعاً بالتطـوع بها، ففـي الأزمات حين وجودها يظهر الخلق الكريم على أنه أنجح المساهمات لانفراجها.

لذا، فإني أدعو دائماً إلى التحرك على علم، والتحاور عن حب، والعمـل في ظـل التعاون والتآزر، والثقة: ثقـة اليقين أن الله الرحيم الرحمن العادل لا يضع أجر من أحسن عملاً.

obeikandl.com

الوسطية والاعتدال

- الصلاة الوسطى هي صلاة العصر؛ لتوسطها بين صلاتي الليل والنهار، والوسطى هي الفُضلى.
- وفي الوسط الذي هو الأفضل، جاء وصف الله تعالى لأمة المسلمين المؤمنين: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].. أي أمة عدولاً وخياراً.
- وقال رسول الله ﷺ: «**وسِّطُوا الإمام، وسدُّوا الخلل**».
- وسط الرجل وسَاطةً صار شريفاً وحسيباً، فهو وسيط فيهم، أي أوسطهم نسباً، وأرفعهم مجداً.

إن الوسطية في أدق معانيها هي القمة أليست الشمس أزهى وأقوى نوراً وحرارة في وسط النهار؟ أليس القمر أكمل نوراً واستدارة في وسط الشهر؟ وعلينا ألاّ نتوهم أن الوسط كما هو شائع عند كثير من الناس أنه «بين بين» أي بين الرديء والجيد، وقد يكون هذا المعنى صفة لبعض الأشياء، لكن المعنى الأصلي والحقيقي للوسطية هو الجوهر والقمة.

- واسطة القلادة الجَوْهَرُ الذي في وسطها، وهو أجودها، قال الشاعر لما توفي ابن له أوسط أولاده: توخَّى حِمَامُ الموتِ أوسطَ صِبْيَتي فللهِ كيف اختار وَاسِطَةَ العِقْد
- الوسطية في كل أمر هي الخير والعدل وهي الأجود، وهي الأكثر عملية، وأوجب قبولاً.

نعم، إننا أمة وسط، بمعنى أننا أعظم الأمم، أشرف الأمم.. بما قدره الله لنا من اتِّباع أعظم الأديان، وأشرف الرسالات، ونحن أعظم الأمم أيضاً باتِّباعنا كل ما جاء به الإسلام دون تهاون أو تفريط.. فالتهاون في أمور الدين، والتفريط في العبادات يبعد الإنسان عن كونه وسطاً عظيماً شريفاً.

ويقابل ذلك فهم خاطئ هو الغلو، والتشدد الممقوت. بمفهوم خاطئ أن هذا هو الدين بحذافيره، ودقة ما جاء به، وأن المغالاة في الدين هي زيادة في التمسك به.

في بدء الإسلام ظهرت بعض دعوات التشدد والمغالاة في الدين، لكن الإسلام نهى عن ذلك.. فقد قال ﷺ: «**لا تشددوا على أنفسكم فيشدَّد عليكم؛ فإن قوماً شددوا على أنفسهم، فشدد الله عليهم**».

وقال ﷺ: «**إن الدين يُسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه**» فالإسلام منذ جاء وهو دين الخير واليسر.. لكن ليس دين التهاون الذي قد تفهم به الوسطية اليوم. فليست الوسطية بمعنى التيسير غير المشروع في الدين والحياة. فالقيم واضحة، وحدودها ثابتة، لا إفراط ولا تفريط، ولا تنطع ولا تشديد، الوسطية هي الاعتدال الكامل في حدود كل شيء، والمغالاة هي التزيد المرفوض في أداء كل شيء.

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١]، ومنه ظهرت في العصور الإسلامية الأولى بدعة الخوارج والمعتزلة، وهم من الغلاة في الدين.

وقد ظهرت في عصرنا آثار ذلك بين بعض الشباب، حتى إن بعضهم كفّر المسلمين، ظنّاً منه أنهم خرجوا عن حدود الشرع، وأنهم

ارتكبوا من المعاصي ما يخرجهم من حوزة الإسلام.. وانتشرت الدعوات المتنطعة، والمجالس المتشددة، التي أوغرت صدور بعض الشباب؛ فأشاعوا الفساد في بلادهم، ونشروا الشر بين ذويهم.

أما الاعتدال لغة فهو أن: العدل هو ضد الجور، وما قام في النفس أنه مستقيم و(عدَّل الحكم تعديلاً) أقامه، و(عدَّل) فلاناً: زكَّاه، و(عدّل) الميزان (سوَّاه)، والاعتدال توسط حال بين حالين في كمّ أو كيف، وكل ما تناسب فقد اعتدل، وكل ما أقمته فقد عدلته والعدول: هم الأخيار.

وذكر في القاموس المحيط: من معاني العدل والاعتدال: الحكم بالعدل والاستقامة، والتقويم، والتسوية، والمماثلة، والموازنة، والتزكية، والمساواة، والإنصاف والتوسط.

أما اصطلاحاً فالاعتدال: هو التزام المنهج العدل الأقوم، والحق الذي هو وسط بين الغلو والتنطع، وبين التفريط والتقصير، فالاعتدال والاستقامة وسط بين طرفين هما: الإفراط والتفريط.

والاعتدال هو: الاستقامة والتزكية، والتوسط والخيرية.

فالاعتدال يرادف الوسطية التي ميز الله بها هذه الأمة، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وقد فسر الرسول ﷺ هذا بقوله: «**والوسط: العدل**».

وبلا مغالاة يتحقق في الأمة الإسلامية: ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، بعد أن وصفها الله تعالى بأنها: ﴿أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣].

خير: هي اسم تفضيل بمعنى (أَخْير) والأَخْير هو الأفضل عما سواه من كل المفضَّل عليه.

ولا يتفق الوصف بأخير أن نكون دون القمة العليا، أو الوسطية الجوهرية.

إذ كيف يكون الشاهد دون المشهود عليه: ﴿شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ فالله سبحانه وتعالى جعلنا شهداء على كل العالمين، شهادة مقبولة تدل على أنه لا طعن فيها.. كما هو الحال في القضاء العام. كما شرع الإسلام إذْ لا تقبل شهادة الذي ثبت عليه كذب أو تزوير في شهادة قبل تلك.

من هنا نجد أن الوسطية لا تعرف أبداً معنى التفريط في شيء من القيم والثوابت.

وأصول التشريع، وأسس العبادات، ولا تعرف التنطع والمغالاة المرفوضة الخارجة عما أمر الله تعالى به.

وعليه.. فالوسطية، والاعتدال معنيان مترادفان في المفهوم اللغوي، والشرعي والاصطلاحي، فهما: العدل، والاستقامة، والخيرية، والاعتدال، والقصد والفضل والجودة. فالاعتدال والوسطية منهج الحق، ومنهج الأنبياء وأتباعهم، ويتمثل ذلك في

الإسلام الذي أتم الله به الأديان وأكملها، بما حمله رسول الهدى محمد ﷺ للبشرية جمعاء.

إن التهاون الذي يفسر به بعض الناس (الوسطية) قد يؤدي إلى التهاون في حدود الله، ويشيع الضعف الديني والانحلال الخلقي.. لأن من يفهمون الوسطية هذا الفهم غير الملتزم بالحدود كلها سيتنازلون عن بعضها.

وما أسرع انتشار الضعف.. وما أكثر ما يتمسك به بعض ذوي الهمم الفاترة مما يشاع خطأً عن الوسطية.

إن حدود الأمور واضحة المعالم في الإسلام، قرآناً وسنة نبوية، وفي الممارسات الإنسانية القائمة على الثوابت.. لذا يبقى الوسط هو الأجمل والأمثل والحق.

كلما تأملت الوسطية عملاً، وقولاً وجدتها الخير كله.. فالصامت دائماً والمهذار كثيراً كلاهما ثقيل المحضر.. لكن المرء الوسط الذي يتكلم حين يلزم الكلام، ويهشّ حين يكون ذلك لازماً هو المقبول عند الجميع.. ثم إن المتقوقعين على أنفسهم والمطْلِقِين لها العنان غير مرغوب فيهم.

أما الوسط بين هذا وذاك فهو المقبول عند الناس، الأثير باحترامهم، ولتتضح الصورة أكثر، وتتبين الوسطية ومزاياها أضرب مثلاً ببعض من أعرفهم؛ فبعضهم لا يخلو وقته من لقاءات وارتباطات اجتماعية.. ففي كل نهاره وأمسياته لقاءات ودعوات.. إذ هو إِمَّا دَاعياً لها أو مَدْعُوّاً إليها.. والنوع الآخر من معارفي لا يخرج من بيته ولا يلتقي أحداً طوال يومه وليله.. هو وحده عيشاً، وفكراً، ولقاءً.

وكلا الرجلين غير مقبول منه ذلك، والطريف في هذا الأمر أن زوجة كل منهما تندب حظها.. فالأول تريد زوجته أن تراه، ويتمنى أولاده اللقاء به، والاجتماع معهم أكلاً، وحديثاً؛ لأنه مشغول عنهم ليل نهار مع الآخرين.

والثاني تتمنى زوجته أن يخرج من المنزل ولو ساعة في اليوم، وأن يفتح باب منزله مرة بعد عودته من العمل.. فهما متواجهان معاً طوال الوقت، وناهيك عما يحدث في هذا اللقاء المستمر بينهما.

ألم أقل: إن الوسطية هي الاعتدال، وهي الأفضل.. فتوسطوا يا عباد الله، في كل شيء حتى في الطعام والشراب. فيكون الثلث للطعام، والثلث للشراب، والثلث للنفَس، كما علمنا رسول الهدى ﷺ.

ثم إن ما يعانيه عالمنا كله اليوم من شرور وعدَاوات.. بل من حروب بين بعض الأمم، وما تشنّه بعض الدول العدوانية على أخرى مسالمة، وإن ما يعكر صفو حياة المجتمعات، ويقلق بال الإنسان هو خروج الأمور عن وسطيتها.

فالدول المغرورة بقوتها تنسى أن هناك عدلاً يقوم عليه الأمان.. وأصحاب الأفكار المتطرفة المشتطّة يثيرون القلق في مجتمعاتهم، ناسين أن الفكر المعتدل والرأي الصواب هو أفضل الأفكار والآراء، أي الوسط. ليتنا جميعاً نعرف المعنى الحقيقي العملي للتوسط والاعتدال فكراً، وسياسة، وعلاقة، وسلوكاً سياسيّاً، واجتماعيّاً. لو تم ذلك لعاشت الدنيا في صفاء وسلام، وأمن وهناء.

obeikandi.com

لا.. لا للتحلل والتسيُّب

كثيراً ما أكرر الدعوة إلى اليسر والرفق، والبعد عن التزمت والغلو، وقد بينت في أكثر من مرةٍ أن الغلو جرّ على العباد والبلاد الويل والثبور، وأنه التنطع الذي نهانا عنه رسول اللّه ﷺ لما فيه من آثار ضارة بالجميع، وما يترتب عليه من شرور.

ولا يُفهم من هذا الذي أشرتُ إليه بهذه المقدمة أني أرضى عن التسيب والانحلال أو أوافق على الخروج على قيم الإسلام، وأخلاقيات المسلمين، أو أن أقبل معاذ اللّه دعاوى أقوام يُقَصِرُون الدين على (صلة العبد بربه) وأنه للآخرة فقط، وليس للدنيا. فالإسلام الحنيف في حقيقته ما ترك صغيرة ولا كبيرة من أمور الدين والدنيا إلاّ دعا معها إلى الهَدْي الأقوم، وأن الأخذ بهذا الهَدْي يجني ثماره الطيبة الأفراد والجماعات على حد سواء.

الفرق شاسع بين التيسير والتسامح من جهة، وبين التحلل والانفلات من جهة أخرى، ولا خير في دنيا لا تقوم على الدين، وما ضرنا إلاّ عدم التمسك بديننا سواء ما يجيء من المغالين، المتنطعين أو ممارسي الانحلال المتسيبين، فكلاهما على غير صواب.

فيما حولنا صور كثيرة، ومواقف عجيبة، وسلوكيات مرفوضة من فهم بعض الناس للدين، والخلق، والحياء، والنظام.. هي مرفوضة قبل ذلك من كل إنسان لديه شيء من القناعة بأن الالتزام بمستوياته المتعددة هو الحياة والحياء.

هنـاك مـن بيننا مـن لا يبالي، بلهو مقصِّـرٍ مُجَاهر بالسـوء، وهناك المستهترون بالعمل المخالفون للنظام، وكم تفزعك الفوضى في المعامـلات الاجتماعيـة، والعلاقات الإنسـانية وعلى مشـهد من العـين ترى مـا يحزنك مـن مظاهر التسـيب الأخلاقـي من بعض الشباب والشـابات، بل بعض الكبار مما يندَى له الجبين، هناك ما لا يرضـاه الإسـلام أو الخلق الكريم من انحلال في مظاهر الحياة، من ملبس وزينة، حتى إنك أحياناً تُدهش من هذا التصـرف، وكيف قَبِلَهُ الوالدان من أبنائهما وبناتهما، وأتسـاءل في مثل هذه المواقف: أين الأهل من هذا البذاء؟

وما أسـوأ التحلل من العهود، مـن التزامات العمل، من الوعود والمناسبات كل هذا مع الجهر به، وكأنه لا دين، ولا خلق، ولا فضيلة، ترسم الحدود في حياتنا.

أقول لهؤلاء جميعاً: ألم تسمعوا مرة قول الله تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾[النساء: ١٤٨]، وإذا كان الجهـر بالقول السـيئ مكروهاً، فمـا بالك بالجهر بالعمل والسـلوك والتصـرفات والانخراط في الماديات الضـارة كما ورد في هذا الشـأن مـن الأثـر: «يأتي على النـاسـ زمان همتهـم بطونهم، وشـرفُهم متاعُهم، وقِبْلَتُهم نِساؤهم، ودينُهم دراهمهم ودنانيرهم، أولئك شر الخلق، لا خَلاق لهم عند الله».

وممـا ورد في أثـر آخر في هـذا الأمر: «**بئس العبدُ عبـداً تخيَّل واختال، ونسي الكبير المتعال، بئس العبد عبداً تجبَّر واعتدى، ونسي الجبار الأعلى، بئس العبد عبداً سها ولها، ونسي المقابر والبِلى**».

أقول: لا للتسيب في العلاقات الاجتماعية كما شكا من ذلك بعض معارفي إذ لا يقيم البعض وزناً لمشاعر الناس، سواء في أعمالهم، أم هم له جيران في بيوتهم قد يجاورك من لا يهدأ بيته، ولا تسكت ساعةً اضطراباتُ أولاده، أو مضايقاته للناس بسياراته وحاجاته، والإسلام هو أرقى ما يكون مشاعر واحتراماً للناس عامة، والجوار خاصة، حتى إن الرسول ﷺ علمنا ذلك في أدق صوره، إذ لو طبخ أحدنا طعاماً له رائحة فليعطِ منه جاره أو يكتمه.

إن رفض التحلل هو رفض لكل نقيصَةٍ مفسدة للعمل والحياة، بل كثيراً ما يكون التحلل عدواناً صارخاً على حقوق الناس وحرياتهم.

التحلل الذي ساد بعض أنحاء البلاد، واستهتار الشباب، وكثرة ما يحدث في الأسواق من إيذاء للآخرين، وتداخلات مريبة مع السائرين، هو من التحلل الممقوت شرعاً المكروه خلقاً، وتأدباً.

التحلل من الالتزام بمواعيد العمل ونظامه مفسدة للحياة أي مفسدة، ويجب الأخذ على يد المتحللين المستهترين بالتزامات ومواعيد وواجبات العمل بيد من حديد، إذ كثيراً ما يكون صاحب الحاجة الذى يُراجِع من أجلها مريضاً متعَباً أو غريباً جاء من بلدة بعيدة مسافراً.. لكنه لا يجد المسؤول، ويقال: إنه في موعد، أو في اجتماع.. إنه في إجازة اضطرارية.. هل ظروف الناس ومصالحهم ليست اضطرارية، وكثيرة أمثلة ذلك في كثير من المصالح والدوائر الحكومية.

التحلل من المواعيد والالتزامات سوء سلوك لا يليق بذي خلق أن يكون عليه.

موعدك مع غيرك.. هو التزام ديني وارتباط خلقي.. والوفاء بالعهود.. والالتزام بالموعد من أعظم الصفات التي شدد الإسلام عليها.

﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ﴾ [البقرة: ٤٠]، ﴿لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ [الروم: ٦]،.

﴿إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٤].

أما عن التحلل السلوكي والاستهتار الخلقي فَحَدِّثْ ولا حَرَجَ.. إن كثيراً من ذلك قد ساد برامج القنوات الفضائية، وسيطر على أساليب الإعلام العصرية، حتى إنك تجد أن برامج اللعب والتحلل والاسترسال في الغواية لها أوقات وقنوات أضعاف أضعاف ما للعلم والتعليم والثقافة والدين.

هؤلاء شبابنا.. صغارنا.. انسلخ بعضهم من حشمة الثياب إلى الانحلال وارتداء الملابس التي تدفع بها المصانع المتسيبة، فهم كما نشاهدهم كثيراً حفاة عراة.. أو شبه ذلك، بل فاقت شعور رؤوسهم في هيئتها شجرة الشبرم أو رأس الغول، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

هذه بعض مظاهر التحلل المادي، والتسيب المعنوي والتردي الأخلاقي التي انتشرت في الحياة عامة.. وبين بعض الناس الذين لا سيادة للدين أو الخلق عليهم خاصة.

وأتساءل مع نفسي:

- ماذا يضير الإنسان لو التزم بكل خلق كريم، أو سلوك قويم؟!!
- ماذا يكلفك أن تُخلِصَ في عملك، متمسكاً بنظامه وواجباتك فيه؟
- ماذا تخسر لو أحسنت العلاقة بكل الآخرين؟

- ما الذي يُفسد حياتك أن تنهج سبيل الخير وحب الناس، وفعل المعروف.. وترك نزغ الشيطان الرجيم؟
- لِمَ لا نكون أشد التزاماً بمواعيدنا وحضورنا، وانصرافنا، وحقوق الآخرين من الناس في حياتنا؟

كم يؤلمك أن يعتدي أحد على حريتك الشخصية، شريطة التزامك بما حدده الشرع والأخلاق لها، كم يزعجك إفزاع آخر بسوء جواره لك.. كم يُفسد عليك حياتك لو استهتر الآخرون ولم يراعوا حقوقك في السير والوقوف، والحديث، والتمتع بما هو ساقط من الفن والأعمال!

ألا تنزعجون أيها الآباء والأمهات، وأنتم ترون أبناءكم قد خرجوا عن المألوف الصحيح سلوكاً، ومظهراً وأفعالاً؟! وتذكروا أنكم رعاة مسؤولون عن رعيتكم، وهم هذه الرعية.

تلك هي بعض مظاهر التحلل والتسيب.. كثرتْ وانتشرتْ، وصارتْ سلوكاً صحيحاً في نظر أصحابها، وكلٌّ يقول لك: إنها حرية شخصية.. نحن في عصر التمدن والتطور والحريات، وهذا منافٍ للحق، مغاير للفضيلة، وتعريف الحرية الذي نحفظه منذ القدم: «الحرية هي أن تفعل ما تشاء من خير مع عدم الإضرار بالآخرين» خير شاهد على ما أدعو إليه.

إن المسؤولية عن إقامة الخير والإصلاح في مجتمعاتنا، وتقويم ما ارتد إلى السوء من سلوكيات بعض الناس حولنا هي مسؤولية تشترك فيها جميع مؤسسات المجتمع.

obeikandi.com

إن الأسرة: هي منبت الغرس الذي فيه ينمو الصغار، والمسجد الـذي فيه يسـقون الصـلاح.. ويطعمون الفـلاح، ويتعلمـون عمليّاً الالتزام والصواب.

والمؤسسـة التعليميـة بكل مراحلها: هـي الروضـة الغَنَّاء التي تزخر بالمُثُلِ، وتنضـر فيها القيم، ويعبق فيها شـذا الخير والهداية، والعلم، والمعرفة.

والمؤسسـات الإعلاميـة بجميـع صـور صـدورها فيها تمتلئ الأوقات.. وتحظى الأسماع، وتشهد العيون بما يجب أن يكون قويماً، راقياً، مهذباً، مسايراً لأخلاق ديننا وجميل صفات حياتنا وقيمنا.

والمؤسسـات الاجتماعية: بل المجتمع بأكمله مسؤول بكل أفراده وهيئاته عن تسـديد الخطأ.. وتقويم المنحرف، والوقوف بحزم ضد المتسيب.. فلا يُتْرَكُ المهملون وإهمالهم ولا المتحللون وتسيبهم.

النصـح والدعـوة للخير بالإقنـاع فرض عين على كل إنسـان: فَلْنَقُمْ بدورنا هذا كما طالبنا ديننا، ونحرص على حراسـة الفضيلة والقيـم؛ فبهما سـمتْ عقيدتنا، وتميزت رسـالة نبينا الذي وصـفه الله بأنه على خلق عظيم، ووصـف هو رسـالته بأنهـا متممة لمكارم الأخلاق.

التكافل الاجتماعي

مـا أجمل ارتباط القيم العظيمة بالأيام الإسـلامية الكريمة.. فحـين يأتي أحـد العيديّن، فإننـا نتذكر أن العيد مناسـبة تبرز لنا أهميـة ممارسـة التكافـل الاجتماعـي، بحيـث نشـرك في فرحتنا الآخرين الذين لا تتوافر لهم أسباب الفرحة.

إن الإحسـاس بالسـعادة والفرح إحسـاس جماعي في الغالب، ويـزداد إحساسـنا بالسـعادة، وتمتـد جذورهـا، كلما شـملت هذه السـعادة مسـاحة أكبر من الناس، وكلما تعمق ارتباطنا بصدق بما يفرحهم ومـا يحزنهم، وحين تنحسـر أحاسيسـنا، وتنكمش داخل أجسـامنا بأنانية حين لا يصبح من الطعام لذيذاً، إلا ما آكُلُهُ «أنا»، ولا رائعاً من اللباس إلا ما ألبسه «أنا»، ولا مريحاً جميلاً من المسكن إلا ما أسكن فيه «أنا»، حينما نصبح جزءاً أنانيّاً من حضارة البطن الاسـتهلاكية، نتلقى الضـربة والجزاء من نفسـ جنس العمل الذي نعمله، وتصـبح ظلال شـجرة سـعادتنا ذابلة جافة ميتة عارية من الأوراق؛ والثمـار لأنهـا نبتت في غرفة مظلمة مغلقة، تقتصـر علينا وعلى أولادنا وزوجاتنا، وهذا هو الذي يفسر برود التهاني السطحية في الأعياد، بل في كثير من الأحيان وعدم الإحساس بها.

مـا أعظم قيم إسـلامنا لو أننا نحن المسـلمين تمسـكنا بها، وتحلينا بآدابها الإنسـانية الراقية، والروحية العالية، حتى صـورها المادية هي مادية نبيلة في أغراضها.

التكافل بين القلوب، والنفوس، في السراء والضراء.. يُشيع السعادة والطمأنينة، ويُعمق الإخاء والمحبة بين الجميع. ها هو ذا ركن الإيمان المتمثل في الزكاة زكاة المال وزكاة الفطر من أروع وأرقى وأشمل وأكرم صور التكافل الاجتماعي بين المسلمين تكافل عملي لا يمس كرامة الآخرين، ولا ينقص مال المزكين.. وليس لهذا السلوك مثيل في رقيه وفرضيته وآثاره واحترامه مشاعر المحتاجين.

الناس في مجتمعهم الذي يعيشون فيه يحتاج بعضهم إلى بعض في كل شؤون الحياة.. وهم في مجموعهم يؤلفون قوة متماسكة، لا تبدو في تمامها واكتمالها إلا بقوة كل فرد من أفرادها وسعادته.. كالجيش لا قوة له إلاّ بكل جنوده، وقواده، وعتاده.

لقد شرع الإسلام التكافل الاجتماعي.. ليس في حياة الفرد المعيشية وحدها.. إنما شرعه تكافلاً شاملاً في حق الحياة، وفي الحرية، وفي العلم والمال. بل وكرامة الإنسان وملكيته، وحقق الإسلام التكافل السياسي والدفاعي.. والأخلاقي..

والإسلام حين ينادي بفكرة التكافل الاجتماعي لا يجعله قاصراً على المطالب الغذائية، أو السكنية، أو الاستهلاكية فحسب؛ بل جعله شاملاً لكل حقوق الإنسان في الحياة المادية، والمعنوية، بما في ذلك مشاركة الناس في أفراحهم.. وتخفيف ما نستطيع من آلامهم.

توكيد شديد على ضرورة التكافل الاجتماعي في الإسلام، في القرآن الكريم: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، وفي الحديث الشريف: «**مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم، وتعاطفهم كمثل**

الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمّى».

وهناك التكافل الأخلاقي، فالمجتمع كله مسؤول عن صيانة الأخلاق العامة؛ لأن بها حفظه من الفوضى، والفساد، والانحلال، وبذلك وجب على المجتمع أن ينكر ويكشف عن مرتكبي المنكرات الخلقية في كل صورها، ولا يعدّ الإسلام ذلك تدخلاً في الحريات الشخصية؛ لأن الفساد والمنكر يأتيان على بنيان الأمة من القواعد ولم يفهم أحد أن من معاني الحرية الشخصية أن تسمح لآخر بهدم بيتك، أو تهدم أنت بيت غيرك.

وقد ضرب لنا رسول الله ﷺ مثلاً راقياً في تكافل الأمة الاجتماعي، ذلك التكافل الذي يأخذ على أيدي العابثين والمخربين، يقول ﷺ: «**مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أننا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذِ من فوقنا؛ فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا، ونجوا جميعاً**».

من هنا، فإننا اليوم جميعاً مطالبون بالتصدي لكل التصرفات المخربة فكريّاً واقتصاديّاً، واجتماعيّاً، والتهاون في ذلك التصدي مخالف للشرع، وهادم للقيم.

إن التكافل الأخلاقي سابق على كل صور التكافل الأخرى، وفي ذلك يقول ﷺ: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**».

يفهـم الناس التكافل الاجتماعي اليـوم على أنه هذه المعونات، والرواتب والمسـاعدات التي تقدمها الدول للمحتاجين، من الأرامل، والعجزة المقعدين، أو ذوي الظروف القهرية الخاصة، وليس ذلك هو كل التكافل الاقتصادي الذي شرعه الله، ودعا إليه الإسلام. بل لقد شرع الله تعالى نفقة المطلقة والمرضعة تكافلاً اجتماعيّاً معها، حتى تسـتمر حياتها كريمة كما كانت، ورأينا رعاية أسـر المسجونين، وما يقـدم إليها من تكافل اجتماعي، هو من أسـس الرعاية الاجتماعية في الإسـلام. بل رعاية المسـجونين أنفسـهم بعد خروجهم؛ ليشقوا طريقاً شـريفاً في حياتهم، ووزارة الشؤون الاجتماعية تحقيق عملي لمبدأ التكافل الاجتماعي.

بل إن التكافل الاقتصادي يمتد إلى اقتصاد المجتمع؛ فيحافظ على ثرواته العامة كما يحافظ على ثروات الأفراد الخاصة.. وذلك بأن يمنع سوء استعمال الاقتصـاد الوطني بالاحتكار، والتلاعب في الأسعار، والغش في المعاملات.

ولهذا أوجب الإسـلام على الدولة أن تمنع كل حيل الاستغلال، ووسـائل الغش والتلاعب، وأن تضـرب على أيدي المحتكرين، بل أن توقفهم أمام القضـاء، وأن تصـادر بضـائعهم المحتكرة، وتعرضها بأسعار معتدلة.

التكافـل الاجتماعـي قيمـة عظيمـة، كلٌّ يُحققـه قـدر جهـده وإمكاناتـه لعلمهـم أن إغلاق باب العطاء، وسـد طريق التكافل فيه بلاء شديد على المانعين، وجزاء قاطع من رب العالمين.

وعن التغاضي عن التكافل الاجتماعي، وسوء مغبة حرمان الآخرين المعوزين ما جاء في سورة «القلم» من جزاء رادع لمانعي التكافل الاجتماعي، وقصتهم التي هي عبرة خالدة صورها القرآن الكريم في سورة القلم في قوله تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [القلم: ١٧، ٢٣].

وفي حياتنا نحن العرب خاصة صور عظيمة للتكافل الاجتماعي، تلك التي نراها دائماً في المناسبات الاجتماعية، كالأفراح والمآتم، فحين تكون هناك مناسبة سعيدة، فإنك ترى كثيراً ممن تعرفهم، ولك علاقة بهم سعداء مشاركين معك في هذه المناسبة السعيدة بالحضور أو المراسلات، ويعتذر من لم تسنح له الفرصة للمشاركة في هذه السعادة.

وأيضاً عند الأحزان، بمختلف أحداثها تجد الجميع، القريب والصاحب بل غيرهم يشارك أهل الحدث آلامهم.. ويواسيهم في أحزانهم..

وأذكر أننا حين كنا صغاراً، كنا نتمسك ببعض القيم التي هي في أصلها تكافل اجتماعي، ومنها:

١- خرجنا جميعاً، صغاراً، وكباراً ذات مرة لإقامة السد الترابي الذي انهدم في بلدتنا، وقد جرفه السيل فانفجر، ما جعل النخيل لا يستفيد من ماء السيل، حين جريانه في الوادي.

٢- خرجنا صغاراً، وكباراً، لنحفر خنادق طويلة وعميقة لندفن صغار الجراد الذي يدبي قبل أن يكتمل نمو أجنحته ليطير، قبل أن يصل إلى البلد، ويأكل الأخضر واليابس. وكم كنا نحن الصغار في فرحة وسعادة غامرة لمشاركتنا الكبار في ذلك.

٣- في يوم شبَّ حريق في أحد المنازل قبل ظهور الدفاع المدني فخرج الناس جميعاً من كل أنحاء البلد مسرعين، كلّ واحد يحمل قربة أو إناءً فيه ماءٌ للمشاركة في إطفاء الحريق. وبعض هذا الماء كان مدخراً للشرب أو طهي الطعام، ولكنّ إنقاذ صاحب المنزل وأهله مقدم عند الجميع على منافعهم الشخصية القابلة للتعويض.

٤- مساعدة المحتاج، حين يعلم الناس أن حاجة ألّمت بفرد أو أسرة أو أن نائبة أفقدت شخصاً أو أسرة ما يملكون، فإن جماعة المسجد يجمعون ما يستطيعون؛ ليعينوه على نائبته.

ومن أكثر صور التكافل الاجتماعي تميزاً ما يعرف (بالعاقلة) ذلك أن من وجبت عليه دية قتيل، وهو لا يستطيع سدادها تقوم عاقلته أي قبيلته أو أسرته الكبيرة بالإسهام، كلٌّ قدر استطاعته لسداد هذه الدية.

وغير ذلك من صور التكافل الاجتماعي المتأصلة في حياة الناس قبل أن يظهر التكافل الحكومي.. وقبل أن تظهر المساعدات والإعانات الرسمية.

إنهـا صـور مـن التكافـل الاجتماعـي الفطـري الطبيعـي.. الحقيقي.. لا يتأخر عنها أحد.. ولا يمنّ بها على أحد.

ولا تزال هذه المظاهر الاجتماعية الإنسـانية في كثير من مواقع حياتنا حتى اليوم وسـتظل قيماً اجتماعية نعتز بها، مصدرها ديننا الإسـلامي، الـذي ينبذ الأنانيـة، ويحث على التراحم، والتواصـل، يقـول رسـول الهـدى ﷺ: «**والله لا يؤمـن، والله لا يؤمـن، والله لا يؤمـن مـن بات شبعـان، وجاره جائـع**». وحين يُقبـل أحد العيدين، فإننـي أتذكر ما قالـه الكاتب العبقري مصـطفى صـادق الرافعي في مقالتـه (اجتلاء العيد) لعلي بذلك أحيـي معاني العيد عند من نسـيها، قـال الرافعي: العيد هو يوم السـلام، والبشـر، والضـحك والوفاء، والإخاء، وقول الإنسان لإنسان: كل عام وأنتم بخير.

ويقـول كذلك: العيد ذلـك اليوم الذي ينظر فيه الإنسـان إلى نفسه نظرة تلمح السعادة وإلى أهله نظرة تبصر الإعزاز، وإلى داره نظرة تدرك الجمال، وإلى الناس نظرة ترى الصداقة.

ومن كل هذه النظرات تسـتوي للإنسـان النظـرة الجميلة إلى الحيـاة والعالم، فتبتهج نفسـه بالعالم والحياة، وما أسـماها نظرة تكشف للإنسان أن الكل جماله في الكلِّ.

دفاع الإنسان عن أخيه

ما أعظم قيم ديننا، وما أرقَى توجهاته في العلاقات الإنسانية، وما أسمى روابط الإسلام التي توثق العرى بين الناس.. لكن بعض الناس جهلوا أو تجاهلوا هذه القيم، فتحللوا منها تحللاً يدعو للتعجب والدهشة.

ترى البعض في كثير من المجالس يتعرضون بالنهش في غيرهم، خُلقاً وعرضاً، وعملاً، واتهاماً وتشويهاً، وقليلاً ما ينبري أحد للدفاع عن هذا الذي يُنهَش ويُغْتَابُ، ويؤكَل لحمه ميتاً في هذا المجلس.

والأغرب من ذلك أنك تجد من بين الذين يتعرضون للناس بغير علم من هم على علم، بل اشتغال بأوامر الدين ونواهيه، في هذا الشأن، لكنهم ينسون ما يعرفونه من هذه الآداب والقيم الإسلامية.

ومما يستحق أن نقف أمامه، وأن نعرف حقيقة ما فيه.. هو ذلك الإنسان الذي يقيم من نفسه مدافعاً عن حق، أو ناصراً لقضية، أو داعماً لدعوة يراها هو بمنظاره، الحقيقة قضية ليست من أصالة الحق ولا صواب الخير كل يفصِّل الثوب بمقاسه فبعض الخطباء، والوعاظ، والدعاة، والمعلمين يقعون في خطيئة فادحة، بعيدة عما يرون أنه دفاع عن حق، ودعوة إلى صواب؛ ذلك حين يتناولون أشخاصاً معينين في خطبهم.. ويتمادون موغلين في نهشهم، وإظهار ما يزعمون أنه عيب في أعمالهم.

والحقيقة أن هذا خطأ أخلاقي قبل أن يكون خطأً وظيفيّاً؛ والمفترض أنه ليس من أخلاق ووظيفة هؤلاء أن يفعلوا ذلك الذي يقدمون عليه، وهو في معظمه زور وبهتان لا يقل خطورة عمن زور ورقة أو مستنداً أو شهد شهادة زور، وحتى لو كان ذلك على أسوأ الفروض حقيقة فليس من المروءة أن يُشهِّر أحد بالآخرين وعلى الراغب في إصلاح ما يرى أنه اعوجاج أن يبادر إلى الآخر ناصحاً وموجهاً.

كم سمعنا البعض في خطبه الدينية يقدح في أمانة بعض المسؤولين، وأخلاقهم وتدينهم، ووصفهم بأبشع ما يوصف به الناس من خصال سيئة، وأعمال مرفوضة.

ولئن سألت هذا الخطيب القادح عَمَّنْ نهشَه لوجدتَه لا يعرفه أصلاً، ولم يقابله يوماً، لكنه «سمع.. قالوا.. زعموا من مصدر موثوق» وكلها كاذبة خاطئة.

وكما قال أحد الحكماء: «الموثوق لا ينقل» وحتى لو كان ما يقال صحيحاً، فإن من يتمثل بقيم الإسلام لا يصرح بالأسماء والأشخاص، وإنما يجب أن يقتدي برسول الله ﷺ حين قال مثلاً: «**ما بال أقوام.......**».

فليتنا نستعمل حق الدفاع عن الآخرين كما هو حقيقة، وكما ينبغي أن يكون أصلاً.

لقد علمنا نبينا ﷺ نبي الرحمة أن ندافع عن إخواننا عندما ينتقص منهم في غيبتهم، فقال: «**مَن ردَّ عن عِرض أخيه ردَّ الله عن وجهه النارَ يومَ القيامة**»، وقال: «**من رمَى مسلماً بشيءٍ يريد**

شينه به حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال» والمعنى المـراد بذلك: حتى ينقَّى من ذنبه بإرضـاء خصـمه أو بشـفاعة أو بتعذيبه بقدر ذنبه.

كم يوجع النفس ما نسـمع في بعض المجالس عما يدعيه بعض الناس على الآخرين وخاصـة من هم على رأس العمل العام، فيقال زعماً إن ما سـمعوه هو الخبر اليقين أنه فعـل كذا وكذا، وأتَى كذا، وخالـف كـذا، وأنكر كـذا وكذا، وتصـرف دون حق هكـذا، وخالف النظـام وأتـى كذا وكذا، وقـد يكون بريئـاً من كل ذلك، فما أسـوأ مجالس النميمة هذه، وما أشـنع من يتحدثون مغتابين الناس فيها، بل إن المرء يلحظ في كثير من الأحيان فرحة بعضهم بما يسمع ويرى من شـماتة في الآخرين، وحسد لبعض الموسرين، وتحقير لنجاحات العاملين المخلصين.

ما أشبه هذه المجالس التي تحترق فيها نفوس المغتابين، وتتوهج فيهـا قلـوب النمامين الحاقديـن بمواقد النار لا تحـرق إلا من يقع فيها، ومن يتلظى بنار الحقد والغيبة والحسـد، أما المحسـود الذي يغتابونه فهو في نجاة من ذلك كله، وهم وحدهم الذين بها يكتوون، وتسجل عليهم ذنوب ما يفعلون، قال البحترى:

فاصبر على كيد الحسود فناره ترمي حشاه بالعذاب الخالدِ
أو مـا رأيت النار تأكل نفسها حتى تعود إلى الرمادِ الخامدِ
تضفي على المحسود نعمة ربه ويذوب عن كمد فؤاد الحاسدِ

والـكل في هـذه المجالـس غني بالأخبار، طلق اللسـان، سـريع الجواب، معتمد على هذا الزعم وهذا القول ليعزز مقاصده، ويؤكد

ادعاءاته، فهو يخبر عن أمر نقلاً دون تثبت، سماعاً من غير صادق دليل، وهذا هو الذي يوقعه في جريمة الاغتياب والكذب.

إن إخبار المرء بخبر غير حقيقي مبني على الشك والتخمين، دون الجزم واليقين عمل قبيح، وسلوك مشين لا يليق بالكرام؛ إذ الواجب ألاّ يقول المرء إلاّ ما هو حق ثابت، وله عليه شاهد ودليل، ألم يعوا ما ورد في الأثر: «**بئس مطية الرجل زعموا**».

وفي الجانب الآخر ما أحرى بالمرء ألاّ يسكت عن اغْتِيابٍ يعرف عدم صحته بل يجب أن ينطلق في حمية الإنسان المكذوب عليه للرد على المدعي، والدفاع عن المغْتَاب، ولو لم يعرفه شخصيّاً، ولْيضع نفسه، عملاً، وشرفاً، وعِرضاً، وكرامة وخلقاً مكان هذا الذي تمزق ثيابه في هذا المجلس.

من هذا، فإن الخُلق الكريم يقضي بأن يكون هناك توجه للدفاع عمن ينتقص قدرهم، ويزدرَى شأنهم، وتنهش مقاديرهم في هذه المجالس، مجالس الاغتياب ومحاضر الانتقاص، لأن دفاع الإنسان عن أخيه الإنسان، أو دفاعه عن هيئة عمله أو إدارة وظيفته بما هو حق هو واجب أخلاقي حتمي، بل هو دفاع عن الدين؛ لأن الدين ليس إلا سلوكيات نتعلمها ونعمل بها، وندافع عنها.. وكما نزدري على سبيل المثال من يفطر في رمضان جهاراً نهاراً ونوبخه على ذلك.. فعلينا أن نقف هذا الموقف نفسه ممن ينهش جهاراً نهاراً، أعراض الناس في المجالس، بل يجب أن يكون الدفاع قويّاً منا عن كل من يُغتاب ولو كان من غير المسلمين، فأخلاق الإسلام شاملة عادلة والله يأمرنا بالعدل مع الجميع: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ

عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ ﴾[المائدة: ٨]، وينسى كثير من الناس أنه لا يكبّ الناس على وجوههم في النار إلاّ حصائد ألسنتهم «الغيبة والنميمة».

الالتزام بالعدل والإنصاف وعدم التجني على أحد حتى مع من بيننا وبينه خصومة أو عداء قيمة دينية وفضيلة إنسانية راقية.. لأن الدفاع عن الإنسان المظلوم قولاً أو عملاً هو إحقاق للحق، وإثبات للعدل، وصاحب الخلق الرفيع يأبى إلاّ أن يكون شامخ الأنف، مرفوع الرأس، غير منتقِص من حق الآخرين؛ لأنه لا يقبل أن ينتقص من حقه، أو ينهش عرضه، أو تضاع ظلماً حقوقه، أو تهدر بالكائدين كرامته.. بل إنه لا يرضى أن تلوكه الألسنة، ويكون موضوع حديث المجالس.. ولا يقبل أن يُوجد هو في مجلس تُنهش فيه الأعراض، وتنتقص الأقدار، ويهان فيه الناس.

وأكرر: كم من أبرياء مخلصين فيما قصدوا وفيما عملوا أسيء إليهم، وأنكِر عظيم ما فعلوا نتيجة أن سوء نيات الناس قد أحاطهم بسياج من الشك وسوء الظن وفساد القصد، وذاتية النفع، لكني مثلك أيها القارئ، على يقين أن الله حتماً سيكشف كل هذه الدعاوى، وينصر الحق، والصدق، والإخلاص مهما كثر الحاقدون المغرضون، وإذا كان الذبّ عن أعراض الناس واجباً شرعياً على الجميع، فإنه أوجب وأحق على أهل العلم والدعاة والمربين من المعلمين والمعلمات.. الذين هم القدوة والأسوة الحسنة.

وأرى أن الدفاع عن العلماء الشرعيين وحدهم ليس صواباً؛ إذ طالما نسمع مقولة: «لحم العلماء حرام» نعم، هو حرام، لكنهم ليسوا

وحدهم أصحاب هذه الحرمة، وتخطر ببالي قصة صديق لي سمع عن اغتيابه في أحد المجالس، فحزن لذلك، ولما اعترض على هذا الشين قال أحد الحضور: «لست من علماء الدين ممن يحرم لحمهم» فقال: ما شاء الله، صار لحم البشر في شريعتنا أنواعاً: لحمُ العلماء حرام، أما لحم مثلي فهو كباب على النار يشوى، وعلى موائد النميمة يؤكل.

إن صاحب الخلق النبيل، والحس الإنساني الرفيع هو الذي ينبري للدفاع عمن يخاض في حقه، وتمزق ثيابه في مجالس الظن من الناس.

إننا، إذا ربَّينا أنفسنا، وأهلينا، وطلابنا، وطالباتنا، على هذه المعاني الإسلامية السامية التي ترفض الطعن في حق الناس انطفأت نيران الإشاعات الضارّة في المجتمعوسلمت الصدور، وانشغل الناس بما ينفعهم في دينهم ودنياهم، وعرف الناس عموماً والمعلمون والدعاة وطلبة العلم الشرعي خصوصاً، أنهم ليسوا قضاةً على البشر يصنّفونهم إلى فئة ناجية، وفئة هالكة، وفئةٍ بينَ بين، بناءً على مقدار علمهم واجتهادهم ورأيهم فيهم، وفي حدود إنسانيتهم التي لا تصفو من شوائب الجهل والهوى، وقد قال رب العباد سبحانه وتعالى لأكرم خلقه عليه الصلاة والسلام: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠]، وقال له: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٥٢].. فاتقوا الله يا عباد الله، وقولوا خيراً أو اسكتوا.

أدب الحوار

- ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ ... ﴾ [الكهف: ٣٧].
- ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [المجادلة: ١].

الحوار والمجادلة..

الجدل والمساجلة..

المناظرة والمحادثة..

المقابلة والمخاصمة..

التفاهم وتبادل الرأي..

عشرة طرق للكلام مع الآخرين. لكنها ليست كلها سواء، فلكل منها مدلوله ومجاله المتفرد، وأهدافه المحددة. ولكل من هذه المتشابهات آداب وسلوكيات تتفق مع آداب الحديث في الإسلام، وفي كل صور الحضارة الإنسانية.

يكاد الحوار يكون أقرب إلى المجادلة، لكنه متميز بصفات، وآداب، وشروط وأهداف خاصة.

الحوار لا بد أن يكون بين طرفين، كل طرف شخص أو أكثر، يلتقيان بقصد بيان رأي كل منهما فيما يتحاوران فيه من أمور.

لكن ليس الحوار تشبثاً بالرأي، أو تعصباً للفكر، إنما هو تداخل في الآراء واستماع للأفكار الأخرى، نفهم وجهة نظر الطرف الآخر، ونحاوره، وربما يكون هو الأصح، وإلاّ فلا يكون هناك حوار.

obeikandl.com

وإذا كان الحوار لغةً هو مراجعة الكلام بين طرفين، فإنه يعني تبادل الآراء والانتهاء إلى الأخذ بما هو صواب منها. والحوار يمثل أول صور الحديث في تاريخ البشرية، وكان حينما جرى بين الله تعالى والملائكة.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]..

ثم يمتد الحوار بطريقة أخرى، حين طلب الله تعالى من آدم: ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣٣].

ويُعدّ الحوار من صور الكلام الفنية؛ لأنه يتيح الفرصة للأطراف المتحاورة أن تعبر عما لديها من مواقف، وتوضح ما لها من آراء، دون تعصب أعمى، بل بإقناع وإثبات قائم على الحقيقة.

وفي القرآن الكريم صور كثيرة من الحوار الراقي، موقفاً، وأسلوباً، فمنه الحوار الذي دار بين الله تعالى وإبراهيم عليه السلام:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ...﴾ [البقرة: ٢٦٠]. وحواره مع النمرود: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

وحـوار الأنبياء جميعاً مع من أرسـلوا إليهـم يمثل الآداب التي يجب التزامها في الحوار.

فها هو حوار سليمان مع الهدهد: ﴿مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ ...﴾ [النمل: ٢٠]، وحوار يوسـف مع العزيز ملك مصـر، ومع صاحبه الذي خـرج من السـجن، ثم عاد إليه يستفسـر عن رؤيـا الملك: ﴿وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ﴾ [يوسف: ٤٣].

ونحـن لنا حـوارات كثـيرة في حياتنـا اليومية مع مـن يعملون معنا، ومع أولادنا وأهلينا كل منا يريد أن يعرِّف الآخرَ رأيه، ويشـرح لـه وجهة نظره، محـاولاً إقناع الطرف الثاني بصـواب ما يراه هو، والعاقل من يأخذ برأي من يحاوره إذا تبين له صوابه.

الحوار نوع راقٍ من لقاء الأفكار، وقد امتد اليوم ليكون نوعاً من لقاء الأديان والثقافات، وحوار الحضارات.

إنـه تكامـل ثقافي، وحضـاري.. لا بد من الأخذ به في عصـرنا الحديث؛ لنعلم كل ما اسـتجد في هـذا العالم من معارف، وما ظهر من فلسفات في القضايا السياسية، والاجتماعية، والإنسانية.

لكن يجب ألا يضـع المحاور نفسه في طرف أعلى عن الآخرين، أو يؤكد صحة ما يراه دون اعتبار للطرف الآخر من المحاورين، فكل إنسان رأيه قابل لأن يكون صواباً، أو خطأ في تقديره.

بل لقـد تحقق هذا الأدب الحواري الراقـي مع النبي ﷺ الذي جـاء في قولـه تعـالى: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [سبأ: ٢٤].

ويترك بيان صحة الرأي لله سبحانه وتعالى، الذي هو يعلم الحقيقة والصواب ﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [سبأ: ٢٦].

وإذا كان الحوار لغة هو التحاور والمجاوبة تحاورَ القومُ أي تراجعوا الكلام بينهم فإنه يجب أن يقوم على علم بالموضوع الذي نتحاور فيه.. فلا نحاور طرفاً آخر ونحن نجهل حقيقة موضوع الحوار، وتفاصيل جوانبه، والأدلة على صحة ما فيه، وإلا فهو نوع من الحمق، لا يؤدي إلى نتيجة مرضية للمتحاورين.

ولهذا، فقد ذم الله مجادلة الجاهل: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الحج: ٣].

وحين نحاور يجب أن تكون رحابة الصدر وسعة الفكر هي الموجه لنا في الحوار، نضيق ذرعاً بالطرف الآخر إذا جادل وحاور كثيراً؛ فربما يكون على صحة في رأيه، فنأخذ بما عنده إذا تبين لنا صوابه، فإن لم يكن ذلك متحققاً فإن الحوار الهادىء قد يوضح له الحقيقة، ويبين الصواب، والاقتناع به، فيأخذ هو بما تبين له من صحة رأينا.

الحوار في العصر الحديث بعد أن اتسعت دائرته كما قلنا وصار حواراً بين الحضارات.. حواراً عمليّاً.. يريد أصحاب كل حضارة أن يفرضوا معالمها وعطاءاتها على الآخرين.. يؤكد أن من يدخل في حوار يجب أن يسبق ذلك بمعرفة ما لدى الطرف الآخر من مفاهيم، وما سوف يقابله من أدلة وبراهين؛ حتى يعدّ لها العدة إن كان فيها ما ليس صواباً أو غير مناسب.

obeikandl.com

والحـوار بـين المذاهـب والأديـان اليـوم مـن أرحـب مجالات الحوار. إنه ليس حوار أشـخاص، كالأمثلة التي سردناها. لكنه حوار بـين المعتقدات، ونحـن أتباع الدين الإسـلامي في أصـوله التي نتفق جميعاً عليها على قناعة بأن الإسـلام هو الدين السماوي الجامع لكل ما جـاء في الديانات السـابقة مع إيماننا بها. يجب ألاّ نخشـى حوار المذاهـب والأديان الذي امتدت سـاحته اليوم، ولكـن يجب أن نحاور الطـرف الآخر بما يوضـح له الحقيقة، ويكشـف له الصـواب، وإني لمن أشـد المعجبين بالحواد الذي جرى بين العالم الفذ المسـلم «أحمد ديدات» رَحِمَهُ ٱللَّهُ وبين ذلك القس المتمكن.. ونحن نسـعد اليوم بظهور هذا المسـلم الهندي «زاكر نايك» الذي أبهر من شـاهدوه في برامجه التليفزيونية ومحاضراته العامة يشرح أمور الدين، ويحاور المخالفين بفهم، وعلم، واسع وإقناع راسخ. إن من أهم شروط المحاورة الجادة الصحيحة إعطاء كل طرف حرية كاملة لإبداء رأيه بوضوح، أو طرح تسـاؤله، والخشـية من الحوارات التي تجري في وقتنا الحاضـر هى الخـوف من تبعات الصـراحة، والحرية في القـول، ومهما كان الأمر فإنه ينبغي التريث في الحكم على الآخرين عند حوارهم، بل إني على يقـين من أن الرفق واللطف في المحاورة حتى مع من شـذّ في رأيه، أو خرج عن القبول والمعروف في حواره قد يدله على الحق، فيأخذ به.

والمحاور بين موقفين: إما أن يضـيق ذرعاً بالرأي الآخر، وينهر صاحبه، أو أن يتسع صدره، ويرد بإقناع وكياسة وأدب على محاوره.

فإن اختار الأولى؛ فإن محاوره سيزداد تشبثاً برأيه وتعصباً لموقفه، وإن اختار الثانية، فإن احتمال الأخذ بالرأي الأصوب هو الأقرب.

ويذكرني أدب الحوار بموقف لي حين كنت طالباً في الدراسات العليا بالولايات المتحدة الأمريكية، حين طلب مني أستاذي المشرف على برنامجي الدراسي أن أتبحر في علم الإحصاء، فذكرت له عدم رغبتي في هذا، وبعدها دعاني إلى مكتبه، وأغلق الباب.. وقال: يامحمد، أنا حريص على أن تكون ممن يستعينون بالإحصاء في الشؤون العلمية والحياتية، والفرق بين من يستدل بالأرقام وبين من لا يستعملها هو أن الأول يقنع الطرف الآخر حين يحاوره بالأدلة، والأرقام، والإحصاءات، دون عناء وجهد.. أما الثاني، فإنه يلجأ إلى أن يضرب بقبضته على مكتبه، وما هو بمقنع أحداً مع تشنجه. ومن يومها، وبعد هذا الحوار العلمي الهادئ أخذت حظاً وافراً من علم الإحصاء واستعمالاته في كل ما يلزم من الأمور.

لا يلجأ إلى اللجاج ورفع الصوت في الحوار إلا الواهن ضعيف الحجة.. أما صاحب الحق القوي، والرأي الصواب، الواثق من صحته فإنه هادئ في حواره متجاوب في تساؤلاته.

لكن أكرر أنه يجب أن يكون الحوار مكتملاً لآداب الحوار وشروطه، محققاً لأهدافه، ولا يكون حوارنا مع الآخرين من نوع المنازعات والخصومات، أو التعصب الأعمى لما نرى. قال تعالى: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

وبهذه المناسبة، فإني أشيد بالغاية التي من أجلها قام «مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني». غير أني أرى غير ما يراه البعض الذين يرون أن الحوار هو لمجرد التمرس على الحوار، وليس بقصد الوصول إلى نتيجة يتفق عليها المتحاورون أصحاب الرؤى المختلفة

في الموضوعات التي يتحاورون فيها؛ لأنه لا جدوى من حوار لا تتبين بعده الرؤى الصائبة، ويؤخذ بها عند التطبيق العملي.

وعلى سبيل المثال: ما قيمة أن تدفع الهيئة المنظمة للحوار في موضوع ما الآراء المختلفة حول ذلك الموضوع إلى الجهة التنفيذية دون بيان الصائب منها، وتحديد ما في هذا الرأي أو ذاك من صحة وصواب، وما تم الاتفاق عليه بين المتحاورين.

وإني لآمل أن تكون الحوارات القادمة على اختلافها موصلة إلى الأقرب من الصواب، وطريقة الأخذ به، مغنية بذلك عن اللجاج الكثير المستمر، والتداخل الذي لا نفع وراءه، ويدخل في هذا الحوار حول القضايا كافة، ثقافية كانت، أو اجتماعية أو تعليمية، أو سياسية أو غير ذلك بما في ذلك الحوار بين المذاهب، والحوار بين الأديان، والثقافات، وإلا لبقيت الأمور مبهمة، وأصبح الحوار كما يقال: «حوار الطرشان» لا نهاية له، ولا مردود مفيد منه، وبقي الحال على ما هو قبل الحوار وبعده كما يقول المثل العربي: «كمن يدق الماء في الهون» لا نتيجة البتة لذلك الدقّ.

مبدأ المقنع الكندي

ما أعظم الإنسان حين يعلو على كل النقائص والهفوات، ويتجاوز عن الأخطاء والزلات، هذا مع الناس جميعاً، والأمر أكثر استحقاقاً مع الأقارب والأرحام، فهم أولَى بالرحمة، والمحبة.

﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٧٥].

صلة الأرحام صلة مباشرة قوية بالله تعالى، من وصلها وصله، ومن قطعها قطعه.

والرحم بين الناس هو الخيط الذي يجمع الحبات المتفرقة، فيتكون منها عقد واحد له اسم واحد، ووجود واحد، وقوة واحدة، ذلك العقد القوي المتين هو الأسرة.

ومن الأسرة يتكون المجتمع، وكلما كانت الأسرة متماسكة بأفرادها كان المجتمع كذلك مترابطاً متضامناً، مصلحة الفرد فيه جزء من مصلحة الجماعة التي لا تعرف الانحلال، ولا التخاذل، ولا التواكل، وبذلك يحيا المجتمع حياة قوية مستمدة من نفسه وشعوره، وبحسب المجتمع ذلك عزة وسعادة.

وإذا كانت الرحمة مطلوبة بالناس الآخرين، فإن الرحم من الرحمة والرحمة أحق بالأرحام.

وإذا كان الإحسان مطلوباً بين الناس عامة أداءً لحق الإنسانية المشترك، ومطلوباً بين المؤمنين على وجه خاص قياماً بحق الأخوة

الدينيـة فإنه بين الأقارب مطلوب على وجه أخص، وعلى نحو ألزم؛ قيامـاً بحق الرحم الذي هو محل عناية عظيمة في الوصـايا الإلهية وفي الهدي النبوي، وأنا من المعجبين بمقولة تنسـب لشـيخ الإسلام ابن تيمية، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن الإسلام يدور كله حول أمرين: الإخلاص للحق ورحمة الخلق» فإذا كانت رحمة الخلق عامة هي أحد الأمرين الذي يدور حولهما الإسلام فإنها للقريب أكثر استحقاقاً.

لقد كانت صلة الأرحام بمستوياتهم شغل الرسل والأنبياء جميعاً، وكلهم أداها حين لزومها؛ فها هو ذا نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يطلب النجاة لابنه من الغرق: ﴿يَـٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [هود: ٤٢]، وها هو أبـو الأنبياء إبراهيم يدعو أباه وأهله للتوحيد وترك الأصـنام: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٤٢]، وقـال لـه: ﴿يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَـٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَـٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ عَصِيًّا﴾ [مريم: ٤٣، ٤٤].

وغير ذلك من حق صلة الأرحام في سِيَرِ الرسل والأنبياء كثير، ومنهـا: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَـٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَـٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ٤٣، ١٣].

وها هو ذا السـيد المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يقول: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى﴾ [مريم: ٣٢]، وتجيء دعوة الحبيب المصـطفى لقومه خاصة والناس في كل الدنيا عامة دعوة نموذجية في البر بالأرحام على كل المستويات.. إذ أمرنا الله تعالى أن نحمي الأهل كما نحمي أنفسـنا: ﴿قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: ٦].

صلة الأرحام فرض عين على كل إنسان، يقول النبي ﷺ: **«والذي بعثني بالحق لا يقبل الله صدقة من رجل وعنده قرابة محتاجون لصدقته ويصرفها إلي غيرهم، والذي نفسي بيده لا ينظر الله إليه يوم القيامة»**.

ومما يؤكد أهمية صلة الأرحام وحتمية أدائها تجاههم قوله ﷺ: **«إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم، فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى.. قال: فذلك لك»**.

ثم قال رسول الله ﷺ: ﴿ **فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ** ﴾» [محمد: ٢٢-٢٣].

صلة الأرحام سمة النبلاء، الكرام ذوي الأصل الطيب، والعرق الكريم، وقد كنا في الماضي وحتى عهد قريب نرى صوراً متنوعة طيبة لصلة الأرحام بين أفراد الأسرة وبين مجموع الأهل والأرحام، خاصة في المناسبات الدينية كشهر رمضان، والأعياد وفي الأفراح، والأتراح، وغير ذلك كنا نشعر ونلمس ونرى قوة الترابط بين الأسرة الصغيرة مع من يرتبطون بها من الأعمام، والأخوال، والأجداد. وكم كانت الاجتماعات الأسرية بمختلف مستويات القربى مظهراً كريماً للبر بالأهل وصلة الأرحام.

أما اليوم.. فقد تغيرت هذه المظاهر النبيلة كثيراً عند بعض الناس؛ ففي زحام الحياة، وتسلط المصالح الخاصة، وانشغال

الناس بمطالبهم الذاتية، وبُعْدِ المسافات بينهم تغاضَى البعض عن هذه الصلة العظيمة، ولم يعد الواحد منهم يصل أهله وأقرباءه إلاّ عند الضرورات.

وقد يكون أحدهم غنيّاً وفي أرحامه فقراء، وقد يكون قادراً ميسور الحال وفي أقاربه ضعفاء، محتاجون، لكنه لا يعلم حالهم، ولا يشعر يوماً بحاجتهم؛ لأنه لا صلة له بهم، وقد ينفق الكثير على من حوله هنا وهناك، تباهيا وفخاراً، وكأنه لم يسمع الحديث النبوي الذي يوصى بصلة الرحم.

صلة الأرحام أولَى بها من هم أشد قرباً لنا ومن بعدهم درجة؛ فبعد الوالدين يأتي الإخوان والأخوات قبل الأعمام، والأزواج قبل سائر الأقرباء، وهكذا أبناؤنا، وكل من بيننا وبينه قرابة أو نسب، والأشد قرباً هو الأولى صلة.. دون قطيعة للآخرين.

وقصة زينب الثقفية رضي الله عنها امرأة عبدالله بن مسعود رضي الله عنه تؤكد ذلك.

إذ حثها الرسول صلى الله عليه وسلم حينما سألته عمن أحق بفائض مالها؟ فأرشدها صلى الله عليه وسلم إلى أن تكون للأقربين، وأولهم أبناؤها وزوجها. وعنها قال الرسول صلى الله عليه وسلم حينما نفذت توجيهه الكريم: «**إن لها أجرين**» أجر القرابة، وأجر الصدقة.

من هنا أُردد قول الله تعالى لنفسي وللجميع: ﴿**وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**﴾ [النساء: ١].

فصلة الرحم لا تنقص من المال شيئاً، ولا تكلف صاحبها ضرّاً؛ بل تزيده كما جاء في قوله ﷺ: «**من أحب أن يُبسط له في رزقه وينسأ له في أثرِه، فليصلْ رحمه**».

ولكنّ هناك جانب آخر لا بد أن نشير إليه وهو أن الإنسان قد يكون بارّاً بأهله واصلاً لرحمه، لكنهم قد يسيئون إليه، وقد يفعلون معه ما يدفعه لو ترك نفسه تردُّ بالمثل لَقَطَعَ صلته بهؤلاء الأرحام، وَلاسْتَمرت العداوة قائمة بين الطرفين.

من ذلك: ما ورد في الأثر أن رجلاً قال: «**يا رسول الله، إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني، وأحسن إليهم ويسيئون إليّ، وأحلم عنهم ويجهلون عليَّ، فقال: لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم الملَّ** -التراب الحارق-، **ولا يزال معك من الله عليهم ظهير ما دمت على ذلك**».

يذكِّرني هذا الموقف الذي لا تخلو الحياة من تكراره بما كان من أمر الشاعر الأموى الكبير الملقب بالمقنع الكندي، الذي سجله في قصيدته الغراء: «يعاتبني في الدَّينِ قومي».. وكأنهم تخلوا عنه لتغير حاله وضيق ذات يده يوماً.. أو ثقل الديون على كاهله مرة.. لكنه بقي على حبه لهم، وصلته بهم.. لم يقاطعهم وقد قاطعوه.. ولم يتركهم وقد تركوه.. ظل على حب الخير لهم مع أنهم ظلموه.. يعلن أنه سيسرع على الرغم من كل ذلك إلى نصرهم لو دعوه، وأنهم سيجدون منه المحافظ على صلة أرحامه مهما خذلوه.

هل لنا نحن اليوم أن نسير سيرة المقنع الكندي، وننهج نهجه القويم، ونحافظ على مبدئه الكريم، ولا نقطع صلة أرحامنا إن هم أساؤوا إلينا يوماً.

هل لنا أن نكون أكرم فعالاً مع إخواننا وأقاربنا إن هم خذلونا، يقول المقنع في ذلك:

وإن الذي بيني وبين بني أبي وبين بني عمي لمختلف جدّاً
أراهم إلى نصري بطاء، وإن همُ دعوني إلى نصرٍ أتيهتم شدًّا
فإن يأكلوا لحمي وفرت لحومهم وإن يهدموا مجدي بنيت لهم مجدا
وإن ضيعوا غيبي حفظت غيوبهم وإن هموهووا غيي حفظت لهم رشدا
وإن قطعوا مني الأواصر ضلةَ وصلت لهم مني المحبة والودا
ولا أحمل الحقد القديم عليهم وليس كريم القوم من يحمل الحقدا
فذلك دأبي في الحياة ودأبهم سجين الليالي أو يزورنني لحدا
لهم جل مالي إن تتابع لي غنى وإن قل مالي لم أكلفهم رفدا

هذه سمات نبيلة، لا تتأثر بالقطيعة.. إنها أخلاق سامية لا تتدنَّى لبعض المواقف الظالمة؛ لأنه من هذه الأرحام الأصيلة، وإن لقي منهم ظلماً وغبناً فقد جاء هو كريماً أصيلا نبيلا؛ لم يردّ العيب بعيب، ولم يقابل القطيعة بقطيعة؛ لأنه منهم، وهم أرحامه وجبت عليه صلتهم مهما أساؤوا.

والناس بمثل هذا الصفح والتجاوز سيتراجعون آسفين نادمين على ما قطعوا من أرحامهم، وآذوا أقرباءهم قناعة منهم بأن صلة الأرحام هي العلاقة التي يجب ألاّ نقطعها إيماناً بالله وتنفيذاً لأمره بها مهما بدت من أي طرف هفوة تجاه الآخر.

obeikandl.com

مـا أكرمك خلقـاً أيها المقنـع! ما أنبلك شـعوراً أيها الواصـل رحمك، وما أعظمك مبدأ وأنت مع كل ما لقيته من قومك تعلن أنهم هـم أعظم من ترى، وأكرم من تعرف من الناس، وأنهم على الرغم مما فعلوا، أهل فضل، وأصحاب أحلام، وقوم مجد وتاريخ وشرف.

على أن قومي ما ترى عين ناظر   كشيبهم شيباً، ولا مُردِهم مُرْدَا

بفضلٍ، وأحلام، وجودٍ، وسؤددٍ   وقومي ربيع في الزمان إذا شدا

فهيا بنا إخواني القراء، نطيع الله فيما أمرنا أولاً ثم نقتفي أثر هذا المقنع، ونصـل ما قد نكون قد قطعناه من أرحامنا، هيا نتصـل بهم بكل وسـائل الاتصال، وبكل سـبل تحقق لنا صلة الأرحام والبر بهم، والعناية بكل شؤونهم، وليس كريم القوم من يحمل الضغينة!

وإني لأخص بحديثـي هـذا مـن هـم متنازعـون مـن الإخوة، متخاصمون من الأقارب، لسبب مادي زائل، أو خلاف أسري عارض، أو عدم قبول رأي أو سوء فهم لقول وأمثلة ذلك كثيرة بين من نعرفهم، في هذا العصر لهم جميعاً أقول: عودوا واصلين من قطعتم من أهلكم، وأقاربكـم، وأرحامكـم، فالدنيا زائلـة وليس فيها من الأسـباب التي دفعتكم للقطيعة ما يسـتحق غضـب الله عليكم إن تماديتم في قطيعة ما وصله الله، وفي تسامحكم ورضاكم عن بعضكم رضا لله عنكم.

فيا أخي:

إن كنت على شيء من ذلك الخلاف أو تلك الخصومة مع أحد مـن أقاربـك، أو أرحامك، فإني أسـتحلفك بالله أن تراجع نفسـك الآن، وتعود إلى رشـدك، وتقلع عما هـو بينك وبين أحد من أقاربك من خصام، إن كان هناك خصام.

أمانة الكلمة

- كلام المرء يفصح عن شخصيته.
- لكل مقام مقال.
- لسان العاقل تابع لقلبه، وقلب الأحمق تابع للسانه.
- بمقدار الصمت تكون الهيبة.

هذه مقولات تراثية تُضيء أمامنا الطريق إلى حقيقة أمانة الكلمة، وبالغ أهميتها، وما أثقل حمل أمانة الكلمة، وأشد الحساب عليها.

إن الكلمة أمانة أمام الله، ثم أمام الخلق، ولقد حذرنا الإسلام من القول بغير علم أو الحديث دون صدق، أو النطق من غير حق.

قال أبو حيان التوحيدي نقلاً عن أستاذه السجستاني: «نزلت الحكمة على رؤوس الروم، وألسن العرب، وقلوب الفرس، وأيدي الصين»، وهذا يعني أن للكلمة العربية دقة بالغة ما يُحقق لها دقة أداء الأمانة وتحديد كمها ومداها.

وليس لأحد إنكار أن الحضارة العربية قد أعطت فكراً، وعلماً، وفنّاً، وكان دور اللغة في كل ذلك بارزاً وتعبير الكلمة عن كل ذلك واضحاً، حتى إن إعجاز القرآن للعرب ولغتهم هو الدليل على ما للكلمة من أهمية في حياتنا، وما لها من دلالات على حقيقة أنفسنا، ودواخل شخصياتنا.

لقد كانت الكلمة عند الإنسان العربي «سلوكاً» يرى فيه الرجل ترجماناً يعبر عن شخصيته، ولسان حالٍ ينطق باسم ذاته العميقة،

obeikandl.com

ولهذا قالوا: «إن الكلام ترجمان يعبر عن مستودعات الضمائر، ويخبر بمكنونات السرائر، لا يمكن استرجاع بوادره، ولا يقدر على رد شوارده. ويقول الناس اليوم: «لسانك حصانك إن صنته صانك، وإن أهنته أهانك»».

لم يكن العرب غافلين عن دور الكلمة، وأنها أمانة في رقبة المتكلم؛ حتى إن رسول الله ﷺ حين توجه بالنصح إلى معاذ قال: «**يا معاذ، أنت سالم ما سكتَّ، فإذا تكلمت، فعليكَ، أو لك**» أجل، فإن كلامك من عملك: يشهد لك أو يشهد ضدك، إن الكلمة من قائلها بمعناها في نفسه، لا بمعناها في نفسها، وهو حين ينطق بها، فإنها تحكم عليه، أكثر مما يحكم هو عليها، وهي حين تكون محكومة معقولة، فإنها تجيء لتوضح حقّاً، أو تدحض باطلاً، أو تنشر حكمة، أو تذكر نعمة، أما حين تكون هوجاء طائشة، فإنها قد تكشف عن جهل، أو تسبب ضراً، أو تذيع سرّاً أو تتلف نفساً».

وقديماً قال سقراط لشاب كان يديم الصمت: تكلمْ حتى أراكَ، وإلى هذا المعنى أشار علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين قال: «تكلموا تُعرَفُوا، فإن المرء مخبوء تحت لسانه».

لا شيء أولى بطول حبسٍ من لسان يقصر عن الصواب، ويسرع إلى الجواب، لا حاجة بالعاقل إلى التكلم إلا لعلم ينشره، أو غُنم يكسبه.. فمن أمانة الكلمة حُسن استخدامها، فهي الدالة على ما يريده صاحبها صادقاً أو كاذباً محقّاً أو مرائياً.

وقضية مهمة تطل عليّ الآن لماذا اشتهر الشعراء، وعلت مكانة الأدباء؟ هل بأسمائهم أوبمكانتهم الاجتماعية؟ أو بمالهم؟ أبداً

إنهم لم يشتهروا ويعيشوا عصرهم والعصور بعدهم إلا بكلماتهم التي أودعوا فيها مشاعرهم وأفكارهم، وطرحوا بها آراءهم، فإن قالوا حقّاً فقد وعوا الأمانة، وإن نافقوا فقد خانوها.

إن دقة التعبير وشدة تحديد المراد واختيار الكلمات التي تُعبر عن هذه المعاني هو نوع من أمانة الكلمة.

وعلى سبيل المثال: ما نال المتنبي شهرته الذائعة إلا بكلماته المنتقاة، ولغته المصفاة؛ ذلك لأن الكلام ميزان الرجال، وترجمان العواطف، وبوح الوجدان، وتتميز الكلمة في اللغة العربية دون سائر اللغات؛ بقدرتها على دقة التعبير دقة متناهية؛ ذلك لأن للمعنى الواحد عشرات من الكلمات أو أكثر، وفي معجم فقه اللغة للثعالبي ما يؤكد ذلك.. لكن هناك من علماء اللغة من رفض مقولة المترادفات في اللغة، مؤكداً أن لكل كلمة معناها الخاص، وإن تشابه مع غيره.. فالكرم غير الجود، غير السخاء، غير العطاء. والإعجاب، غير الحب، غير العشق، غير الوجد، غير الوله، غير الصبابة. والبخل غير الشح، غير التقتير، وهكذا نجد في لغتنا تحديداً قويّاً لمستوى المعاني الذي جاءت له كل كلمة، ما يدل على الأمانة في دقة الوصف.. نقول: هذا رجل سخي، وهذا رجل معطاء، لكل منهما دلالة عملية وسلوكية، فهي أمانة الكلمة، حتى في وصفها للصفات المتشابهة.

هذه الأمانة، بل هذه الدقة في استعمال الكلمة تشير إلى أهمية البيان حتى إن النقاد رفضوا الصورة الشعرية الخيالية التي فيها مبالغة غير مقبولة، ذلك لأن البيان يعدّ مقوماً من مقومات شخصية

الإنسان، وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال يوماً لعمه العباس: «**يعجبني جمالك**» قال: «وما جمال الرجل يا رسول اللّه؟ قال: «**لسانه**»، أي صدق الحديث، ودقة التعبير عما يراد دون مبالغة فيه.

وهكذا كان جمال الرجل في رأي الرسول ﷺ وثيق الصلة بفصاحة لسان الإنسان ورجاحة عقله. والفصاحة هي الصحة اللغوية، والدقة في التعبير عن المراد، وهي من أسمى شروط أمانة الكلمة.

من هذا نعلم أن العاقل لا يطلق لسانه إلا بعد مشاورة مع عقله، وروية مع نفسه تسبق سقطات لسانه وفلتات كلامه مراجعة فكره.

لهذا كان العرب لا يستحسنون الإسراف في القول، والاسترسال في الكلام؛ لأنهم كانوا يرون أن من أُعجِب بقوله أُصيب في عقله، فضلاً عن أنهم كانوا على وعي بأن المسترسل في الكلام كثير الزلل، دائم العثار، ومن هنا كان أجدادنا العرب، ولا يزال الجيل الكبير في عصرنا يضيقون بالثرثار، ويكرهون الملحّ المهذار، وهذا ما يعنيه الجاحظ بقوله: «إن للكلام غاية، ولنشاط السامعين نهاية، وما فضل عن الاحتمال، ودعا إلى الاستثقال والملال، فذلك هو الهذْر».

ومن هنا قالوا: البلاغة الإيجاز، خير الكلام ما قل ودلّ، بل إن هناك من المعاني الواسعة التي تطلق عليها كلمة «الكلمة».

مثل: «كلمة التوحيد» وهي ليست كلمة، لكنها كلمات عدة ويقال للشاهد قل: «كلمة الحق» وربما تكون أسطراً عدة أو مئات الكلمات.

ومن هذا كله نرى أن أمانة الكلمة أمانة ثقيلة، وعليه فإن الصمت في كثير من المواقف من مسوغات أمانتها، فما دمت

صامتاً فأنت محافظ على أمانتها، ويكون الصمت أحياناً خير تعبير عن موقف ذلك الصامت في بعض المناسبات، وفي المقابل قد يكون الصمت في بعض المواقف خيانة للأمانة؛ إذا لم ينطق الإنسان بالحق الذي يعرفه؛ ولهذا يُقال: «الساكت عن الحق شيطان أخرس».

لقد عرف الأئمة السابقون مدى خطورة أمانة الكلمة، فها هو الإمام مالك يقول: «من سئل عن مسألة فينبغي له قبل أن يجيب عنها أن يعرض نفسه على الجنة والنار، وكيف يكون خلاصه في الآخرة، ثم يجيب فيها».

وها هو القاسم بن محمد يقول: «والله لأن يقطع لساني أحب إليّ من أن أتكلم بما لا علم لي به».

وقد وضع الحكماء شروطاً للكلام الذي به تتحقق أمانة الكلمة، ومن أول هذه الشروط: أن يكون القول لداعٍ يدعو إليه، إما في اجتلاب نفع أو دفع ضرر، وأن يأتي المتكلم بقوله في موضعه، ويتوخى به إصابة فرصته، وأن يقتصر منه على قدر حاجته. وأهم الشروط أن يتخير اللفظ الذي يتكلم به، خصوصاً أن اللسان عنوان الإنسان، يترجم عن مجهوله، ويبرهن على محصوله، لهذا قال الشاعر:

كفى المرء عيباً أن تراه له وجه وليس له لسانُ

وكم لكلمة اليوم من الأهمية التي قد تثير جدلاً محليّاً أو حتى دوليّاً.. وكم يكون هناك نزاع شديد في المحافل السياسية حول معنى أو تحديد كلمة، بل إن حرفاً من كلمة قد يغير المعنى، ويبدل المقصود.

وأذكر في هذا الخصوص ما دار في مجلس الأمن بعد هزيمة العرب مع إسرائيل واحتلالها المزيد من الأراضي العربية عام ١٩٦٧م إذ جاء في نص البيان: «انسحاب إسرائيل من أراضٍ عربية» فعارض ذلك جميع الأعضاء العرب هناك رافضين تنكير كلمة «أراضٍ» وطالبوا بأن يكون القرار: «انسحاب إسرائيل من الأراضي العربية» ليكون ذلك شاملاً كل الأراضي العربية التي احتلتها بعد الحرب ولو كان المجلس مراعياً أمانة الكلمة لَعرَّفوها، وحددوا بدقة المراد بها، ولما جعلوها عائمة الدلالة تحتمل بتنكيرها أكثر من معنى.

إنه ليس من أمانة الكلمة أن يحبس المُعلم بعض العِلم عن طلابه، ويكتفي بشرح موجز لدرسه. إنه ليس من أمانة الكلمة ألاّ تذكر كل حقائق ومقومات نظرية، أو شرح مهمة تكلف بها الآخرين.. وألاّ توضح تفاصيل العمل المراد للعاملين، وأنه ليس من أمانة الكلمة أن تدعي أن هذا العِلم أو هذه الفكرة أو هذه المقولة هي لك مع أنها لغيرك.

وتحضرني صورة أخرى غاية في الاهتمام بأمانة الكلمة، والحرص على صحتها وسلامتها؛ تلك هي الحقوق الفكرية للعلماء والمؤلفين، التي تأخذ اليوم اهتماماً كبيراً من حقوق الإنسان سواءً فى الدول منفردة، أم فى الأمم المتحدة بعد أن شاعت ظاهرة الأخذ عن المؤلفين، وسرقة بعض أفكار المبدعين ونسبتها إلى غيرهم، وهذا الفعل الخؤون هو أكبر اعتداء على أمانة الكلمة ومصداقيتها.

إن العرب هم أبلغ من تكلم، وأوتوا الحكمة في كلامهم، لهذا فهم يعتنون بأمانة الكلمة حق العناية، وقد وقفوا ضد من يخون

أمانــة الكلمــة موقفاً قاسـياً عنيفاً يعيبـون عليه.. حتى إنهـم أنكروا رافضين ما ظهر من السرقات الشعرية التي يأخذ الشاعر فيها بيتاً أو جزءاً من بيت، أو يتناول معنى لغيره، وينسبه إلى نفسه، على حد قول أحدهم: «أن تسرق مالي أهون عليَّ من أن تسرق عقلي» قال طرفة:

ولا أغير على الأشعار أسرقها عنها غنيتُ، وشر الناس مَن سرقا
وإنَّ أحسـن بيـت أنـت قائلـه بيت يقال: إذا أنشدته صدقا

بل إنهم لشدة اهتمامهم بأمانة الكلمة رفضوا الكذب في الشعر وقضـية الصدق والكذب في الشعر العربي قضية كبيرة متشعبة، إذ اعتـبر بعض النقـاد أن المعنى الذي يسـتحيل تحققـه خيانة لأمانة الكلمـة، واعتـداء على حـدود المعاني؛ لهـذا فهم يمدحون الشـعر الصــادق في معانيه، ويقررون أن الصدق في الشعر فضيلة لا تنكر، وعلى هذا فضـل عمر بـن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ زهيراً، وقـال فيه: «إنه لا يمدحَ إلاّ بما فيه».

وعمر هو الذي رفض كذب الحطيئة، حين قال مادحاً:

متى تأتِه، تعشو إلى ضوء ناره تجد خير نار عندها خير موقد

قال: كذب، بل تلك نار موسى نبي الله عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ومـن الشـعر الذي عيـب لعدم الالتـزام بأمانة الكلمـة ما فيه استحالة الأمر، كقول أبى نواس:

وأخفتَ أهل الشرك حتى إنه لتخافكَ النطف التي لم تخلقِ

وقول عبد الرحمن القس في سلامة:

فـإذا مـا المـوت حـلَّ بنفسهـا يـزال بنفسي قبل ذاك فأقْبَرُ

إن أمانة الكلمة بمفهومها العملي هى حفظ اللسان عما هو غير صـادق، أو فيه شـر للناس، أو ادعاء بالكذب، أو تلفيق اتهام، أو أن تكـون الكلمة غير ما يريده بهاـ في داخله، ولهذا فإن صـدق اللسـان يتصدر القيم الإسـلامية في كثير من المواقف والأوامر الإلهية التي تؤكد حتمية حفظ اللسـان عن أن يخون الكلمة، ويُبعد نطقه بها عن أمانتها. ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤]. ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ شَغَلَتۡنَآ أَمۡوَٰلُنَا وَأَهۡلُونَا فَٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَاۚ يَقُولُونَ بِأَلۡسِنَتِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡ﴾ [الفتح: ١١].

والأحاديث النبوية الشـريفة في الدعوة إلى حفظ اللسان وأداء أمانـة الكلمـة أكثر من أن تحصـى في هذا المقـام.. منها قوله ﷺ: «**مـن كان يؤمـن بـالله واليوم الآخـر، فليقـل خـيراً، أو ليصمت**». «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**».

وقال ﷺ للصـحابي الذي طلب معرفـة النجاة: «**أمسكْ عليك لسانك..**».

والحديث الذي يجب أن نعيه جيداً في أداء أمانة الكلمة قوله ﷺ: «**إذا أصبح ابن آدم، فإن الأعضاء كلها تكفِّر اللسان، تقول: اتق الله فينا، فإنما نحن بك، فإن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا**».

كثيرة سـنة الحبيب المصـطفى في الدعوة إلى الالتزام بأمانة الكلمة: «**الصمت حكمة وقليل فاعله**».

«**أكثر خطايا ابن آدم من لسانه**».

ذلـك لأن الإنسـان قـد ينطـق بالكلمـة دون مراعـاة لأمانـة مقصـدها، بل يلمز الناس بكلماته، وكأنه يطعنهم بسيف قاطع، أو رمح نافذ، وربما كان وخز اللسان أشد وأنكى.

جراحـات السنـان لهـا التئـام ولا يلتئـم مـا جـرحَ اللسـانُ

وفي حياتنا العملية وخاصـة عند القضاء، والأحكام، والحاجة إلى شـهود ثقات.. يقسم الشاهد بالله أنه صادق فيما سيقول؛ وأنه لن يحول الكلمات عن حقيقة مدلولها، وهو يضمر غير ذلك.

بل إنها تُرفَض شـهادة من ثبـت عليه الكذب قبل ذلك؛ لأنه لم يـراعِ أمانة الكلمة، فرب كلمة تنقذ روحـاً، ورب كلمة تؤدي إلى قتل روح أخرى.

أمـا ما هو شـائع بيننا جميعاً فهـو أمانة الكلمـة عند المعلمين والمؤلفـين والعلمـاء؛ ففـي الكتابة العامـة، وفي موضـوعات التعبير والتحرير، لا تقبل أبيات شعرية أو حكم منسوبة إلى غير صاحبها.

ولهذا، فإنه من قواعد التحرير العربي وصحة الكتابة أن يوضع كل منقول أو مقتبس بين قوسـين، بعد ذكر صـاحبه الأصلي، وكذلك يشار في هوامش الصفحات إلى مصادر هذه العبارات أو الاقتباسات والاستشهادات المأخوذة من الآخرين توكيداً لمراعاة أمانة الكلمة.

وكـم كان في مناقشـات الرسـائل الجامعيـة من نقد شـديد، عندما لا يلتزم الطالب بهذه القواعد في النقل أو الاستشهاد، إشارة أو رقماً إلى مصدرها وصاحبه وتاريخ طباعته ورصد مراجع البحث كلها في آخر الكتاب.

وهـا نحن اليوم، وجميع دول العالم، تتخذ من القوانين النافذة أشدها في الحفاظ على أمانة الكلمة.

وفي جانـب معنوي مهم هو أنه ليـس من أمانة الكلمة الإعجاب بالرأي: الجرأة على الفُتْيا، وعدم تردد المرء في الإجابة عن الأسئلة التـي تطـرح عليـه أو على غـيره، مع عـدم تمكنه في العلـم، وذلك لإحساسه بأنه يستطيع التحدث في كل موضوع.

وهـذا ما جعل الإمـام أبا حنيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقـول: «لولا الخوف من الله أن يضيع العلم ما أفتيت أحداً، يكون له المهنأ وعليّ الوزر».

تلك هـي أمانة الكلمة، ودقة اسـتعمالها، وما يترتب عليها من أعمال قد تودي بالإنسان، أو تحقق له خيراً كثيراً.

ومـا أحرانا أن نلتزم بدقة الحديـث، واختيار مدلول الكلمات؛ فإنهـا أمانـة في أعناقنا عندما تخـرج من ألسـنتنا، وإني أدعو إلى عـدم المبالغـة في الأوصـاف، وتجنـب المدائـح الممجوجـة، أو الذم والقدح في أناس لأسـباب شخصـية، ولنتذكر دائماً أن الكلمة أمانة وسنحاسـب على كلامنا يوم الحساب، ولنعمل على إثبات أننا لسنا ظاهرة صوتية دون عناية بمدلول الكلمة ومعناها، كما جاء في كتاب عبدالله القصيمي «العرب ظاهرة صوتية».

الإخلاص

يرتبط معنى «القيم» في كل استعمالاته وما أكثرها بالاعتدال، والاستقامة، والثبات والاستواء، والخير، والفضل، وما في مشتقاته، سواء في الماديات أم المعنويات، فيما يخص الدين أو الدنيا، أو ما يخص الفرد، والجماعة، والوطن.

وعصرنا بتحدياته الكثيرة يعرِّض بعض القيم العليا في عقيدتنا وسلوكنا وثوابتنا إلى الاهتزاز من جراء التأثر ببعض الأفكار الدخيلة علينا.

إنه ليتحتم علينا جميعاً أن نتشبثَ بقيمنا، ونصرُّ بِعنادٍ على رسوخ ثوابتنا الدينية والعربية، والوطنية.

كثيرة هي قيمنا التليدة وثوابتنا، فأين نحن منها؟

إن مما يجب علينا التحلي به، والعمل بمقتضاه الإخلاص: الإخلاص بكل صوره. الإخلاص في كل أبعاده.

تحمل كلمة الإخلاص وكل ما يشتق من «خَلَصَ» معنى الصفاء والنقاء؛ إذ يُقال «خلَصَ خُلوصاً وخَلاصاً» صفا وزال عنه شَوبه، وأخلصَ الشيء أصفاه ونقّاه وأخلص النصيحة والحب، وأخلصَ لله دينه، تركَ الرياءَ فيه ومنه «تخالص القوم تصافُوا».

وقبل كل ذلك تجيء كلمة الإخلاص التي هي كلمة التوحيد، في سورة الإخلاص ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١].. لقد جاءت

كلمة الإخلاص ومشتقاته ثلاثين مرة في القرآن الكريم، ووردت في عدد كبير من الأحاديث النبوية الشريفة. ذلك لما للإخلاص من أهمية كبرى، فبتحققه تقبل كل العبادات، وبغيابه أو ادعائه تُردُّ كل الأعمال.

الإخلاص من المحامد العظيمة التي يمدح بها الناس والأعمال.

قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي﴾ [الزمر: ١٤]، ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [غافر: ١٤].

ومن أقواله ﷺ في الإخلاص: «**من أخلص لله أربعين يوماً دخل الجنة**»، «**من أخلص لله أربعين يوماً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه**».

وهكذا الإخلاص بعد الإيمان، هو رأس الأعمال وأساسها، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥]، وعليه فإنه الشرط الأول لصدق الإيمان، والأساس الأوحد لصحة الأعمال، وأن يكون الإخلاص صادراً عن النية بإخلاص ويقين لا تشوبه شائبة.

أعظم صور الإخلاص هو الإخلاص لله إخلاصاً في الإيمان بوحدانيته، وأنه لا إله إلاّ هو حقّاً وصدقاً قناعة ويقيناً إخلاصاً يسبق كل صلاة كل ركوع وسجود تشعر في نفسك بصدق وانفعال أنك تصلي لله، تسجد له وحده سجود الموقن بتفرده، تدعوه دعاء المؤمن الذي يغمره شعورٌ وفكرٌ قويان بأنه يدعو اللّه السميع، القريب، المجيب.

تذهب إلى صلاة الجماعة حاشاك أن تذهب ليراك الناس مع الجماعة، أو تذهب ليقال عنك: إنك مؤمن ملتزم، فشعور كهذا يلغي سمة الإخلاص الواجبة حتماً في كل العبادات.

إن صُمت تطوعاً، فلا تكثر من التحدث عن أنك صائم في العمل أو غيره بل اجعل صيامك في نفسك ما استطعت، ليس دعاية أو تظاهراً؛ لأنك صائم سواء صمت عن الكلام عنه أو تكلمت إذاً، فالصوم دون إعلان هو الأفضل والمقصد.

كثيرة إعلانات الموسرين في الصحف عن تبرعاتهم ومعوناتهم للأعمال الخيرية وكثيراً ما تنشر الصحف الشكر ممن نالهم هذا التبرع أو تلك المعونة، كثيراً ما نقرأ بنَى فلان مسجداً، أو داراً خيرية لقد نالوا من الناس الشكر والعرفان، لكنهم ربما فقدوا سمة الإخلاص للّه تعالى في عملهم؛ فالصدقة أن تكون كما وصفها الرسول ﷺ بما معناه: لا تعلم شمالك ما أعطت يمينك، لكن يبقى لهم حسن الصنيع إذا ما أرادوا بالإعلان حث الآخرين على المزيد من الخير والعطاء، ولقد كنت مبتهجاً مثل غيري حين تبرع من لم يعلن عن نفسه بمئة وثلاثين مليون دولار، أودعها بنك التنمية الإسلامي، من أجل إنقاذ ضحايا الفيضان في بنجلاديش، وهو بذلك أنموذج حقيقي للإخلاص.

الإخلاص في الصلاة في الصيام في كل أركان الإسلام وأعماله الإيمانيةالإخلاص في كل عمل، فأنت مراقب من اللّه تعالى، اعمل بدافع الإخلاص في عملك للّه تعالى لا للشهرة أو التميز أو المكافأة، فمكافأة اللّه أكبر وأعظم.

obeikandl.com

الإخلاص في العمل ظاهرة إيمانية، يجب أن تكون هي المحرك الحقيقي لكل حركاتنا، والدافع القوي لكل عملٍ لنا.

لا تكن عاملاً متهاوناً في نظام العمل، كثيراً ما يتعلل البعض للخروج من العمل بحجة المراجعة الطبية، أو غير ذلك إنه ليس الإخلاص الحقيقي، فالإخلاص الصادق أن تعطي كل جهدك، كل فكرك، كل اهتمامك، كل وقتك للعمل الذي أنت مكلف بأدائه، وتتقاضى راتباً عن بقائك فيه، إلا لعذر قهري. فإن أهملت قليلاً من وقت العمل بلا سبب حقيقي، فإن في راتبك جزءاً حراماً يعادل إهمالك.

إن كنت معلماً، فليكن إخلاصك طوال الدرس دون كَللٍّ أو ضجر تعطي الوقت للدرس تبحث عن مزيد من العلم يتصل بما تقوم بتدريسه، الإخلاص يحتم عليك صدق الاهتمام بطلابك والأخذ بيد الضعيف، والعدالة في التقويم، واعلم أن الله يقوِّم لك عملك، ويعلي لك قدرك إذا كنت مخلصاً للدرس، في وقته، وبالبحث عن كل ما يدعمه ويثري عطاءك فيه لطلابك.

أما عن الإخلاص للأهل وذوي الأرحام فحق شرعي أن ترعى والديك، إذا كبرا رعاية صادقة بقلب راضٍ، وشعور مخلص، أداءً لديْنهما عليك طوال عمرك وأن تخلص لهما السمع، والطاعة، والبر إذا كانا بخير وعافية إخلاصاً يتفق وما قدما لك من أبوة معطاءة وأمومة حانية.

ولأبنائك الإخلاص في التربية والتوجيه، تقويم صادق لسلوكهم، دوام المتابعة لهم والسؤال عنهم، وقد قلنا في الأبوة: إنها الاهتمام الدائم بالأبناء.

والإخلاص ليس قولاً يُدَّعَى، بل عمل حقيقي، لو فتشت عما وراءه لم تجد إلاّ الصدق في الأداء في كل ما يرتبط بالآخرين.

أما إذا جئنا للجانب الأكبر الإخلاص للوطن الذي أنت لبنة في بنائه، ولو أن لبنة سقطت لسقط معها عدد آخر كبير.

الوطن هو هذه البلاد التي تنتمي إليها، وهو ذاتك وكرامتك، بل كما يقال هويتك:

وطني الحبيب هويتي أنت الهوىَ وسعادتي
وطني فداؤك واجب بالمال، بل بالمهجةِ
من ذا يفاخر أنني ابن الجزيرة قلعتي

وقد تسألني: كيف أخلص لوطني.. كل وطني؟!

من الإخلاص للوطن ما سبق الحديث عنه من الإخلاص في العمل، فهو حق لا مناص منه للوطن والناس جميعاً.

أما حق الوطن بوصفه وطناً، فهو أن تكون في كل سلوكك بما لا يضر بالوطن عن صدق شعور، لا تفسد أفكار الناس بالشائعات المغرضة، لا تعكر صفو حياة الناس بالتصرفات السيئة.

دافع عن وطنك بفكرك المستقيم لا تجرفنك الانحرافات الخلقية أو الفكرية، ففى ذلك تشويه للصفحة البيضاء التي هي سيرة هذا الوطن.

إن كنت مسؤولاً فكن حامياً لكل ما أوكل إليك من المهامِّ والأعمال، الإخلاص لمن هم فوقك، والإخلاص للعاملين الذين هم

تحت إدارتك، لا تحمل إلى القيادات فوقك شيئاً ليس صادقاً، ولا تهمل ما توجه به الرئاسة من أمور واجبة.

سلطان الوطن والإخلاص له أكبر من كل سلطان، ليس من الإخلاص للوطن أن ترضِي من معك في أمر ليس من مصلحة الوطن عمله لا تعطِ أحداً من رجالك والعاملين معك شيئاً بغير حق لا توافق، على مكافآت لبعضٍ دون عمل يساويها، ولا تحرم أحداً من مكافآت يستحقها.

المال العام الذي تحت يديك إذا كنت ممن خُولتَ لهم شؤون مالية أهمُّ من مالك الخاص، إن تضييع المال العام في غير مكانه جرم وخسارة أبشع من تضييع مالك الخاص؛ لأن المال العام هو مال لكل فرد في الوطن؛ فانظرْ كَمْ مليون صاحب حق سيقاضونك أمام الله.

الإخلاص للوطن أن تدفع عنه كل شر ومكروه عملي، فعلي، معنوي، إذا احتاج الأمر إلى التضحية بالبدن والروح، فهذا حق واجب على من هم مطالبون به، والإخلاص الفعلي ألاّ تترك بمقدَّراتِ الوطن فرصة لتضييع الحقوق، أو تشويه الإنتاج، أو تزييف الحقائق.

الإخلاص الصادق الحقيقي أن تردَّ عن وطنك كل ما قد ينشره أهل الحقد والعداء حول وطنك.

ليس مخلصاً من يجاري الشائعات الكاذبة.

ليس مخلصاً أي إخلاص من ينضم إلى الجماعات الخارجة عن الحق والقانون.

ليس مخلصــاً من يبوح بسر أو حقيقة خاصة بوطنه للآخرين، إذا كان ذلك غير مسموح بنشره.

رحبــة دنيــا الإخلاص، قوية مشــاعره؛ لكنها خفيــة دقيقة، لا يعلمها إلاّ الذي خلق الإنسان: ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

الإخلاص خيط رفيع يفصــل بين قبول الأعمــال وردّها، يميز بــين حقيقة دوافع هذه الأعمال، وما قد تكون عليه من غير إخلاص عند أدائها.

ويأتي ضــمن فضــائل الإخلاص الإتقان في العمل أيّاً كان نوعه وقدره، وجاء في حديث شريف: «**إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه**». وليس لهؤلاء الذين يتذرعون لعدم إتقانهم أعمالهم بقلة الأجــر، أو ســوء التعامل، أو غير ذلك من أمــور لا دخل لها بحقيقة الإتقان.. ليس لهم مســوغ في التخلــي عن جودة الأداء وإتقان العمل المنــوط بهم.. إن المرء بين أمرين: إما أن يقبل العمل على أن يتقنه، ويتحــرى فيه الدقة والكمال بصــرف النظر عما تقــرر له من أجر، أو لا يقبــل أداءه لعــدم كفاءة ذلك له. إنه ما أضــر بالعمل وقلل من ثمــاره المرجوة غير هؤلاء الذين يقولــون: «أدِّ العمل كيفما كان» فلا هم أحسنوا العمل، ولا هم أرضوا الله ربهم، وجعلوا أجرهم حلالاً.

وهكذا.. ترأَّسهم الصَّادقُ الأمين

ما أجمل أن يكون المرء صادقاً مع نفسه ومع غيره لا يخدع ولا يُمَوِّه، فكل خِداع حتماً سينكشف، وكل تمويه، بالضرورة، ستظهر حقيقته.

وما أكرم أن يكون الإنسان أميناً في تعامله مع نفسه والناس أيضاً؛ إذ الخيانة وصمة عار مرفوضة، وصفة خزي منبوذة، والأمانة بكل معانيها ودلالاتها هي السمة الكريمة التي خص اللّه بها الإنسان وحده: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾[الأحزاب: ٧٢]. حمل الإنسان الأمانة، وما يترتب عليها من مسؤوليات؛ لأنها ذات أبعاد شاملة كثيرة.

أليست الأمانة من الإيمان؟ فالخائن ليس وثيق الإيمان.

أليست الأمانة من الأمن؟ فالخائن قلق مرتبك مزعزع الوجدان، دائماً يخشى اكتشاف أمره.

أليست الأمانة هي الصفة العظيمة التي وصف بها أشرف الخلق أجمعين منذ صباه «الصادق الأمين»؟!

نعم.. الصدق والأمانة سِمتان متلازمتان، فالصادق في قوله أمين على الحق الذي يقوله.. والأمين صادق الحفاظ على ما يسند إليه من أمانات.

يفهم بعض الناس أن الأمانة هي مجرد الحفاظ على ما يُودَعُ لديهم من أموال أو أشياء، يعطونها لصاحبها حين طلبها، وهذه هي أصغر الأمانات.

إنه من الخير للمرء أن يكون أميناً صادقاً مع نفسه، وهو يعمل في مكتبه، أو مصنعه أو مزرعته، لا يخالف الحقائق، أو يزيف الأرقام؛ أو ادعاء النشاط أو زيادة الأداء.

ويجب أن يكون أميناً في عمله، لا يغيِّر الحقائق التي تقوم عليها حقوق الناس ومطالباتهم.. أميناً في تنفيذ كل ما يُوكل إليه بالمواصفات المطلوبة نفسها والجودة المحددة كلها، أميناً في نصحه للآخرين بما فيه الخير والسعادة.. لا يُوقعهم في شراك الضرر أو الخسارة.. أو سوء التقدير عند رؤسائهم نتيجة شيء في نفسه نحوهم.

وبكل يقين لا يمكن أن تشتهر صناعة من الصناعات، وتنجح مهما كان مصدرها ونوعها إلا إذا كانت شركاتها أمينة في اختيار مركباتها، أمينة في تقديم جودة تكوينها، فهذه سيارات معمرة، وتلك أدوات منزلية غالية لكونها متميزة في صناعتها خالية من الغش في موادها. أما الرديء من الصناعات حتى إن اشتهر بين بعض الناس فإنه سرعان ما يسقط في حرب الصناعات المتميزة.

وهكذا المنتجات المغشوشة الأخرى التجارية، والزراعية، فالبقاء دائماً للأصلح والأجود.

هذا معلم أمين اشتهر بين طلابه بالثقة فيه، وبين رؤسائه بالتقدير له؛ لأنه أمين بحقٍّ على طلابه، أمين في إعطاء علمه،

وإعداد درسه لا يخشى مفاجأة مشرف أو زائر، وكم من اكتشافات مهنية مخزية، وخسائر مادية ومعنوية مؤسفة وقع فيها أصحابها غير الأمناء في أعمالهم غير الصادقين في تقاريرهم.

قدِّمْ أوراقَ عملك، وجَهِّزْ تقاريرَ معاملاتك وافية صادقة دون تغيير، تَلْقَ الثقة والتقدير من رؤسائك، فهم ليسوا من البلاهة حتى تنطلي عليهم التغييرات، أو تخدعهم استبدالات الحقائق؛ لأنهم إن طال خداعك لهم حتماً سيكتشفونه يوماً.. فكم من موظف نال ترقية بسبب أمانة عطائه، وكم من عامل نال جوائز ثمرة صدقه في تنفيذ عمله!

وهناك من عوقبوا بالخصم المالي، بل بالنقل الإداري أو الفصل النهائي؛ لأنهم زيفوا، وغيروا، وخدعوا.

حياتنا العملية في الوظائف والأعمال تحتاج، في كثير من الأحيان وعند بعض الناس، إلى هزة نفسية قوية، وصحوة ضمير عاجلة، تجعلهم يؤدون أعمالهم كما يجب أن تؤدى، ويتعاملون مع وظائفهم بأمانة كما يجب أن تكون الأمانة.

ولن أُكثِر الحديث عن هؤلاء وهؤلاء، إذ تكفي العبرة والعظة درساً عمليّاً عظيماً في هذه القصة الواقعية الحقيقية لتكون نبراساً لكل العاملين، وأسوة لكل الموظفين ونموذجاً لكل الأمناء المخلصين الصادقين، إذ تؤكد أن الصدق في العطاء والأمانة في الأداء حتماً ستؤدي إلى الفوز، والترقي، والخير، والتقدير، والثناء.

وإليكم هذه القصة الواقعية، فهي أكثر وعظاً من ألف خطيب، وفائدة أكثر من ألف ناصح فصيح.

في صباح يوم ربيعي والشمس الدافئة تنساب إلى مكتب رجل الأعمال العجوز الرئيس التنفيذي للشركة التي يملكها اتخذ قراراً بالتنحي عن منصبه، وإعطاء الفرصة للدماء الشابة الجديدة بإدارة شركته، لم يُرِد أن يُوكل هذه المهمة لأحد أبنائه أو أحفاده، وقرر اتخاذ قرار مختلف؛ استدعى كل المسؤولين التنفيذيين الشباب إلى غرفة الاجتماع، وألقى بالتصريح القنبلة: لقد حان الوقت بالنسبة إلي للتنحي واختيار الرئيس التنفيذي القادم من بينكم؛ تسمَّر الجميع في ذهول، واستمر قائلاً: ستخضعون لاختبار عملي، وتعودون بنتيجته في مثل هذا اليوم من العام القادم، وفي هذه القاعة نفسها: والاختبار سيكون الآتي:

سيتم توزيع البذور النباتية التي أتيت بها خصيصاً من حديقتي الخاصة، ويتسلّم كل واحد منكم بذرة واحدة فقط، يجب عليكم أن تزرعوها، وتعتنوا بها عناية كاملة طوال العام، ومن يأتني بنبتة صحية تفوق ما لدى الآخرين سيكون هو الشخص المستحق لهذا المنصب، وكان بين الحضور شاب يدعى (جيم) وشأنه شأن الآخرين، تسلّم بذرته، وعاد إلى منزله، وأخبر زوجته بالقصة. أسرعت الزوجة بتحضير الوعاء والتربة الملائمة والسماد، وتم زرع البذرة، وكانا كل يوم لا ينفكان عن متابعة البذرة والاعتناء بها جيداً بعد مرور ثلاثة أسابيع بدأ الجميع، كلٌّ في الحديث عن بذرته التي نمت، وترعرعت ما عدا (جيم) الذي لم تَنْمُ بذرته على الرغم من كل الجهود التي بذلها، مرت أربعة أسابيع، وخمسة أسابيع، ولا شيء بالنسبة إلى (جيم)، مرت ستة أشهر، والجميع يتحدث عن المدى

الذي وصلت إليه بذرته من النمو،«وجيم» صامت لا يتحدث، وأخيراً أزِف الموعدُ، قال (جيم) لزوجته: إنه لن يذهب إلى الاجتماع بوعاء فارغ، ولكنها قالت له: علينا أن نكون صادقين بشأن ما حدث، وكان يعلم في قرارة نفسه أنه على حق، ولكنه كان يخشى أشد اللحظات الحرجة التي سيواجهها في حياته.

وأخيراً اتخذ قراره بالذهاب بوعائه الفارغ على الرغم من كل شيء، وعند وصوله انبهر من أشكال وأحجام النباتات التي كانت على طاولة الاجتماع في القاعة، كانت في غاية الجمال والروعة.. تسلل (جيم) في هدوء ووضع وعاءه الفارغ على الأرض، وبقي واقفاً منتظراً مجيء الرئيس مع جميع الحاضرين، كتم زملاؤه ضحكاتهم، وبعضهم أبدى أسفه من الموقف المحرج لزميلهم.

وأخيراً أطل الرئيس، ودخل الغرفة مبتسماً، عاين الزهور التي نَمَتْ وترعَرعَتْ، وأخذت أشكالاً رائعة، ولم تفارق بسمة الرئيس شفتيه، وفي الوقت الذي بدأ الكلام مشيداً بما رآه مهنئاً الجميع على هذا النجاح الباهر الذي حققوه توارى (جيم) في آخر القاعة وراء زملائه المبتهجين الفرحين، قال الرئيس: يا لها من زهور ونباتات جميلة رائعة! اليوم سيتم تكريم أحدكم، وسيصبح الرئيس التنفيذي القادم، وفي هذه اللحظة لاحظ الرئيس (جيم) ووعاءه الفارغ، فأمر المدير المالي أن يستدعي (جيم) إلى المقدمة.. هنا شعر (جيم) بالرعب، وقال في نفسه: بالتأكيد سيتم طردي اليوم؛ لأني صاحب الوعاء الوحيد الفارغ في القاعة، عند وصول (جيم) سأله الرئيس: ماذا حدث للبذرة التي أعطيتك إياها؟ قص له ما حدث بكل

صراحة، وكيف أخفق على الرغم من كل المحاولات الحثيثة لرعاية البذرة، كان الجميع في هذه اللحظة ينتظرون ما الذي سيحصل؛ فطلب منهم الرئيس الجلوس ما عدا (جيم) ووجه حديثه إليهم قائلاً: رحبوا بالرئيس التنفيذي المقبل (جيم).

جرت همسات، وهمهمات، واحتجاجات في القاعة؛ كيف يمكن أن يحدث هذا؟ وتابع الرئيس قائلاً: في العام الماضي كنا هنا معاً، وأعطيتكم بذوراً لزراعتها وإعادتها إلي هنا في هذا اليوم، ولكن ما كنتم تجهلونه هو أن البذور التي أعطيتكم إياها كانت بذوراً فاسدة، ولم يكن بإمكانها أن تنمو إطلاقاً، جميعكم أتيتم بنباتات رائعة وجميلة جميعكم استبدل البذرة التي أعطيتها له، أليس كذلك؟ (جيم) كان الوحيد الصادق الأمين، الذي أعاد البذرة التي أعطيته إياها نفسها قبل عام مضى، وبناءً عليه تم اختياره رئيساً تنفيذيّاً للشركة.

والقصة التي عرفنا أحداثها الآن تُختتم بالحكم الآتية:

- إذا زرعت الأمانة فستحصد الثقة.
- إذا زرعت الطيبة فستحصد الأصدقاء.
- إذا زرعت التواضع فستحصد الاحترام.
- إذا زرعت المثابرة فستحصد الرضا.
- إذا زرعت التقدير فستحصد التبجيل.
- إذا زرعت الاجتهاد فستحصد النجاح.
- إذا زرعت الإيمان فستحصد الطمأنينة.

obeikandi.com

لذا كن حذراً اليوم مما تزرع؛ لتحصد غداً؛ وعلى قدر عطائك في الحياة تأتيك ثماره.

هذه هي قصة (جيم) وكيف نال المنصب العالي، والتقدير السامي لأنه صادق أمين، لم يزوِّر، ولم يخدع رئيسه، ولأنه لم يبدل المعطيات الملقاة عليه؛ فإن كنت مثله فَسِرْ على بركة الله، ولا تُبدل الطريق، والنجاح حليفك بحول الله.

وإن كنت ممن تلعب بهم أهواء الإضرار بالناس، ومسالك الهوى فأقلع عن ذلك الضرر، وعُدْ للصواب، واسمع معي الحكمة العظيمة الهادفة في قول الشاعر:

قد يستلذ الفتى ما اعتاد من ضرر حتى يرى في تعاطيه المسراتِ

أغبى البرية أوفاهم لعادته وأعقل الناس خراق لعاداتِ

obeikandl.com

حُسْنُ الظن

حسـن الظن قيمة عظيمـة من قيمنا التي ينبغـي ألاّ تغيب عن حياتنا، إنها حُسْنُ الظَّن بالله أولاً، وحُسْنُ الظَّن بالناس ثانياً..

وإذا كان حُسْـنُ الظَّن قيمةً عظيمة الآثار، فإننا في هذا الزمن أشد احتياجاً إلى شيوعها.

أقـول ذلك بعد أن انتشـرت مجالس الظَّن، يُحرِّكُها الهوَى، ويصـنعها سـوء الظـن، والعجيب أن بعض هذه المجالس يقدمها أصـحابها تحـت مظلـة بحـث القضـايا الاجتماعيـة، أو اللقاءات الفكرية وكلّ شـخص من الحاضـرين يقول: قالوا، سـمعنا، وصـل إلينا، جاءنا من ثقةٍ.

وقد قيل لأحد السـلف حينما سـأل: من قـال مثل ذلك؟ فقال: جاءني من ثقةٍ فقيل له: الثقةُ لا يبلّغ.

لهذا، فإن سـيئ الظَّن في هذه المجالس يقدم لحديثه أو كلامه بمثـل هـذه المقدمات لإثبـات ما يقـول أو يخبر به، ولا يقـدم دليلاً واحداً على ما قال؛ لأنه صُنْعُ هوَى النفس وفسادِ المشاعر.

سوء الظَّن متحكم في بعض النـاس متمكن في كثير من القلوب، يخالط كل فكر، ويتقدم كل عمل، وهو عند صاحبه هذا شعور قوي، فسـوء الظَّـن يولد في النفس كخاطرة، سـرعان ما تنمـو، وتكبر، وتقوى، وبعدها يسـبح سـيئ الظَّن في هذا الـوادي الخرب الرحب، يصنع فيه الخيال، وينسج أشياء كثيرة لا وجود لها إلاّ عنده هو.

obeikandi.com

ولا يلبث هذا الخيال أن يصبح فكرة ورأياً عنده في الناس، يتعامل معهم على أساس من هذا الظَّن السيئ، وهو متوجس من كل علاقة. غير واثق من أي معاملة، ولهذا فهو لا يلبث أن يضع برامج علاقاته مع الناس على أساس من هذا الظَّن السيئ الذي بدأ خاطرة، ثم تحول خيالاً ملازماً، ثم صار شعوراً ثابتاً، وها هو الآن فكرة تنفذ ومعيار لكل العلاقات يراعَى.

ويتمكن هذا الظَّن السيئ من صاحبه حتى يصل به إلى مرحلة الثبوت والقناعة بأنه هو الحق، وسرعان ما يجد نفسه في خضم الظُّنُون السيئة يغرق في كل تصرفاته ويقيس بها كل تعاملاته، بعد أن استسلم للظن السيئ الذي صنعه بنفسه دون إدراك لمدى خطورته عليه، وعلى الناس حوله.

لو فتشت عن حقيقة نفس هذا السيئ الظَّن.. لوجدته مدمَّرَ الشعور، متهدمَ الأحاسيس، يسيطر عليه الوسواسُ الخناس الذي طلب الله من عباده أن يتعوذوا من شره.

إنه ضعيف الإيمان؛ فضعف الإيمان يجعل القلب قلقاً مخلخلاً، غير ثابت، وغير مدعَّم الجوانب، به فراغ لمثل هذه الخواطر السيئة، فالقلب القوي الإيمان مشغول بإيمانه، ولوازم هذا الإيمان من التفكير أو الشعور بمثل هذه الأمور الخارجة عن حقيقة الإيمان وصفات أهله.

وسيئ الظَّن مزلزل النفس ضعيف الشعور بذاته لا يثق في نفسه الثقة المكينة التي تكون في نفوس المؤمنين، وهذا الضعف وعدم الثقة

هو الذي يفسح المجال للمعاصي وأخطرها سوءُ الظَّن بالآخرين ظنّاً أن الجميع يشعر مثل شعوره.

وصاحب الظَّن السيئ خائف ضعيف الصمود؛ لأنه بظنه السيئ يتوقع الشر من كل الناس، وكأن الناس عنده لم يخلقوا إلاّ لدس الدسائس، وحياكة المؤامرات، حتى إنه يفسر كل حركة لمن معه بشر يريده، أو بطش ينوي وقوعه.

وهذا هو السمّ القاتل لراحة الإنسان وهدوء باله، فهو دائم التوجس مرتاع القلب يخاف وقوع الشر في كل لحظة وكل حركة.

سوء الظَّن بالله وبخلقه من صفات المنافقين: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا﴾ [الفتح: ١٢].

إن الظَّانّ بالله ظن السوء له سوء العاقبة في الدنيا والآخرة: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [الفتح: ٦].

جاء الظن في ٦٩ آية من القرآن، مكرر لفظه في كثير منها. ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ٢٢]. ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا﴾ [الجن: ١٢]. ﴿وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٣٩].

وفي الحديث القدسي: «**أنا عند ظن عبدي بي**».

وسيئ الظَّن إنسان مدمَّر الداخل، ضعيف الإرادة؛ لأنه يخاف كل شيء، ويشك في صحة وخير كل الناس، دون توكل على الله والاحتماء به، ليته يعي قول الله تعالى: ﴿**وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ**﴾ [الطلاق: ٣].. لكنه لا يدري لشدة تمكن سوء الظَّن من كل تحركاته أن سوء الظَّن محرم شرعاً، كما جاء في قول الحبيب المصطفى: «**إياكم والظَّن، فإن الظَّن أكذب الحديث**».

بل إن سوء الظَّن يكون محرماً قطعاً، كما ذكر ذلك العلماء، إذا أسيء به مسلم، وإذا انقلب إلى عمل واتهام للآخرين، حتى لو تظاهر صاحبه بالرغبة في الإصلاح والخير.

نعوذ بالله من سوء الظَّن، أن يدخل نفوسنا، أو يطرق أبواب قلوبنا، أو يخالط أحاديث مجالسنا، وأن يجعلنا ممن يظُنُّون الخير بالله والناس أجمعين.. وأن يهيئ لنا قبولاً إذا ما رأينا شيئاً يوحي بسوء الظَّن بهم.

إن حُسن الظَّن أهم سمات المؤمن، وقد جاء في الأثر أن النبي ﷺ صعد المنبر، ونادى بصوت مرتفع، فقال: «**يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفضِ الإيمان إلى قلبه لا تؤذوا المسلمين، ولا تعيروهم، ولا تتبعوا عوراتهم**» ويدخل في ذلك سوء الظن بالمسلمين.

قال أحد السلف: «حُسنُ الظَّن بالله ألا ترجو إلا الله، ولا تخاف إلا ذنبك» وقال الآخر: «والذي لا إله إلا هو ما أعطي قوم قط خير الدنيا والآخرة إلا بحُسن الظَّن بالله ورجائهم له، والكف عن اغتياب المسلمين».

وكما قيل: «رأس العبادة حُسْـنُ الظَّن باللّه»، ومن أحسن الظَّن باللّه، دفعه ذلك إلى حُسْن الظَّن بعباده.

وقبول العذر من أكرم الصفات، وفيه قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لا تظُنَّنْ بأخيك سـوءاً بكلمة قالها ما دمت تجد لها في الخير محملاً» فصارت هذه الكلمة قاعدة أساسية في التعامل مع حسن الظن، والتماس العذر حتى لمن أسـاء إليك بقول أو عمل، إذ إن العفو عن المسـيء يمثـل رادعاً قويّاً له، فلا يعود لمثل خطيئته، ويجعله يشـعر بالندم على فعلته، والعفو عند المقدرة من شيم الكرام.

كم مـن علاقات حميمة أعرفهـا دمّرها سـوء الظَّن، وها هي مواقـف كثيرة ما أريد بها إلا الخير وصـالح العمل ظَّـن الناس بها سوءاً، فتحولت آثارها عندهم شرّاً.

ولا يعرف عواقب سـوء الظَّن إلا من عانى الظّانّيين به سـوءاً؛ إذ تصـل المعاناة إلى حد القهر والشعور بالغلبة، وأنت في داخلك ما قصدتَ إلا الحق، وفعل الخير الواجب في هذه المواقف.

فكثـير ممـن يفعلـون الخـير مخلصـين النفـع للبـلاد والعباد يُواجهون من أصحاب النفوس المريضة المزيفة بما يشوه جمال القصد في أعمالهم التي لا يريدون بها إلاّ الصالح العام، وهم يؤدونها في ظل من العمل المستقيم، وإرضاء رب العالمين؛ لكنه سوء الظَّن.

ويندرج في مدارج سـوء الظَّن ما شـاع بيننـا اليوم من التهجم علـى بعض المخلصـين المجتهدين، وسـوء الظَّن ببعض المصـلحين واتهامهـم بالخـروج عن حقيقـة الدين وتطـاول المتنطعـين الذين

دفعهـم تحجرهـم الفكري إلى سوء الظَّن بإخوانهـم الفاهمين أن الإسلام دين السماحة الصالح لكل زمان ومكان، وهم ينسون جليل أعمال هؤلاء الناس، ويتلمسـون ما يظُّنُونه عملاً خارجاً عن الدين؛ وذلك لسوء فهمهم، معرفتهم بحقائق الأمور.

إني حين أدعو مؤكداً إلى ضرورة دفع سوء الظَّن، وتغليبِ حُسْنِه على سـوئه، فـإني في المقابل لا أريد أن يكون الإنسـان غـرّاً غريراً سـاذجاً؛ بل يجب أن يكون لماحاً، يعرف مـا وراء القول أو ما تحمله المواقف من صدق أو نقيضه، فلا تنطلي عليه كلمات السفسطائيين، ولا مداهنات الخداعين، وأفضـل عمل للوقوف على الحقيقة وكشف أسـرار الـكلام والمواقف هو مواجهة من تظن أنه قصـد سـوءاً بما يقول أو يفعل؛ فقد يتبين لك ذلك أو خلافه.

وأخيراً أكرر، وأؤكد أن حُسْن الظَّن بالناس، والتماس العذر لهم هو ما حثّنا عليه الدين، وأن حُسْـن الظَّن عبادة من العبادات، وأدب من آداب الإسـلام، وأن سـوء الظَّن معصية من معاصي الله، وحين نعلـم أن النية خفية؛ لأن محلها القلب، وأن حُسْـن الظَّن بالمسـلمين مطلوب، وسوء الظَّن بهم ممنوع تبين لنا عظم ذنب من يتهم الناس في نياتهم، وأخلاقهم، وعقائدهم، وأماناتهم، من غير دليل واضـح وضوح الشمس في رابعة النهار، والأدلة الشرعية على ذلك كثيرة.

يقـول الإمام الغزالي رحمه الله: «مهما رأيت إنسـاناً يُسـيء الظَّن بالناس طالباً للعيـوب فاعلم أنه خبيث في الباطن، وإنما يرى غيره مـن حيث هو؛ فإن المؤمـن يطلب المعاذير، والمنافـق يطلب العيوب، والمؤمن سليم الصدر في حق الكافة».

obeikandl.com

وإلى هذا المعنى أشار المتنبي بقوله:

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصَـدَّق مـا يعتـاده مـن توهُّم

أي إذا كان فعل المرء سـيئاً قبيحاً سـاء ظنُّه بالناس، لسوء ما انطوى عليه هو، وإذا توهم في أحد ريبة أسرع إلى تصديق ما توهمه لما يجد من مثل ذلك في نفسه.

obeikandi.com

العدل

العدل هو الاستقامة عدَل الميزان. العدل هو الإنصاف، وهو إعطاء المرء ما له، وأخذُ ما عليه، والعدالة عند الفلاسفة إحدى الفضائل الأربع وهي: «الحكمة، والشجاعة، والعفة، والعدالة».

العدل هو أن يصرِّف الإنسان أمور نفسه، وأمور الناس على قانون لا عوج فيه ولا زيغَ، ولا استثناءَ، ولا ظلمَ، ولا محاباةَ، وأن يسيِّر أعماله على قانون إلهي لا تبديلَ فيه، كالقوانين التي تُسيِّر الشمسَ، والقمرَ، والنجومَ، والرياحَ، وتصرف العالم كله كما يشاء الله.

العدل فرضٌ إلهي محتُوم، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٧-٩]. العدل هو الرحمة التي شملنا بها الله تعالى، ولهذا قال سبحانه: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٦-٨].

ليس العدل أمراً يسيراً تتصرف فيه الأهواء، وتتلاعب به الرغبات والعصبيات، وليس العدل شيئاً يباع بالرخيص من متاع الحياة الدنيا، لكنه نظام في العالم، وفي الاجتماع البشري لا يستقيم شيء إلا به؛ فالكون كله بكل فئاته ومخلوقاته يسير وفق العدل الإلهي: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨]. ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ...﴾ [الحديد: ٢٥].

إن العـدل من أسـمى القيـم التي يجب أن تبقـى قوية الأداء لا تذبل أبداً.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ﴾ [النساء: ١٣٥].

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

هــذا هــو العدل بحقيقتــه كما أمــر الله، حتى مع مــن لا يدين بديننا.

فأيــن العدل اليوم في العالم على مسـتوى الـدول؟ لقد انحرف كثيرون عن إقامة العدل في القضـايا السياسية، والاجتماعية، على مستوى الدول والأفراد.

وما نراه اليوم من مواقف سياسية تجاه قضايا المسلمين عامة، وفلسـطين خاصـة هو ضـد العدل بكل صـوره؛ لأن الدول صـاحبة النفوذ والقوة جعلت قوتها مصـدراً للعدل، كما تراه هي، فأصبحت القوة هي التي تصنع الحق، بدلاً من أن يصنع الحق القوة..

لقـد حفظنا منذ زمن طويل مقولة «صـاحب الحـق قوي» لكن هذا قد تغير في هذا الزمان كثيراً.

وفي حياتنا العملية كثيراً ما يضـيع الحق على الرغم من وجود قوانـين العدالة في كل مكان وفي كل عمل، ففــي الوظائف، والأجور،

والدرجات المالية، والدرجات الدراسية، كثيراً ما تنحرف الطريق عن العدالة المطلقة التي هي حقيقة العدل الإلهي.

ولا يجيء الحديث عن أهمية العدل وخيره للناس في الدين والدنيا من غير بيان للظلم وعواقبه الوخيمة.

يشدد القرآن الكريم في النهي عن الظلم، ويشدد الأمر بالعدل، ويبين عاقبة الظلم على الأمم والأفراد.

الهلاك القاصم كان جزاء الأمم الظالمة: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾ [الأنبياء: ١١].

﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ [الحج: ٤٥].

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الحج: ٤٨].

هذا هو جزاء الظلم، وعليه فالعدل هو النجاة، العدل في كل حياتنا، حتى في الكلمة التي ننطق بها.

وإذا كان العدل أساس الملك، فإن مالك الملك رب العزة والجلال، وهو العدل المطلق يلفت نظرنا إلى ضرورة التمسك بالعدل، والعمل به في كثير من آيات القرآن الكريم.

صور كثيرة للعدالة المطلقة في أدق أمور حياتنا الخاصة والعامة، العدل بين الأبناء في النفقة، في الميراث، في الحب والرعاية، حتى في الدعاء لهم.

العدل بين الزوجات، إذا كان هناك تعدد: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً﴾ [النساء: ٣].

العدل في تطبيق النظم واللوائح، في توزيع الترقيات والمكافآت، في اختيار الموظفين والموظفات؛ لأن الله تعالى يقول للإنسان: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار: ٧]. فالتسوية هي الجمال والاستقامة، ثم العدل غير التشويه والاعوجاج.

إن حياة يسودها العدل حياة مستقرة آمنة، فالعدل بين الأبناء والزوجات هو سر الهناء والاستقرار، ونجاح الأبناء وسعادة الآباء.

العدل في الإدارات والمؤسسات هو الطريق إلى الرضا وإخلاص العاملين، وكثرة العطاء والإنتاج، وتقدم الأوطان.

لقد حملت إلينا كتب التاريخ الإسلامي من مواقف العدل ما يقف الإنسان أمامه مبهوراً بما يحققه العدل من نتائج، وما يشيعه من استقرار وأمن.

وكلنا يحفظ قوله ﷺ: «**لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها**».

ولا تغيب عن أذهاننا أبداً قصة عمر بن الخطاب الخليفة العادل ورسول كسرى،حين جاء رسول كسرى الفارسي إلى المدينة المنورة ليقابل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ظانّاً أنه سيجد قصراً شامخاً، وحرساً كثيراً، كما يرى حول إيوان كسرى في بلده.. ولما وصل إلى المدينة سأل: أين قصر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب؟ فأشاروا إلى منزله، ولم يصدق أن هذا هو منزل أمير المؤمنين الذي

يرهبه كل الملوك إلاّ أنهم أكدوا له ذلك، ولما لم يجده في البيت طلب معرفة مكانه الآن، فأشار أحد الناس له إلى رجل ينام تحت شجرة بثياب لا زهو فيها ولا تميز، يضع ذراعه تحت رأسه نائماً مستريحاً في نومه: فقال مقولته الشهيرة «حكمتَ فعدلتَ، فنمتَ مستريحاً يا عمر».

وقال حافظ إبراهيم في عمريته مذكراً لنا بهذا الموقف:

وراعَ صاحب كسرَى أنْ رأىَ عمراً … بين الرعية عطلاً وهو راعيها
وعهده بملوك الفرس أن لها … سوراً من الجند والأحراس يحميها
فوق الثرى، تحت ظل الدوح مشتملاً … ببردة كاد طول العهد يبليها
فقال قولة حق أصبحت مثلاً … وأصبح الجيلُ بعد الجيل يرويها:
أمِنتَ لما أقمتَ العدل بينهمُ … فنمت نوم قرير العين هانيها

ولكن هذا العدل الشامل الكامل المطلق لا يمنع أصحاب الملل الضالة أو النفوس الحاقدة، أو مَنْ أُوغرت صدورهم بأفكار شريرة، وغيرهم من أهل الفكر المنحرف، عن القيام ببعض عداواتهم، وتنفيذ ما يرونه صواباً في عقيدتهم، فها هو المجوسي أبو لؤلؤة يطعن عمر وهو قائم في الصلاة، ومثل هذا يقع اليوم في بلادنا المسلمة ما يلزم معه اتخاذ الاحتياطات الأمنية توقعاً لكثير من أمثال عمل ذلك المجوسي القاتل.

إن ما حدث من ذلك الآثم المجرم في ليلة من ليالي رمضان المبارك عام ١٤٣٠هـ حين استقبال صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن نايف له لأمر فظيع، لقد عُرف عن هذا الأمير أنه درع الأمن، وصاحب عدالة مطلقة بين الجميع كما هو حال كل أولي

الأمر في بلادنا مشهود له بالتواضع وحسن الاستقبال.. يأتي هذا الغادر الذي أعلن مجيئه ليتوب من جرائم كثيرة قام بها؛ فأعطاه الأمير محمد بن نايف الأمان، واستقبله أحسن استقبال، فإذا بهذا المجرم يحاول تنفيذ جريمته المتمثلة في الفتك بالأمير الذي فتح بابه وقلبه له.. ولكن الله العلي القدير قدر باللطف الإلهي أن يمزق هذا المجرم نفسه بما كان يخفيه في بدنه من متفجرات، وينجو الأمير دون أدنى أضرار: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: ٤٣].. فجرائم هؤلاء الضالين من الوضوح والكثرة والتدبير اللئيم، بحيث لا يكون هناك أدنى شك في بُعدهم كل البعد عن الإسلام وأخلاقه وقيمه العليا، وأولها العدل، وإقامة الأمن، والمساهمة من المسلم الحق في نشر الأمان.

لقد وقفت بنفسي على مكان الحدث، ورأيت فظاعة الجريمة وبشاعتها ومع الأسى والألم الذي يشعر به كل محب لوطنه فإن تلك الجريمة برهنت برهاناً قاطعاً على أن تلك الفئة الباغية ليس عندها دين، ولا أخلاق، ولا إنسانية.

لقد كان كلام الأمير محمد هاتفيّاً مع ذلك الجاني المجرم كلاماً لم أجد أكثر منه حنوّاً وعاطفة، وهو أرقّ من حديث والد مع ولده، أو صديق حميم لصديقه؛ ومع ذلك أضمر ذلك الشرير، وخطط مع زمرته الضالة فعلته النكراء، إنه غدر لا يماثله غدر، ولؤم يتعدى حدود المعقول!! وبعد هذا كله يقولون: إنهم مسلمون!!

إنه الطبع الرديء، والحقد الدفين، والبعد عن الإسلام وتعاليمه، هو ديدن هؤلاء المجرمين، ومن يدفعونهم، ويغررون بهم،

ويضـــللون أفكارهم. لقد كانــت نجاة الأمير محمد بن نايف معجزة أراد الله أن يُعلمنا من خلالها أن الباطل زاهق، ولعل عقول الغافلين تستيقظ، وتأخذ العبرة من تلك المعجزة.

لقد آن لنا أن نجتثَّ مصـدر هـذا الإجرام المتمثل في المغررين بعقول وعقيدة هؤلاء البسـطاء السـذج؛ لأنهم المنبع الخبيث النتن، ويجـب تجفيفه والقضـاء على ما فيـه، واجتثاث مصـدر الإرهاب الإجرامي واجب ديني حتي تتحقق العدالة، وتعمّ الطمأنينة، ويسود القانون بدلاً من العمل الوحشي الذي يزاوله هؤلاء الإرهابيون.

ومهمـا كانت الحال، ومهما حدث مـن أعداء العدل والمجرمين في حق الأمن، فإن للعدل ثماراً عظيمة تسـعد بها البشـرية، إن هي استقامت على العدل، وتركت أسباب الظلم، وليس هناك ظلم أفدح مما يقوم به ذلك النفر الشرير.

إن عـالم اليوم عالم مـع ما فيه من مظاهر الحضـارة المادية تغيب في معظم ممارسـاته قيمةُ العدل وحقيقته، ولو أن العدل ساد كما ينبغي لما وجدت شحناء بين الأفراد أو الدول، ولعاش العالم كله في سلام.

إنه لو وجـد العدل حقيقة لما وجد امتعاض ولا حزازات فردية، أو اجتماعيـة، أو دوليـة، فكثيرٌ من الناس الآن يفصِّـل ثوب العدل كما يراه هو، وكما يحلو له بمقاييسه التي يريدها.

التواضع.. لا التكبر سمة المؤمنين

يشدني إلى كثير من الناس حُسنُ خلقهم، المتمثل في تواضعهم تواضعاً جمّاً يجذبك إليهم، مع أن الكبرياء لو كانت لها مقومات، فإنها تنطبق عليهم شكلاً وموضوعاً؛ لأنهم يمتلكون كثيراً من هذه المقومات إن لم يكن كلها؛ نسبٌ شريف، مال وفير، عقل راجح، ثقافة واسعة، منصب وجيه رفيع، شهادات علمية عالية، حسن خَلْقٍ وخُلُق، وشخصية جذابة آسرة.

لكنها الثقة بالنفس بعد فضل الله أعطتْ ذلك الإنسان ميزة التواضع، التي مكّنته من التواصل والتأثير، والقرب من الناس، وفي حياتي كذلك لم أجد متكبراً إلاّ وقد خلا من كثير مما ذكرت من تلك المقومات أو كلها.

أتعجب كثيراً، متكبر مفلِسٌ من كل دواعي التكبر، متغطرس ظانّاً أنه فوق الناس ناسياً أنه لا شيء فيه أكثر من الناس إن لم يكن دونهم.

ومن طريف الأحاديث عن التكبر ذلك الإنسان الذي كان يشكو من كبرياء أحد معارفه الذي نال الدكتوراه شامخاً بأنفه، فقال له صديقه:

دخلتَها جاهلاً متواضعاً وخرجت منها جاهلاً متكبراً.

قاصداً بذلك دخوله الجامعة وتخرجه فيها، وحصوله على الشهادة العليا منها.

نقل هذه الرواية أحد زوار معالي الوالد الأستاذ عبدالعزيز بن عبدالمحسن التويجري رَحِمَهُ اللَّهُ فأعجب بهذا البيت، وصار يتمثل به عندما يمر بمثل هذا الموقف.

- ما التواضع؟ من المتواضع؟
- هل أنت وهل أنا من المتواضعين حقّاً؟

ما أجمل التواضع خلقاً، وما أعز المتواضع إنساناً نبيلاً عظيماً، وها هو الصِّدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «وجدنا الكرم في التقوى، والغنى في اليقين، والشرف في التواضع».

ونحن بهذا التواضع ننال الشرف الأعلى، والمقام الأسمى، حتى إن الجمادات إذا تواضعت لله تعالى فإنه سيرفعها، وهذا ما قاله مجاهد: إن الله تعالى لما أغرق قوم نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ شمخت الجبال، وتطاولت، وتواضع الجوديّ، فرفعه الله فوق الجبال، وجعل قرار السفينة عليه.

وهكذا في كل الأمور التواضع يزيدها ويرفعها، فالتواضع يزيد الإنسان حكمة: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩].. لذلك، فإن الله تبارك وتعالى يرفع حكمة العبد إذا تواضع له، ويضعها إذا تكبر، وفي ذلك جاء قول الرسول ﷺ: «**ما من آدميّ إلا في رأسه حكمة بيد ملك؛ فإذا تواضع قيل للملك: ارفع حكمته، وإذا تكبر قيل للملك: ضع حكمته**».

واليوم ها هي مغريات الحياة تجعل بعض الناس الذين أُوتوا حظّاً من متاعها الزائل يشمخون بأنوفهم، ناسين أن هذا الصلف مكروه، وأن الغرور بهذا المتاع إلى هوان.

بعض أصحاب المناصب يتعاملون باستعلاء مع الناس القاصدين أبوابهم، وهم يعلمون أن كل إنسان يقصد بطلبه الله تعالى دون حاجز أو مانع.

بعض أصحاب العلم غرّهم علمهم الذي ظنوا أنهم به فوق الناس، ناسين قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

لكن، والحمد لله الغالبية العظمى في شتى جوانب الحياة هم إلى التواضع أقرب، وبالرفق وباللين ألصق، وإلى قلوب الناس وخدمتهم أدنى وأحب.

كيف تتكبر أيها الإنسان، وأنت لا تستطيع أن تصبر إذا لدغتك نملة أو بعوضة.

أتذكر، وكلنا يعرف قصة النمروذ الذي تكبر على الخليل إبراهيم عليه السلام، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

وهو الطاغية الذي أذلته البعوضة، حين دخلت في أنفه، وعلت إلى رأسه، فصارت تطنّ فيه، فيصرخ ألماً، وكان لا يهدأ من هذا الألم القاتل إلا حين يضربه الخدم بالنعال فوق رأسه، يستريح قليلاً، ثم تعود البعوضة للطنين، فيعود ضرب الأحذية على رأسه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة: ٢٦].

لقد كان رسول الله ﷺ أكثر الناس تواضعاً، ولقد اختار أن يكون عبداً رسولاً عن أن يكون ملكاً نبيّاً، وروي من الأحاديث: «**جلس جبريل إلى النبي ﷺ فنظر إلى السماء، فإذا ملك ينزل، فقال جبريل: إن هذا الملك ما نزل منذ يوم خلق الله الكون قبل الساعة، فلما نزل قال: يا محمد، أرسَلَني إليكَ ربك، قال: أفملكاً نبيّاً يجعلني، أو عبداً رسولاً؟ قال جبريل: تواضع لربك يا محمد، قال: بل عبداً ورسولاً**».

أشرف الخلق والمرسلين أنموذج غير متكرر في التواضع الجم، والرحمة الشاملة وطيب النفس السامية.

كيف نقارن ذلك ببعض الذين يتكبرون، حتى على أولادهم وآبائهم غروراً ومقتاً.

ولست أنسى أبداً تلك الوصية التي جاءتني في رسالة المغفور له معالي الشيخ عبدالعزيز بن عبدالمحسن التويجري، حين شرفت باختياري وزيراً للمعارف، وكانت هذه الرسالة منهجاً عمليّاً لكل من يبدأ عملاً مثل هذا، لقد كانت الوصية الأولى، في هذه الرسالة.

«ادخُلْ عَمَلَكَ متواضعاً، أحكم تصرفاتك بانضباط لا يطغَى عليه انفعال يكون له ردود فعل في نفس زميل لك في الوزارة، أشعر مسؤوليك أنه لا تمايز بينك وبينهم، وأن وجودك معهم غايته ووسيلته الخدمة العامة وتنشيط الأهداف».

وكم كان لهذه الوصية الأولى من بين وصاياه رَحِمَهُ ٱللَّهُ أثر في حياتي، أدعو الله أن أكون قد وفقت إلى التحلي بها، وألا يكون قد

بدر مني تصـرف يخالف صفة التواضـع، وأعتذر لكل زميل قد لمس شــيئاً غير مقصود فهمه ذاتيّاً، أنه ليس من سلوك التواضع؛ لأنه لا يليق بالإنسان الضعيف إلا أن يكون متواضعاً مع كل إخوانه المسلمين.

إن التواضع الذي أذكّر به ذلك التواضع العفوي غير المصطنع، الفطـري غير المتكلف، ومما يدهشـني أن أرى الصـغير يُقبل رأسَ الكبير، حين يكون ذا سـلطة أو جاه أو مـال، ولا يفعل ذلك مع غيره من البسطاء، حتى الزاهد العابد التقي من الناس.

رحـم اللّه آباءنا؛ فلقد دأبـوا على حثّنا أن نُقبـل رؤوس الكبار عامـة، وأن نفسـح لهـم في المجالسـ، وألاّ نسـبقهم في الدخول، أو الخروج، ولا نتحدث إلاّ بإذن منهم، وألاّ يعلو صوتنا عند اللقاء بهم، أو الجلوسـ أمامهم، وأن ندعو كل واحـد منهم ب «يا عم يا خال». إنه تواضع بلا هوان، تواضع بلا صَغَار أو استهانة بنا منهم أو فرض منهم علينا، لكنه فطرة التواضع المترجم للحب والاحترام.

ومما يؤلم النفس أن ترى متكبراً فخوراً متغطرسـاً يحتقر آراء الآخرين، ويقلل من قدرهم ويُسـفه آراءهم؛ لأنهم أصغر منه سنّاً، أو أقـل شـهادة، أو طلاب علم منه «ناسـياً أنه خُلق مـن طين، وأن الطين يُحرق بالنار، فيصير فخاراً، ولا بد للفخار أن ينكسر».

الحياء

لا أنسـى ذلك الطالب في المرحلة المتوسطة بمعهد إمام الدعوة (في الرياض) في أول عام لي بمهنة التعليم، حين طلبت من طلاب الفصـل الكتابة عن (العيد) في موضـوع التعبير، ونقل هذا الطالب موضـوعه مـن (اجتلاء العيـد) أحد موضـوعات الرافعي في كتابه (وحـي القلـم)، ولما واجهتـه بالأمر تصـبب وجهه عرقاً، واصـفر محياه حياءً وخجلاً وأسـفاً؛ مع أني أعطيته درجة يسـتحقها جزاء معرفته بمصـادر الأدب العليا؛ لأنه مع صـغر عمره توصل لمثل هذا الكتاب وقرأه.

أتذكر هذا الموقف كثيراً، وقد دفعني ما حدث فيه إلى الحديث عن الخجل والحياء.

ما الخجل؟ ومـا دوافعه؟ ما مظاهره؟ وما الحياء المسـتحبُّ؟ وما الفرق بينهما؟

تسـتعمل كلمة الخجـل أحياناً بمعنى الاسـتحياء، وهذا معنى مرغـوب فيه، وأقول بألم شـديد: أين الاسـتحياء اليـوم عند بعض النـاسـ؟ كأنه دفن مع من دفنوا من أعلام الشـيوخ وأكارم الرجال والنساء.

إن للخجـل معنى آخـر يختلف به عن الحيـاء، وإن خلط بعض الناس بين المعنيّين.

الحياء هو التأدب والاحترام، وهو ما يدعو له الدين؛لأنه خلق رفيع، وسلوك نبيل، وحتى لا تذبل هذه القيمة العظيمة، فإني أناشد كل الناس التمسك به، والتحلي بفضائله في كل تعاملاتنا، وفي جميع لقاءاتنا، وفي داخل بيوتنا وخارجها مع أهلينا، وكل من يتعامل معنا.

الاستحياء هو الاتصاف بالحياء، والعمل به: ﴿فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ﴾ [القصص: ٢٥]، لكن يجب ألا يكون الحياءُ مضيِّعاً للحق: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَا﴾ [البقرة: ٢٦].

«**الحياء شعبة من الإيمان**» حديث شريف قاله الحبيب المصطفى ﷺ الذي قال عنه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: «كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها، فإذا رأى شيئاً يكرهه عرفناه في وجهه».

وقد قال ﷺ: «**الحياء لا يأتي إلاّ بخير**»، وقال ﷺ: «**إن مما أدرك من كلام النبوة الأولى إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت**».

أما الخجل الذي هو نقيصة في حق من يتصف به فهو ذلك الشعور الذي يعتري الإنسان في بعض المواقف حتى يحبسه عن التعبير عن حقه إذا كان صاحب حق، ومرد ذلك إلى التكوين النفسي، وأعرف بحكم تجربتي كيف أن الخجل السلبي قد يخفي وراءه قدرات فذة عند من هو متصف به.

ومن ذلك أن بعض طلابي حتى في المرحلة الجامعية، حين أطلب منه أن يكتب في موضوع ما، فإنه يسطِّر بأنامله رائع فكره

وأسلوبه، يجري هذا أمام ناظري في الدرس، وحين أطلب منه أن يُلقي أمام زملائه ما كتب، فإنه يقف مضطرباً مبهوتاً، قد تملكتْهُ الحيرةُ، وتولاَّه الخوف والارتباك، فأشعر بالشفقة عليه حين يحمر وجهه، وينعقد لسانه، إذ لم يستطع النطق إلاّ بكلمات مقطعة لا تكاد تبين.

ومنذ سنوات قليلة مضت كنت في لقاء علمي، فهمس أحد الحاضرين من الأساتذة الجامعيين في أذني بأفكار جميلة، جديدة، جريئة، في الموضوع نفسه الذي عقد من أجله هذا اللقاء العلمي، عبَّر لي عن أفكاره هذه خير تعبير، فقلت له: هذه أفكار عظيمة لا بد أن يسمعها الحضور؛ فقُم وتحدثْ عنها، وبعد إصرار مني على ذلك قام مرتبكاً خائفاً، شارد اللب، مرتعش الأعضاء، مصفر الوجه، طويل الصمت والتفكير، ثم تكلم كلاماً بصوت متهدج، ونَفَسٍ متقطع، لم يفهم منه الحاضرون شيئاً من هذه الأفكار العظيمة.

فما الذي يحبس لسان هؤلاء الطلاب، فلا يجرؤون على الانطلاق متحدثين ومجيبين؟!

وماذا اعترى هذا الأستاذ الجامعي أخا الحفل فلم يسعفه الموقف السليم والقول المرسل في التعبير المفيد عن تلك الأفكار؟ لا شك أنه الخجل، وهنا يتبين الفرق بين الحياء المطلوب والخجل المرفوض.

يعتري الخجل بعض الناس في مواقف متعددة في الحياة، والمرء منا قد تصادفه هذه المواقف، وتمر به هذه التجارب، ولكن حين لا يكون ذلك دائماً، فإنه مقبول لا غضاضة فيه، وقد مرَّ به أئمة فضلاء، عرفوا بفصاحتهم، وانطلاق سجيتهم، وغيرهم، ومنهم

الخليفة الراشد الذي صعد المنبر يوماً، فارتج عليه على غير عادته ولم يستطع أن يقول ما كان يريد، فقال مقولته الشهيرة: «أنتم في حاجة إلى إمام فعَّال أكثر من إمام قوَّال»، وهذا النوع من الخجل يُعرَف بخجل «المواقف» وأمره هين، وعلاجه يسير، يتمثل في الاستعداد المبكر للتعرف إلى ما سيواجهه الإنسان؛ إذ إن خجل المواقف، هو نتيجة المفاجآت غير المتوقعة.

أما الخجل بالمعنى العلمي النفسي فهو الذي يلازم صاحبه، ويغلب عليه أينما سار، ويمنعه خجله من أن يشترك مع أفراد مجتمعه في مظهر طبيعي فيما يأخذون ويتركون من أمور الحياة، إذ يزداد خجله أمام الناس، وبخاصة الغرباء دون سبب.

وصاحب الخجل بهذا المفهوم هو أشد الناس حاجة إلى الرعاية والمساعدة، وإذا لم يسعفه العلاج زادت حالته على الأيام سوءاً، ووقف خجله عقبة كؤوداً في سبيل ما ينشده من السعادة والنجاح، بل في سبيل إشاعة فكرة طيبة يملكها أو عمل مفيد يحققه.

إن الخجل الدائم الناتج عن ضعف الثقة بالنفس، أو شعور صاحبه بنقص في جانب من جوانب قدراته، كافتقاره إلى بعض الملكات هو الذي يحتاج إلى علاج، والعلاج يكمن في تدريب صاحبه تدريباً مستمرّاً على معالجة المواقف التي كان يخشاها؛ حتى يتبدد خجله، ويواجه هذه المواقف بثقة وشجاعة، ومن وسائل هذا التدريب حَمْلُه على مجالسة الناس، وحسن إصغائه لما يقولون، وملاحظة ما يؤثرونه من أنواع الكلام، وتمرينه على الاشتراك معهم فيما يتبادلون من أمور، ولو اقتضى الأمر أن يُعدّ هو مسبقاً الكلام الذي

سيشترك به، ويأخذ نفسه بالمران عليه، حتى يحذقه، فيكسب بذلك نوعاً من الاطمئنان النفسي يغالب به الخوف والخجل.

ومن خلال تجاربي في الحياة، فإن هذا الخجل السلبي قد يحرم الناس مما يكون عند صاحبه من وجهات نظر سليمة، ويتيح المجال لمن قل حياؤهم، وقصرت عندهم أفكار ذلك الخجول أن يسيطروا على المجالس.

ألا نشهد هذا كثيراً في بعض المؤتمرات والندوات المختلفة؟! وكم يحرم الناس من الفكر الصائب عند ذلك الخجول دونما داعٍ لخجله؟ كما حدث مع الأستاذ الجامعي الذي أشرتُ إلى موقفه.

هذا.. وكل ما أقصد طرحه هو النظر إلى الصحيح من القيم، فالحياء الذي هو شعبة من الإيمان هو أن يستحي الإنسان أن يقول في أمر لا يعرف عنه، أو يدعي الخبرة في موضوع هو جاهل به أو أن يتبجح بذكر مواقف بطولية لم يقم بها أو ذكر مواقف غير مشرفة، ومع ذلك يتباهَى بفعلها، أو أن يطالب في غير أدب بشيء ليس حقّاً له أو يتسلط على مجلس ضمه دون مراعاة للآخرين مكانة وتحدثاً أو أن يأتي من الأفعال ما لا يليق بالإنسان فعله، أو يتصرف تصرفاً مشيناً، متوهماً أنها البطولة منه، وأنها تلفت النظر إليه.

إن من حُرِم نعمةَ وخُلقَ الحياء حُرِم بذلك الكثيرَ الجميلَ من عظيم الصفات، فهو متبلِّد الحِس، جامدُ الشعور، لا يخاف اللّه، ولا يرعوي أمام الناس والمواقف، ولا يشعر بما يجب أن يشعر به كل إنسان كريم الطبع جميل الشعور إن مَن حُرِم نعمة الحياءِ فهو كالجمَاد بلا حِسٍّ.

أليس الكذابون قد خلوا من الحياء، وانعدم لديهم شعور الخوف من الله وافتضاح أمر كذبهم أمام الناس؟! وينطبق هذا الخزي، وقلة الحياء على اللصوص، والمرتشين والمنافقين، وأمثالهم ممن لا يقيمون للخُلقِ وزناً، ولا يعرفون لسمو النفس طريقاً.

ويأتي ضمن من فقدوا الحياء، وتركوا مكارم الأخلاق هؤلاء المتزلفون.. الذين يبالغون في أحاديث النفاق وأعمال الرياء.

ويأتي ضمنهم المداحون المغالون، وما عَرف هؤلاء أنهم قد يكونون مستهجنين حتى ممن يمدحونهم؛ لعلمهم بكذب أقوالهم، وعدم مصداقية شعورهم؛ ألم يرد في الأثر ما معناه: «إذا أتاكم المداحون فاحثوا في وجههم التراب»، وينتج عن المغالين في المدح أحياناً تأثيرٌ في نفوس بعض الممدوحين، إذ هي تخدعهم بل تضلهم عن الصواب وربما تجرفهم إلى غير طريق الحق، ويدرك كثير من الناس كيف أن فاقدي الحياء قد يغررون بأناس يُرجَى منهم الخير، ويؤمَّل فيهم الصلاح لكنهم لكثرة هذا النفاق من المادحين لهم قد يخرجون عن طريقهم القويم.

وإني لأتساءل متعجباً من هؤلاء الذين فقدوا الحياء نفاقاً وتزلفاً وكذباً ألا يعلمون أن الرزق بيد الله، وأن العمر محدود عند الله، ولن يُنقِص أحد رزقك، ولن يقطع لحظة من عمرك؟! قال أحد الصالحين: «آمنت أن رزقي لا يأخذه غيري، فاطمأن قلبي».

الحياء أهم مقومات الآداب الإنسانية عامة، والإسلامية خاصة، وندم من فرط فيه، وشائع وصف من يرتكب مذمةً أن يقال له: «قليل الحياء».

obeikandl.com

أما الخجل غير المحمود فهو الانزواء عن الحياة، والانطواء على النفس، والامتناع عن قول الحق أو طلبه، فمثل هذا الخجل نوع من الانكسار النفسي لا مسوغ له وعلى من ينتابه شيء من ذلك العمل تلافيه، والتخلص منه وتشجيع نفسه على الانطلاق إلى كل ما هو محمود من السلوكيات، ومطلوب من الأخلاقيات، وليستعن بمن يثق فيهم ليأخذوا به إلى خارج دائرة الانزواء الممقوت، والانكسار المكروه؛ ليخرج إلى حياة العمل والمشاركة، ولقاءات الناس فيما هو خير للجميع.

obeikandl.com

الكرم سمة الكرام

تـراه إذا مـا جئتـه متهـلـلاً كأنك تعطيه الذي أنتَ سائله

من القيم العربية المشهورة، ومن السمات الإنسانية العريقة الكرم؛ لأنه خصلة من أطيب الخصال، ولأنه يميز العرب عمن سواهم منذ أن عرفهم التاريخ في الجزيرة العربية.

تحدثتُ فيما سبق عن الإخلاص، وأثق أن الكرم ليس ثمرة، بل هو توءم الإخلاص فالكريم حقّاً هو الذي يعطي ما يعطي مخلصاً طائعاً لربه، أما الذي يُعطي رياء أو تباهياً ما حُق له أن يُسمَّى كريماً؛ لأنه قصد إلى شيء نفسي وراء هذا الذي يظنه كرماً، إنما هو دعاية شخصية له.

وفي القرآن الكريم والسنة النبوية كثير من الحثّ على التحلي بهذه السمة العظيمة وكلنا يحفظ قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥-١٠].

وقال تعالى: ﴿... وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩].

ويكفي الكرم نبلاً أنه من أسماء الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠]. ووصف به رسوله الكريم: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة: ٤٠].

ووصف الله سبحانه وتعالى بالكرم ملائكته، فقال: ﴿كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ﴾، (كراماً بررة)، ولقد جاءت مادة (كرم) ومشتقاتها ثماني وأربعين مرةً في القرآن الكريم دلالة قاطعة على عظم قدر هذه السمة عند الله تعالى وأثرها في حياة الناس.

ومثل ذلك كثير فيما ورد في السنة المطهرة.

إن الكرم يؤدي إلى انتشار الحب والوئام في المجتمع، وبه يتلاشى الحقد والحسد من القلوب، فيسود التعاون، والحب، والتسامح بين أبناء المجتمع من الأغنياء والفقراء وتقوى الصلة والمودة بينهم، ويصبحون جميعاً كالجسد الواحد، أو البنيان القوي المتين.

وفي حياة العرب يأخذ الكرم نصف الحياة، وتأخذ الشجاعة نصفها الآخر، بل إني لأقول: إن الشجاعة هي وليدة الكرم.. فالشجاع كريم يجود بنفسه، ولن تجد بخيلاً شجاعاً؛ لأنه بخيل بالمال وغيره، فهو أشد بخلاً بنفسه.

قال الشاعر العربي:

نجودُ بالنفس إن ضَنَّ الجوادُ بها والجودُ بالنفسِ أقصَى غاية الجود

وقال آخر:

فأوقدت ناري كي ليبصَرَ ضوؤُها وأدخلتُ كلبي وهو في البيت داخله

ومعروف ما دار بين النابغة الذبياني وحسان بن ثابت، حين قال حسان:

لنا الجفنات الغر يبرقن في الضحى وأسيافنا يقطرن من نجدة دماً

فلم يوافق النابغة على قول حسان: (الجفنات) لأنها جمع قلة، والأفضل: (الجفان) جمع كثرة؛ لتدل على كثرة الكرم. وأيضاً لم يوافقه على: (يبرقن في الضحى) لأن كل وعاء يبرق في الضحى، والأفضل: (لو قال يلمعن في الدجى) ليراها السائر في الليل تلمع، فيأتي لأهلها الكرام.

وها هو الكرم يبدو في أبهى صوره:

متى تأتِه تعشو إلى ضوء ناره تجد خيرَ نارٍ عندها خير مَوْقِدِ

ولشدة حب الكرم كان الوليد بن المغيرة يرفض أن توقد نار مع ناره، وكان يتكفل بالسقاية أيام الحج في الجاهلية.

لقد فتن العرب بالكرم.. واتخذوا له رموزاً وإشارات، فكانت تسمى (الكلب) (داعي الضمير، ومتمم النعم، ومشيد الذكر؛ لما يجلب من الضيوف بنباحه).

وكانوا إذا اشتد البرد، وهبت الرياح، ولم تشب النيران، فرقوا الكلاب حول الحي وربطوها إلى العتمة؛ لتستوحش فتنبح، فتهدي الضال.. وتأتي الأضياف على نباحها.

وما حاتم الطائي إلا أنموذج سوف يبقى عبر التاريخ للكرم الحقيقي والعطاء المخلص. ولقد ورث حاتم هذا الكرم عن أمه «عتبة بنت عقبة» التي كانت من أسخى الناس وأقْراهم للضيف، وكانت لا تبقي شيئاً تملكه، فلما رأى إخوتها إتلافها حجروا عليها، ومنعوها مالها، فمكثت دهراً لا يُدفع إليها شيء منه، حتى إذا ظن إخوتها أنها قد وجدت ألم ذلك أعطوها صرمة من إبلها، والصرمة

هــي (مجموعة من الإبل) فجاءتها امــرأة من مازن كانت تأتيها في كل ســنة تســألها، قالت لها أم حاتم: دونك هذه الصرمة، فخذيها، فوالله لقد عضني من الجوع ما لا أقدر أن أمنع منه سائلاً أبداً. ثم أنشأدت تقول:

لعمرى لقد عضني الجوعُ عضة ... فآليـتُ ألاّ أمنعَ الدهر جائعا
فقُولا لهذا اللائم اليوم: أعفِني ... فإن أنتَ لم تفعل فَعُض الأصابعا
فماذا عليكم أن تقولا لأختكم ... سِوَى عذلكم أو عذل من كان مانعا
وهل ينظرون اليوم إلا طبائعاً ... فكيـف بتركي يا ابن أم طبائعا

ولقد جاء الإسلام متمماً لمكارم الأخلاق التي كان عليها العرب في الجاهلية وثبتها، وأثنى على أصحابها، ومنها الكرم.

تلك واحــدة من قيمنــا العظيمة، وهكــذا كان التعبير عنها في ذلك الزمان، حيث شظف العيش وقلة الطعام.

واليوم ترى كيف يكون الكرم، وكيف يكون التعبير عنه؟

إني لأشـعر بالاســتنكار لهــذا الــذي نــراه ادعــاء للكــرم في مجتمعنــا المتمثل في البذخ وإهدار الأموال في الموائد، فالكرم ســمة عظيمة، وخصلة نبيلة، لكنه لا يعني الإسراف والتبذير غير المعقول؛ لأن الكرم المحبوب المطلوب هو وسط بين التقتير، والتبذير. وتختلف مظاهره بحســب الأزمنة والحاجة، وأضـرب لذلك مثلاً بمظاهره، فقــد كانت مظاهره قديماً تتمثـل في الموائد الحافلة بكثير من ألوان الأطعمة المتنوعة، ذلك أن الحاجة للطعام في ذلك الوقت هي مظهر الكرم للضـيوف، وللأهل والجيران بعدهم والناس في أمس الحاجة

obeikandi.com

إليـه، وأتذكر في صِـباي كيـف أن النـاس يفرحون بالمناسـبات، ولا يبقون على شـيء مما تمتلىء بـه الموائد من طعام، أما الآن فالكرم قد صـار صـورة مغايرة لذلك؛ تتمثل في مد يد العـون للمحتاجين، وعون المعسـرين بالمال والجاه كل بحسب طاقته، دون إسراف مخل، قـال تعـالى: ﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٩].

وهناك صـور للكرم تغيب أهميتها عن بعض النـاس، وهي كرم المشـاعر، والتعبير عنها كم هو أجمل أن يفتح الإنسـان قلبه ووجهه للناس من أن يفتح متجهماً باب منزله أو مكتبه.

أبِنْ للآخرين طيبَ مشاعرك نحوهم، ولطفَ تعاملك وحوارك معهم، وثناءك على ما تراه حَسَـناً من أعمالهم، وصادقاً مفيداً من أقوالهم، ومصيباً نافعاً من مواقفهم.

لم لا نعطي النـاس حقهم من الشكر والعرفان إذا هم أحسنوا؟! كما نعطي العاملين أجرهم إذا عملوا.

أطفالنا والقيم الدينية

حقّاً كثيرة وجميلة قيمنا الإسلامية التي نتحدث عنها دائماً، وعسى أن يكون عملنا بها مثل حديثنا عنها، وأرجو الله ألاّ نكون ممن قال الله فيهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الصف: ٢]، وحين فكرت في كتابة هذه الخواطر تذكرت ما كنا عليه صغاراً، وما نتمسك به من القيم الدينية، وفي مقدمتها صلاة الجماعة، وخاصة صلاة الفجر، التي كانوا يتفقدوننا فيها، وتمسكنا منذ كنا صغاراً بتلك القيم الدينية التي هي حصن التربية التي نشأنا عليها، والتي ندعو إلى ضرورة إبقائها في تربية أبنائنا،خاصة في هذا الوقت الذي تتنازعهم فيه تحديات أكثر ما تكون دينية وخلقية.

والقيم الدينية التي نقصد تأكيدها لدى الأبناء الصغار لا تعني الجمود في الأسلوب، ولا جفاف اللفظ، ولا الخشونة في تعاملها، وإنما المرونة في الأسلوب المناسب للأطفال، ومدى فهمهم وإدراكهم المرتبط بالبيئة والمجتمع الذي نعيش فيه مع المحافظة على جوهر القيم الدينية ذاتها، وترسيخها في نفوس التلاميذ، وتأكيدها في أذهانهم.

إنه مما لا شك فيه أن الأشياء التي يتعلمها الطفل منذ حداثة سنه، والمعلومات التي يحصّلها تؤدي دوراً مهمّاً في إدراكه وفهمه للأشياء، وحكمه عليها طوال عمره، ومن هنا جاءت المقولة الشهيرة: «التعلم في الصغر كالنقش على الحجر» حيث إن السنوات

الأولى تُعدّ حجر الزاوية بالنسبة إلى الفرد، وبقدر ما يتعرض له الطفل من القيم الدينية، ويدرك ما لها من أهمية بقدر ما يكون لهذه القيم شأن في حياته، وبقدر ما تشكل الضمير الواعي الذي يردعه عن فعل الخطأ، ويقف حائلاً بينه وبين المنكرات.

فحقيقة التربية في الإسلام هي تنشئة الطفل وتكوينه إنساناً متكاملاً من الناحية الأخلاقية، بحيث يصبح في حياته مفتاحاً للخير، مغلاقاً للشر في كل الظروف والأحوال.

وليس المقصود ببثّ القيم الدينية وتأكيدها لدى الأبناء في مراحل تعليمهم أن يكون ذلك عن طريق الكلام أو الشعارات فقط، إنما لا بد من الربط بين الأقوال والأفعال.

ولقد ثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن الأمر بشيء وعدم مزاولته أو النهي عن شيء وأنت تمارسه تكون رِدّة من تأمرهم أو تنهاهم ردّة قاسية.

عجباً لهؤلاء الذين يفعلون ذلك، لقد قال لي أحد محدثيّ يوماً من الأيام: إني شديد الخجل أن أنهى ابني عن التدخين، وأنا أدخن.

فقلت له: إن كنت صادقاً في نهيك فلا سبيل لك إلا الإقلاع عن فعل ما تنهى عنه؛ لأنه لو لم يكن صاحب الأمر متحلياً به فلن يستجيب أحد لدعوته.. وهناك مثل تاريخي عظيم: حين دخل الناس في دين الله أفواجاً لم يكن ذلك إلاّ لأن الداعي له كان معروفاً منذ صباه بالصدق، والأمانة، ما جرب أحد عليه كذباً أبداً ﷺ.

والقيم الدينية التي يجب أن نؤكدها، ونرسخها عبر المدارس والإعلام في أذهان التلاميذ يجب أن نجسدها لهم في صورة القدوة

الحسـنة، وصورة السـلوك النبيل؛ حتى يلمس الطالب ذلك بنفسه، ويستطيع إدراكه، ثم التمسك به، والعمل بمقتضاه.

إن الديـن ليس شـهادة ينطق بها اللسـان: «بل إنـه ما وقر في القلب وصـدَّقه العمل» وليس مجرد حركات ومناسـك وشعائر؛ إنما الديـن عاطفة تنبـع من أعماق النفس البشـرية تدفـع، إنما الدين عاطفة تنبع من أعماق النفس البشـرية تدفع الإنسـان إلى التفاني في سـبيل الحق، واحترام الغير، وحسـن معاملة الآخرين، وقبل كل ذلك يكون الإخلاص في هذا الشـعور، كما سـبق الحديث في المعنى العظيم للإخلاص.

إن هذه العاطفة الدينية الصـادقة التـي يحركها الإخلاص لا تنشـأ بمعزل عن العالم بل تنمو بنمو الشخصية، وتتحلّ بانحلالها، لذلك كان من الضـروري أن يكون التوجيه الديني مسـايراً لطبيعة الأبناء ونموهم العقلي والوجداني.

الإنسـان والصـغير خاصـة ينشـأ ميالاً بفطرته إلى المعرفة، فهـو بدافع حب الاسـتطلاع يريد التعرف إلى ما حوله من الأشـياء والكائنات؛ لذا يجب أن يحسـن استثمار هذه الفطرة التي فطر اللّه الناس منذ نشأتهم عليها، وأن يحسن توجيهها لتزويدهم بالمعلومات الصـحيحة النافعة؛ حتى تمتلئ أفئدتهـم بالقيم الدينية التي تكون بمنزلة اللبنات الأولى في بناء الشخصية.

إننـا إذا تأملنـا حياة النبي ﷺ نجد أنه كثيراً ما يأمر بحسـن معاملة الأطفال، وكان يحسـن معاملة الحسـن والحسـين رضي الله عنهما فكان

يداعبهما، ويلاطفهما ليبعث في نفسيهما الرحمة والطمأنينة، وكان الصحابي إذا ولد له مولود انطلق به إلى رسول الله ﷺ فوضعه في حجره، فيقبله النبي ﷺ بكل رحمة، ورقة، وعطف، وحنان، فيقرأ له شيئاً من القرآن، ويلوكه بتمرة، وكان المولود الذي يحدث له ذلك يُعدّ من السعداء، وهو بالفعل كذلك. عن عائشة رضي الله عنها قالت: «**كان رسول الله ﷺ يؤتَى بالصبيان، فيدعو لهم بالبركة، ويحنكهم**».

ويكبر الصغار، حتى إذا وصلوا إلى سن التمييز أمر الله تعالى بتعليمهم القيم الدينية المهمة والنافعة، لهم ولأسرهم، التي لا بد منها صيانة، وحماية، وتعليماً للقيم الأخرى.. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ﴾ [النور: ٥٨].

ومن الآية الكريمة نجد الحرص التام على تأكيد قيم الحياء، والعفة، والطهارة، لدى الأطفال منذ صغر سنهم، فإذا ما كبروا، وأصبحوا في سن المراهقة، فإن الأمر يتغير، ويصبحون مثل غيرهم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَـٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُواْ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [النور: ٥٩].

لذلك اهتم القرآن الكريم بترسيخ هذه القيم الدينية لدى الأطفال، وهم في سن المرحلة الابتدائية، وهي قيم تحافظ على شخصية الطفل، وتحميها من الدمار الذي قد يلحق بها.

ومن أبرز صور الحرص على القيم الدينية عند الأطفال حرص الدين على العبادات المفروضة وأمر النبي ﷺ بتعليمهم الصلاة

وهم في سن السابعة، وضربهم عليها وهم في سن العاشرة، قال ﷺ: «**مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع**».

ولابد أن أنبه إلى أن الضرب المقصود هنا ليس المراد به الضرب المبرح، وإنما هو ضرب للتنبيه، ويكون بسواك أو مثله غير موجع، وعلينا أن نتذكر أن الأب يظل على مدى ثلاث سنوات يأمر ولده بالصلاة، الركن الثاني من أركان الإسلام يمر على الولد في تلك المدة «خمسة آلاف وأربع مئة وخمسة وسبعون وقت صلاة مفروضة» يكون فيها التنبيه قد بلغ أوجه، ثم بعد كل ذلك يكون الضرب من الوالد، بما لا يُنفر من هذه الصلاة.

ولعلي بهذا أزيل اللبس عند بعض المعلمين الذين يُقْدِمون على الضرب؛ لأن التلميذ لم يحضر واجبه، أو لأنه تكلم مع زميله في أثناء الدرس، أو تأخر عن الحصة بضع دقائق.

وفرق كبير بين توجيه الأب بالنصح والحسنى وبين ما يعبر عنه المعلم بالضرب والتعنيف، فلن يشك الولد في صدق وخيرية مشاعر أبيه نحوه.

إن من القيم العظيمة في الإسلام الإحسان إلى الناس صغاراً وكباراً إحسان معاملة وملاطفة، وتودد؛ لأن النفوس مجبولة على حب من أحسن إليها لا حب من يؤذيها بضرب أو غيره، حتى لو كان الضارب أباً أو أماً.

وأشعر بسعادة بالغة كلما رأيت صغاراً يصلون الجماعة.. أفرح بهم.. وكثيراً ما أحادثهم وأشجعهم على التمسك بذلك، بل إني حريص على أن يؤمنا أحدهم ذات يوم.

إننا معشر الآباء مطالبون اليوم أكثر من أي وقت مضى بأن نعمق القيم الدينية في نفوس أبنائنا عملاً واضحاً جليّاً لهم يتمثل في سلوكنا اليومي أمامهم، فنصدق مع الله ومعهم، فيصدقون هم كذلك.. وكل قيمة دينية أو عادة حسنة نرغبها لأبنائنا مفتاح تحققها فيهم يكمن في امتثالنا لما نحبه لهم.

القيم الدينية يجب ألا تترك أبداً، بل يجب ألا تذبل؛ لأنها أساس نمو الشجرة المثمرة وعطاء الخير للحديقة الخضراء، أي حياة الأبناء حياة سعيدة، رغدة، راضية مرضية، هكذا يجب ألا تذبل قيمنا.

إن كل ما نرجوه، ونأمل تحقيقه من عز، ورفعة، ومنعة لن يتحقق إلا بتمسكنا بقيمنا الإسلامية العظيمة.

obeikandl.com

أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً

وصف الله رسوله الحبيب بأنه: «**على خلق عظيم**»، والخُلق قرين الخِلقِة التي هي أصل الإنسان ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ﴾ [العلق: ٢].

الخلق واحد الأخلاق،والأخلاق العظيمة هي تلك السمات السامية النبيلة الراقية ذات القيمة العليا، والقيمة تعني ارتفاع الشيء إلى أعلى درجاته، ومن هنا جاءت القيم الإيمانية ممثلة في أرقى الأخلاق والسلوكيات الإنسانية مما جاء المدح بها في كثير من الآيات القرآنية، والسيرة النبوية الشريفة: «أدبني ربي، فأحسن تأديبي».

هيا بنا نحافظ على كل هذه الجواهر الأخلاقية.

تعالوا نتمسك بالقيم الإسلامية الإيمانية الراقية.

بالعود إليها، والحديث عنها، وتوضيح جواهرها نجد أنه لا نهائية لحقيقة وصور هذه القيم التي هي الجوهر الأسمى في معتقدنا، وبالتحلي بها نضرب المثل للدنيا عن جلالة ديننا وسمو عقيدتنا، ونبل دعوة إسلامنا.

هذا التجاوب الكريم من الأحبة القراء الذين أسعدوني بآرائهم، ودفعوني إلى المزيد من الحديث عما لم أتطرق إليه من هذه القيم، وما زاد في غبطتي أن بعض مديري مدارسنا صوروا هذه المقالات، ووزعوها على سائر المعلمين وكذا وزعوها على الطلاب وخاصة طلاب المراحل العليا من التعليم العام، إذ اعتبروها

موضـوعات ثقافيـة تربوية نافعة، يجمـل التحلي بهـا، والتزود بما تدعو إليه من آداب وأخلاق إسلامية راقية.

إن الحديـث عـن هـذه القيم يذكـرني بما سـألني عنه طلاب جامعيـون في جامعـة كاليفورنيا حينمـا كنت أسـتاذاً زائراً هناك قائلين: لماذا أنت مسلم؟

فـكان الجواب هو أن رجعت إلى القرآن الكريم ومعي ترجمة معانيه باللغـة الإنجليزية، واسـتهللت حديثي بالقول: «إن إيمـاني بالله لا يكون صحيحاً إلاّ حين أومن برسله صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً وعددت منهم إبراهيم، وموسـى وعيسـى، ومحمد». وإن رسـولنا محمداً ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسـلين، وإن ما جاء به هو المتمم للرسـالات السـماوية السـابقة، وإن إيماننا نحن المسلمين بالكتب السـماوية المنزلة على رسل الله جميعاً شرط أساسي لصحة إيماننا واكتماله.

ثم بدأت أشرح لهم أن كوني مسلماً جاء نتيجة إيماني واقتناعي بالقيم العظيمة التي جاء بها رسـول الهدى محمد ﷺ من عند ربه الواحد الأحد الفرد الصـمد، وفتحتُ المصـحف الكريم على سورة الإسـراء أفسـر لهم نماذج من هذه القيم، بدءاً من الآية الكريمة: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ [الإسراء: ٢٢]، إلى قولـه تعـالى: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء: ٣٩].

وصادف أن المدينة التي تقع فيها الجامعة، وهي (سانتا باربارا) مدينة اشتهرت ضمن ما اشتهرت به بوجود ملاجئ كثيرة للمسنين

القادرين ماليّاً، يأتـون إليها من أنحاء مختلفة من أمريكا. وقارنت لهم ذلك بما يجري عندنا، إذ إن أبناء المسن عندنا يتنافسون فيما بينهـم؛ كل واحـد منهم يرغـب في خدمـة أبويه عند الكـبر، أخذاً بتعاليـم الإسـلام التي قرنـت الأمر بعبـادة الله بالأمر بالإحسـان إلى الوالديـن، وكيف أن بعض الأبناء في بلادهم الأمريكية يُودعون والديهم في بيوت كبار السن، ويغيبون عنهم أشهراً، بل سنين طويلة دون أن يعودوهـم نتيجـة عـدم تقيدهم بالقيم الدينية التي نصت عليها كل الكتب السماوية المنزلة.

ثم واصـلت الحديث عن تلك القيم التـي تلوت معانيها عليهم، وكيف أن الاستمساك بها يسمو بالإنسان، وشرحت لهم أن الإسلام نهج حياة، وليس مجرد ممارسة عبادات.

لو أن هذه الأمة المسلمة تخلقت بخلق الإسلام، وتمسكت بقيمه العظيمة تمسـكاً حقيقيّاً كاملاً يظهر في سلوكهم، وتعاملهم، ونظام الحكـم في بلدانهم، لرأينـا عالماً مِثاليّاً يدخل، بسـببه وحبّاً للحياة فيـه، من غير المسـلمين في دين الله أفواج كثـيرة، كما كان ذلك في العهود الأولى للإسـلام، حين دخلت في الإسلام شعوب كثيرة؛ حبّاً في سمو قيمه المتمثلة في تعامل المسلمين وسلوكياتهم.

لو أن خطباءنا ودعاتنا ومعلمينا فهموا جوهر ما تدعو إليه هذه القيم من مثاليات، وركزوا عليها شارحين، موثقين، داعين، متمثلين في سـلوكهم بها لتحقق ما أتخيله أو ما يقاربه، لعشـنا في حياة غير ما هو حولنا.

obeikandi.com

حضـرت خطبـة إحدى الجمع في مسـجد قرية صـغيرة، فإذا بالخطيب يقول كلاماً لا أعتقد أن المصـلين فهموا من تكلفه أسلوب البيان والبديع وغريب العبارات شيئاً من مثل قوله في تلك الخطبة: «**تعس عبد الدينار تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش**» ومثل ذلك كثير.. يقول هذا ومعظم مَن أمامه لا يكاد يملك أكثر من قوته وقـوت عياله ولو أنه ذكر لهم بعض قيم الإسـلام كالتعاون والمثابرة علي كسـب العيش والصـدق لكان أجـدى وأنفع لهم. ثـم إن هناك في لغتنـا ما يوجب على الخطيب مراعاة مسـتوى ثقافة السـامعين وحالتهم الاجتماعية.

ولـو أن واضـعي مناهجنا الدراسـية في مختلف المـواد المقررة كمـا كنت الداعي إلى تحقيقه، شـديد الحرص عليـه أوجزوا قليلاً من الإسـهاب في دروس العبادات وتفصيلاتها التي هي معروفة عند الجميع غالباً، ومكررة في الكتب سنوات دراسية متنوعة، وركزوا على جوانب الأخلاق التي تتمثل في هذه القيم لكان ذلك أجدى وأنفع.

بربكم.. ما الذي سـيفيد شـابّاً في مقتبل العمـر التركيز على قضـايا فقهية مثل باب البيوع، وزكاة الماشـية والـزرع والركاز، ولا سـيما أن الدولـة رعاها الله ترسـل جباة الـزكاة في كل عام طبقاً لمواعيـد محددة، وما أدعو إليه مؤلفي مناهجنا ومعلمي مدارسـنا، أدعو إليه خطباءنا ورجال الإعلام في بلادنا.

ثم ما بال هؤلاء المقطِّبين المتأففين لم يمتثلوا لقول رسول الله ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، الموطؤون أكنافاً، الذين يألفون ويؤلفون ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف**».

مـا أعظمـك يا حبيبنا المصـطفى ﷺ أنت القائـل: «**أقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحسنكم خلقاً**»، وقولك: «**أحب عباد الله إلى الله أحسنهم خلقاً**»، وقولـك كذلك: «**أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم**»، وعلى نهجك هذا جاء القول المأثور: «**المعروف شيء هين، وجه طلق ولسان لين**».

أبعـد هذا كلـه يمكنني ألا أسـتمر مستفيضـاً في الحديث عن قيمنا العظيمة؟!

إنهـا الـزاد الذي تحيا بـه حياتنـا، والمنهاج الذي تسـير عليه أمورنا، والسـعادة التي تسـود مجتمعاتنا.. آهٍ.. لو تحققت بصـدق لرأينا كيف تكون حياتنا.

obeikandl.com

عود الجمع ورأبُ الصَّدع

الجمع قوة، والقوة نصر وخير، والتفرق ضعف، والضعف هزيمة وفقر، بالجمع تعلو الأرقام، وتكثر الثمار،يقولون: نجمع الثمار من الحديقة نجمع الأبناء والأسرة حول الطعام.

أما الفرقة.. فهي الصراع.. هي التمزق للأسرة.. للمجتمع.

أعود بنظرة لما كنا عليه قبل مئة وعشرين عاماً في جزيرة العرب..

كانت قبائل متفرقة..أسر وعائلات متنازعة..عصبية متقاتلة، هجمات مباغتة وكان العمل العظيم للملك المؤسس الكبير الملك عبدالعزيز طيب الله ثراه أَنْ وحَّدَ القبائل، وجمع المتفرقات، وأزال العصبيات، وها هي ثمرة ذلك ما نحياه اليوم في هذا الوقت في وطننا الغالي من أمن واطمئنان، وما هو حولنا من سعادة ورخاء، وثراء وتطور نتيجة جمع المتفرقات ورأب المتنازعات.

وهكذا كل جمع قوة، وكل فرقة ضعف.

قال الشاعر:

كونوا جميعاً يا بني إذا اعترى ... خطب ولا تتفرقوا آحادا
تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسراً ... فإذا اجتمعن توحّدت آسادا

لذا، فإن جمع الصف، ووحدة القوم، وترابط المجتمع سبيل إلى الهدى والسلام والخير، فهو بذلك من أعظم القيم، وأفضل الخلق.

إن أعظم ما نعتز به من قيمنا الإسلامية ومن أهم ما نحن في حاجة إليه من أعمال خيرية هو رأبُ الصدع، وإصلاح ذات البيْن. فإذا كانت الحياة الإنسانية أو الفردية، أو الاجتماعية، أو الوطنية في حاجة ماسَّة إلى رأب الصدع بين أطرافها، وعود الجمع بين صفوفها لازمة فيما مضى فإنها في وقتنا الحاضر ألزم والحياة إليها أشد على جميع المستويات، ذلك لما اجتاح الحياة المعاصرة من متنوع صور الخلاف، وكثرة أسباب النزاع، بل الحروب بين الدول وتعمق صور الصراعات.

وهذه الحاجة المعاصرة إلى رأب كل صدع يحدث شرخاً في بناء الأسرة والمجتمع وضرورة العمل على عودة الجمع، والوفاق والتوحد بين من شتّت بينهم الفرقة وهددهم التمزق والصراع، تجعلنا ندعو جاهدين، ونأمل من كل القادرين العمل على تحقيق حياة آمنة مطمئنة لنا، ولأسرنا ومجتمعنا.

وتمنياً للأحباب ألاّ يحدث في حياتهم هذا التصدع أو التفرق يقال للعروسين: (بالرفاء والبنين) لأن الرفاء هو اتصال الطرفيْن وعدم افتراقهما ورفأ الثوب وصل بين الجزأين المقطوعين فيه.

ولكن لماذا تجدني مشدداً في دعوة الجميع إلى رأب الصدع، ولمّ الأطراف وعودة الجمع والتأكيد أن ذلك من أهم القيم التي يجب ألاّ تذبل أبداً في حياتنا؟

ذلك أن رأب الصدع ولمّ أطراف النزاع، وإصلاح ذات البيْن من أهم العوامل التي تُعطي الحياة صورة الاستقرار والسعادة.

فالنزاع لا يخلق إلاّ الترقب، والخوف، وعدم الاستقرار، إذ كل طرف يخاف الآخر، بل يجهز لمواجهته ما يلزم.

وللفرقة بين الناس دوافع كثيرة، ومظاهر متعددة، تضيق وتتسع، وكلها يتحتم فيها بذل الجهد المخلص لرأب الصدع، وعودة الجمع، والاستقرار والصلح فما أكثر صور هذا العمل الطيب الذي يعيد للحياة هدوءها، وللأسر التئامها، وللناس محبتهم وللوطن استقراره ونهضته.

ولقد دعانا الإسلام العظيم إلى السعي الجاد المخلص للإصلاح بين المتخاصمين، وجعل لمن يقومون بذلك العمل النبيل مكانة عالية، ونص القرآن الكريم على ذلك: ﴿**لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾ [النساء: ١١٤]. يا له من فضل عظيم، قال عنه ﷺ: «**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا: بلى، قال: إصلاح ذات البين، وإفساد ذات البين هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين**».

وقال ﷺ لأبي أيوب الأنصاري: «**ألا أدلك على أفضل تجارة؟ قال: بلى، قال: صِل الناس إذا تفاسدوا، وقرب بينهم إذا تباعدوا**».

وكثيرة هي أقواله وتوجيهاته ﷺ وأفعاله في الحث على رأب الصدع وجمع الشمل بين الناس.

ومن أبرز الأمور التي يجب أن يكون فيها رأب الصدع محققاً للجمع معيداً للوئام هو ما قد يكون بين أفراد الأسرة من خلاف،

obeikandi.com

خلاف بين الزوجين لسبب من الأسباب وما أكثرها، خلاف بين أفراد أسرة واحدة كانت مضرب المثل في التلاحم والنجاح، ثم تمزقت هذه الأسرة بعد وفاة رائدها بسبب النزاع المالي، مع وفرته وكثرة موارده.

هنا يجيء المصلح الجامع للطرفين محققاً للاستقرار معيداً لألفة الأسرة، وجامعاً لقلوبها ومحبتها، لهذا دعت جميع الأديان ودينا الإسلامي خاصة إلى الإصلاح بين طرفي الأسرة إذا نشب خلاف.

ولقد كان رسول الله ﷺ أسوة مثالية في رأب الصدع وإزالة الشحناء بين المتخاصمين. فما أعظمك يا رسولَ اللّهِ.. حقّاً هو الإسلامُ بك انتشر والسلام بك تمكنّ، إنك أنت المحذر من التشاحن والتباغض والتباعد، مؤكداً ذلك بقولك: «تفتح أبواب الجنة يوم الإثنين والخميس، فيغفر الله لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً إلاّ رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: «انظروا هذين حتى يصطلحا، انظروا هذين حتى يصطلحا».

وعلى نهجك الشريف سار صحابتك والتابعون من بعدك في هذا السلوك الحميدفها هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: «من أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس. وقال: عليكم بالتواصل والتباذل، وإياكم والتدابر والتقاطع، لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيولى عليكم شراركم، ثم تدعون، فلا يستجاب لكم».

وفي زماننا المعاصر ما أحوجنا إلى رأب الصدع، وسد الشرخ العميق الذي ينشأ بين قوى سياسية في وطن واحد.. كما هو الحال

في بعض الأوطان العربية، حيث تحتاج إلى من يلمّ الشمل، ويوقف النزاع، وبذلك تعود للبلاد وحدتها لتواجه عدوها الذي يستغل تمزقها، ويشعله أكثر؛ ليحقق غراضه العدوانية.

ولكي يتحقق الصلح بين أطراف النزاع، ويعود الجمع إلى الجماعة لا بد أن يكون ذلك بجهود بعض الذين تؤهلهم ظروفهم، وواقعهم الاجتماعي من القدرة على تحقيق ذلك؛ لأن المصلحين لا بد أن يتمتعوا بصفات حميدة تمكنهم من تحقيق ذلك، وأولها وأهمها أن يكون المصلح من أهل التقوى والصلاح، معروفاً بين الناس بالخلق الكريم، والعمل الطيب، والحيدة، وبهذا يكون مسموع الكلمة، له مكانته عند الجميع، ويتحقق بتدخله هذا الصلح المطلوب.

لابد لمن يهب نفسه للإصلاح أن يكون مخلصاً في ذلك، غير طامع في شكر أو شهرة بين الناس، أو له مطالب مادية أو دنيوية يبغيها من وراء ذلك.

ولن ينجح في مهمته إلا أن يكون أميناً على ما يودع عنده من أسرار الخصوم وألا يفشي شيئاً من ذلك حتى بعد الصلح، مع صبر وأناة وتحمل.

أعود للقول: إننا اليوم في أشد الحاجة إلى من يصلحون بين الناس، ويعيدون الجمع إلى الأسر والجماعات مهما كانت الصعوبات.

ولكن ما المورد لأهل الصلح ودعاة الخير؟

إنه التربية السليمة القائمة على الالتزام بالقيم الإيمانية الرفيعة والتمسك بها.

تربيــة تعلّــم الأجيال الحرص علــى وحدة البنــاء الاجتماعي، والبعد عن الطائفية والعنصرية في أي مجال.

التربيــة في كل أبعادها هي البنــاء، وكل بناء يحتاج مع الزمن إلى ترميم، ومن تربوا هذه التربية السـليمة هم القادرون على رأب الصدع وإعادة الجمع.

obeikandl.com

الوفاء، والعرفان

أن يكون الوفاء والعرفان من أبرز تعاليم ديننا، ثم يبزّنا الآخرون بممارستهما والتمسك بهما؛ فإن ذلك أدعى إلى الخجل من أنفسنا، ودافع لأن نعيد حساباتنا في علاقاتنا مع اللّه، ومع ديننا، ومع وطننا، وأنفسنا وذوينا، والناس أجمعين.

ثلاثة من الجواهر مرتبطة بالعروة الوثقى: الوفاء، والعرفان، والمعروف.

حتماً لهذه القيم التي هي زهور حديقة مكارم الأخلاق، ودرر تيجان الناس ومفاخر وتباهي الإنسان حتماً لها عمقها في أصالة قيمنا، وكبير دورها في أخلاقنا.

- عهد بيني وبينك سأوفي به.
- عهد ألا أنسى لك حسن صنيعك معي، ولا أنكر ما قدمت من معروف.
- عهد بيننا ألاّ تعمل جماعة أو أسرة شرّاً بالأخرى.

الوفاء هو الإتمام والكمال فكل شيء بلغ تمام الكمال، فقد وفَى وتمَّ.

إنه في كل صوره أداء الحقوق مادية أو معنوية والبلوغ بها إلى ما يجب لها من الوصول إلى مستحقيها.

إنه صفة اختص بها الإنسان، فمن فقد الوفاء فقد خرج عن حوزة الإنسانية.

الوفاء هو جوهر الثلاثية التي أخبرنا عنها رسول الله ﷺ حين قال للصديق أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «عليك بصدق الحديث، ووفاء العهد، وحفظ الأمانة، فإنها وصية الأنبياء».

الوفاء من ضرورات الحياة التي لا تستقيم إلاّ بها؛ فالناس محتاجون إلى التعاون والمشاركات، ولن يتم التعاون أو تستمر المشاركة إلاّ بالوفاء، والحفاظ على مقومات تعاونهم، وإن عدم الوفاء ليس إخلالاً بالعمل والعلاقات الإنسانية وحدها بل هو اختلال أمر الدين؛ فضياع الوفاء يفسد مصالح الدنيا، وتضيع ثقة الناس في بعضهم.

لهذا، فالوفاء ذو مكانة عظيمة بالمقياس النفسي، والمعيار الاجتماعي.

إن الوفاء على الكريم فريضة   واللؤم مقرون بذي الإخلاف

ولهذا التميز للوفاء مدح الله تعالى أبا الأنبياء إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بقوله: ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾ [النجم: ٣٧]، فإذا تعود المرء الوفاء وجد في ممارسته لذة وسعادة.

سئل حكيم عن ألذ شيء في دنياه فقال: «مكافأة أهل الوفاء والمروءة».

لكن أين يوجد الوفاء؟ ومع من يجب أن نكون الأوفياء الصادقين في وفائنا؟ وما الأمور التي يظهر الوفاء جليّاً فيها، فاعلو الخير والجميل أهلها؟

قصص الوفاء، وكيف حقق الحياة السعيدة لبعض الناس، وكيف أبهجهم حيناً ونصر الحق حيناً آخر كثيرة متداولة في التراث العربي القديم، وفي حياتنا المعاصرة منها زاد وفير، وكلنا حتماً عرف شيئاً من حكايات الأوفياء، أو قرأ كتابة عنهم.

الوفاء هو الصبر على ما يبذله الإنسان من نفسه، ويبرهن به لسانه، فليس وفيّاً من تلحق وفاءه أذية.

وكالأمانة علواً وقدراً الوفاء بالعهد، وردّ الجميل، وذكر الناس لأفضال صاحب المعروف هو الوفاء، فلا هم أوفياء إذا نسوا فضله أو أنكروا حسن صنيعه.

والوفاء تلك القيمة الواسعة الأطراف له آثاره الكبيرة في حياة الأفراد والشعوب، فالأفراد الذين يوفي الطرف الآخر معهم يجعلهم يحيون آمنين مطمئنين.

والأمم والشعوب التي ينفذ الطرف الثاني عهده عهوده معها تحيا في أمن وأمان..وتتصرف بجهدها إلى التنمية والتطور.. لأن الوفاء حقق لها الهدوء والاستقرار.

بل إن الوفاء حق حتى للحيوان، ومن ذلك حكاية «ليلى» زوج أبي ذر الغفاري والناقة التي نذرت للّه أن تنحرها لو نجت من القتل وهي عليها، وحدث ذلك، وكانت قد أقبلت على ناقة تمتطيها بعد غزوة من الغزوات. فقالت: يا رسول اللّه، إني قد نذرت للّه أن أنحرها إن نجاني اللّه عليها؛ فآكل من كبدها وسنامها؛ فتبسم النبي ﷺ ثم قال: «**بئس ما جزيتها به أن حملك اللّه عليها، ونجاك**

بها، ثم تنحرينها» فالوفاء لهذه حفظ حياتها وإكرامها والرأفة بها وليس نحرها.

صور قد تبدو بسيطة، لكنها شهادة دامغة، وعرفان تاريخي بأن الإسلام هو دين الوفاء وحفظ الجميل لصاحبه، ارتقاء إنساني لا مثيل له أبداً إلا في الإسلام.

وما هذا العدد من الآيات التي ورد فيها ذكر (العهد)، و(الوفاء)، (صنع الجميل والمعروف) ومجموعها مئة وخمس وعشرون آية إلا دليل صدق على أن ديننا الإسلامي هو بحق دين الوفاء، دين الثقة، دين الصنع الكريم؛ وأداء المعروف بإحسان والعرفان بالفضل لأهله، وعدم النكران مع تبدل الأحوال.

ومن صور الوفاء الراقية خلقاً وسلوكاً الوفاءُ بالوعد؛ لأن في الوفاء بالوعد في حينه تحقيقاً لأمور كثيرة؛ لأن صاحب الوعد المنتظر قد ربط بين أمور عدة تتحقق كلها عند الوفاء بالوعدوقد يكون فيها ما يتصل بحياة الإنسان نفسه، وهذا الوفاء بالوعد هو خلق نبيل جميل محبوب وأصحاب الوفاء بالوعود في وقتها هم حقّاً أصحاب خلق كريم، وسلوك نبيل.

يا إسلامنا العظيم، يا ديننا السمح الكريم.. ما أروعك في كل شيء، وما أجملك في كل خلق.. وما أنبلك في كل سلوك! أَصَّلْتَ القيم التي هي محامد الأمم، وزدت عليها، وجعلت أصحابها من ذوي الفوز برحمة الله ورضوانه.

إني أدعو إلى التمسك بالوفاء؛ فهو فرض من الله علينا، وترْكُه لُؤم مرذول نعاقب عليه.

obeikandi.com

إننا في لهيب هذا الصراع الاجتماعي والشعوبي الذي يشمل كل الأمم والشعوب في حاضرنا نرى أناساً قد تخلوا عن الوفاء، وفكوا أنفسهم من قيوده؛ مع أنه من أرقى الصفات وأسمى العلاقات.

حتى إن بعض الشعراء اعتبر الوفاء كالأشياء التي هي من صنع الخيال؛ لكثرة ما يحدث من نكران وعدم عرفان، وانتشار التخلي عن الأهل والصحبة، فضاعت جواهر المروءة، ولم يعد يظهر بريق الوفاء إلاّ قليلاً:

قال الشاعر:

وعلمت أن المستحيل ثلاثة: الغول، والعنقاء والخل الوفي

وقال آخر:

أشدد يديك بمن بلوت وفاءه إن الوفاء من الرجال عزيزُ

وقال آخر:

أبغي بدهر لا وفاء له كأنني جاهل بالدهر والناس

لكني أقول له: لا تقنط فالخير موجود بحمد الله والعرفان موثق لعرى الصداقة فيما بيننا وبين الناس، والوفاء من قيمنا الجميلة التي لن تذبل من دنيا الخيّرين، وأهل الشهامة والمروءة أبداً، إن شاء الله.

نعم.. هناك شيء بغيض، وسلوك كريه، وهو نسيان المعروف، ونكران الجميل وإسناد ما صنع المخلصون من خير، وما قدموا لأهليهم وبلادهم من إنجازات، وتطور وعمران وفكر ونهضة إلى غيرهم، نكراناً ولؤماً وخسة من المنكرين.

ولكم يوجعك ويفزعك، وأنت الوفي لصاحبك، المخلص لصداقته، الملتزم بأدبيات العلاقة الحميمة معه، أن تراه فجأة قد نسي كل شيء، وتنكر لكل علاقة بينكما.. وكأنها لم تكن.

نكران الجميل، ونسيان المعروف صفة مرذولة حقّاً، والأمر السيئ أن يكون من صديق لصديقه، إلاّ أنه يكون أبشع وأقبح وأسوأ حين يجيء من المجموعة أو المجموعات من الناس والمحك والمعيار الحقيقي للوفاء والعرفان هو الاستمرار بالعرفان لأهله مهما كان موقعهم في الحياة، أو علاقتنا بهم، أو حتى بعد موتهم.

obeikandi.com

إن لم تكن صادقاً معي فلست صديقي..

في كل ما أكتبه بعنوان: «حتى لا تذبل قيمنا» التي مصدرها القيم الدينية بكل ما يتصل بها من المعاني الأخلاقية الإنسانية تأتي العلاقات الاجتماعية قيمة دينية راقية، يجب التمسك بها، والمحافظة عليها.. فلقاءات الأسر والعائلات في الأفراح.. جميلة في مشاعرها الصادقة، راقية في أسلوبها؛ لما يصاحبها من التكافل الاجتماعي، والمشاركات الوجدانية في الأمور الخاصة، وما ينجم عنها من توثيق العلاقات، واتساع دوائر هذه اللقاءات، وتأصيل روابط الحب والصفاء، والسلام بين هذه الجماعات، وتلاقيهم دون دعوة أو قضية إنما لتوطيد عرى الصداقة المخلصة والتعرف إلى أحوال الأصدقاء هي لا شك قيمة سامية؛ لأنها تنبع من النفس، وتتحرك فعالياتها من القلب، وليس وراءها مطلب شخصي، ولا نفع مادي.. بل أحياناً تكون هناك من بواعث المشاعر الفياضة الصادقة من واحد تجاه الآخر ما يكلفه جهداً ومالاً.. يقوم به وهو راضي النفس، سعيد الخاطر، فما أنبل مثل هذه القيم.. حقّاً!

يقول صديق لي: إن الصديق قد يكون أقرب إلى النفس من القريب، بحكم أن القريب لا خيار عندك في قربه لك، أما الصديق فأنت من يختاره؛ لذا قالت العرب: «رُبّ أخٍ لك لم تلده أمك».

ورب أخ ليست بأمك أمه   متى تدعه للروع يأتيك أبلجا
يواسيك في الجُلّى، ويحبوك بالندا   ويفتح ما كان القضا عنك ارتجا

obeikandi.com

وقد أثبتت الوقائع في القديم والحديث صحة هذه الحكمة، فبالأمس القريب علمت أن أحد أصدقائي المتوفين حديثاً الذي كان يظنه الجميع ثريّاً؛ لما يظهر عليه من البذل والعطاء، فإذا به مدين بالملايين، فانبرى صديق عزيز له صاحب نعمة وتكفل بدفع كل ما عليه من ديون، واشترى منزلاً لأولاده، مع أن هذا الصديق المتوفى له ابن عم «لأخوّة أبويهما» يُعدّ من أكبر أثرياء بلادنا، وثروته أضعاف ثروة ذلك الصديق الذي أحسن وأوفى، لكن ابن العم الثري جدّاً لم يفكر في شيء مما قام به هذا الصديق

مع حثّ كثير من الناس له ليقوم بتلك المروءة، إنني ممن يوقنون أن من أكبر نعم الله على الإنسان أن يكون له أصدقاء خيّرون مخلصون.

والجدير بالذكر أن الصداقة حين تكون قيمة حقيقية من قيمنا، فإنها إنسانية عالمية في معانيها والتزاماتها.

ويفرق الناس جميعاً بين من هو صديق ومن هو من المعارف، ولهذا تقول كاتبة أمريكية شهيرة «إليانور روزفلت»: «يدخل كثير من البشر حياتك، ويخرجون منها، إلاّ أن الأصدقاء الحقيقيين فقط هم من يتركون آثاراً في قلبك».

وتقول أيضاً: «من يفقد المال يفقد الكثير، ومن يفقد الأصدقاء يفقد أكثر» وأضيف أنا قائلاً: إن أشد الناس خسارة من يفقد قيمه الدينية، أو يخسر محبيه بالتفريط فيهم؛ لعدم صدقه معهم.

الصديق الحقيقي، والصداقة الصادقة ليس منها من هو صاحب يقود للشر كالشيطان، لا بد من معاداته ومخالفة طريقه، فهو قرين سوء.

وما أبعد المنافقين عن حقيقة الصداقة؛ فليس صديقاً حقّاً ذلك الذي يتقرب إليك، ويزعم حبك والإخلاص لك؛ لأن عندك نفعاً يعود عليه، أو مصلحة تلزمه، ثم تنتهي كل العلاقة بانتهاء النفع وتحقق الغرض، علاقة وقتية، اقتران محدد بالمصلحة الشخصية، ومثل هذا ليس من عالم الصداقة، ولا عداد الأصدقاء أبداً، يقترب منك حين يرى هو، ويكسب هو، وما أكثر هؤلاء البوم الذين يطنّون حول عسلك حين يكون عندك عسل لأنهم ذباب ليس إلاّ.

وليس من الصداقة هؤلاء الذين لا تشعر بعمق العلاقة، ولا صدق الوفاء منهم، بل بينك وبينهم غربة ووحشة، وكأنك به منفي لا تأنس لمكان، ولا تستقر في لقاء ولا هؤلاء المتلونون كل وقت بحال.

الصديق الحقيقي هو أنت: مرآتك الصادقة ترى فيه نفسك، وروحك وطباعك وأخلاقك، إذا غاب عنك شعرت بالوحشة دونه، والشوق إلى عودته، كأنما جزء منك غاب عنك، فكلك قلباً وروحاً وشعوراً تحن إلى لقياه، ألم يوصف أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالصدِّيق؛ لأنه أول من صدَّق وصادق، وأخلص صداقته، ولازم صديقه، فالصديق بحق هو من يظل على متين صداقته وصادقها؛ فهو في الشدائد كما كان قبلها، بل إني لأعجب بحقيقة ما تدل عليه كلمة «الصدِّيق» إذ هي صيغة مبالغة من «الصدق» ولم تُعط هذه الصفة لأحد غير أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

إنه ليطول الكلام عن الصداقة، والأصدقاء:

قال الإمام الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مبيناً حقيقة الأصدقاء:

إذا المرء لا يرعاك إلاّ تكلفاً فدعه، ولا تكثر عليه التأسُّفا
ففي الناس أبدال، وفي الترك راحة وفي القلب صبر للحبيب ولو جَفَا
إذا لم يكن صفو الوداد طبيعة فلا خير في ودٍّ يجيء تكلفا
سلام على الدنيا إذا لم يكن بها صديق صدوق صادق الوعد منصفا

وإذا حظيت بصديق تتمثل فيه الصداقة بحق، فلازمه، وتمسك بصداقته، واتخذ كل وسيلة لبقاء هذه الصداقة حية نضرة مثمرة، لا تترك فرصة يمكن أن تمل فيها من هذا الصديق لطول صداقته، أو لأنه جاء بأمر لا يرضيك؛ ذلك لأن الحصول على الصديق عمل ليس يسيراً، بل صارحه بما تراه، أو عاتبه على ما حدث منه «وقد تصفو المودة بالعتاب» لكنه عتاب المتمسك بصاحبه، العتاب الخفيف على نفسه والقليل، بل النادر إن أمكنك فلا تبقى قوة صداقتكما إذا عاتبته كل يوم على كل شيء.

أيها الأصدقاء: لا تُدخِلوا في جماعتكم إلا من هو أهل للصداقة بكل معاييرها، ولا تعدّوه صديقاً إلا من يكون بحق صورة لمكارمكم، مرآة صافية لجمال علاقاتكم، وجميل صفاتكم فغير ذلك مشين لكم، جالب للسوء عليكم، وفي ذلك ينسب للإمام علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذه الأبيات:

ولا تصحب أخا الجهل وإيـاكَ وإيـاهُ
فكم من جاهل أردى حليماً حين يلقاهُ

يقاسُ المرء بالمرء إذا ما هو ماشاهُ
وللشيء على الشيء مقاييس وأشْبَاهُ
وللقلب على القلب دليل حين يلقاهُ

ولنتذكر دائماً العبارة الشهيرة: «الصديق من صدَقَ لا من صدَّق» فلنتخير الصديق الصدوق، الأمين الخلوق، الوفيِّ الكريم.

كتب صديق عزيز وفيٌّ رسالة إلى صديقه يقول: أيها الصديق الوفي الصدوق الحبيب، تحّية من قلبي لمن أحب، وإني بتمسكي بصداقتك أتمثل ما قاله أحد الشعراء:

تمسك إن ظفرت بودّ حرّ فإن الحر في الدنيا قليلُ

حقّاً.. ما أجمل الصداقة الحميمة، فإنها الثروة الحقيقية كما أراها، وتلك طبيعتي التي أتعامل بها مع الناس.

يا قوم.. هذا هو الوقت.. فاغتنموه

دقات قلب المرء قائلة له: إن الحياة دقائق وثواني

الوقت أغلى من الذهب، بل أغلى من كل الجواهر مهما كانت ثمينة ونفيسة الوقت هو مسيرة الوجود كله، حتى قبل الحياة.. قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ [التوبة: ٣٦]، ويوم القيامة وقته طويل طويل: ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ﴾ [المعارج: ٤].

خواطر كثيرة راودتني، وأنا أتأمل أهمية الوقت، وجوهر قيمته، وفي الجانب الآخر كم نضيِّع من الوقت دون فائدة! وهناك كارثة بكل المعايير، هي أن يكون لدينا أوقات فراغ، وتكثر المقالات عن كيف نقضي أوقات الفراغ، وكأننا مجتمع قد ازدحمت جداوله بالعمل والسهر، وفاضت جنباته بعرق الكدح، والجد، والجهد المخلص، فجاءت تبحث عن وقت للترويح، وتجديد النشاط.

إن العمر إذا تأملناه هو الوقت، وهو هذه اللحظات التي تمر عليك قارئاً هذه السطور، ثم هو استغلال ما وعيت، حتى يصير إضافة لتراثك الفكري.. وهو عند الذين لا يعون أهمية الوقت لحظات محطمة ملوثة، تنحط بها الدنيا وتظلم، وتعيش فيها الأفاعي والجرذان، حتى تصير الدنيا خربة؛ ينعق فيها البوم، وتنتشر فيها المظالم وما خربت أو تلوثت إلا لإهانة الإنسان معنى الوقت بعد أن كرمه الله به.

ما أولانـا بتربية عميقة الجذور تملأ دنيانـا بالأمناء الأقوياء، وتقرع آذاننا عن اللهو والضـياع والانتحار الزمني، واللافت حقّاً أن تراثنا العظيم تحتشـد فيه المنبهات الزمنية، بل إن العبادات نفسها تدور كل يوم مع حركة الشـمس، وهي أكبر سـاعة زمنية، ثبتها اللّه فوق رؤوسنا في سماء دنيانا.

الصـلاة مـع حركة الشـمس، والفجر قبـل أول أشعتها يدعو لليقظة والعمل والظهر بعد ميل الشمس إلى مغربها وهلمّ جرّاً.

الزكاة كلما مر عام على مال اللّه الذي آتانا.

الحـج كله مواقيت ونفرات جماعيـة عاجلة الحركة، والطواف المنظم الخاشع؛ فما أولانا بيقظة تنبت فينا وعياً جديداً بالوقت!

الوقـت قيمة مهمة متقدمة لمجموع قيمنا العظيمة، الوقت الذي أقسم اللّه تعالى به مرات عدة، وسبحانه وتعالى لا يقسم إلاّ بما هو عظيم الأهمية مستحق لأن يقسم به.

وأقـرر أنـه لا مسـتقبل لمجتمع لا يـؤرق أفراده «الوعـي بقيمة الزمـن»، وإذا أردنا أن نفهم شـعباً ما يجب أن نعـرف قيمة الوقت عنده، وكيف يحسب وقته بشكل مختلف عن سواه من الشعوب، ومن الحكم الاقتصـادية التي ظهرت حديثاً: أسرع الشعوب أغناها، وهو قول له رصيد من الواقع كبير والصحة الحقيقية.

لقد وقفت ذات يوم على بحث علمي موثق يؤكد أن أسرع الشعوب هو أغناها، وأبرز الباحث عنصـراً سـمّاه: «إلحاح الوقت»، ودراسة لبعض الثقافات التي تمتع الفرد فيها «بالإحساس بالزمن»، وكذلك

استيعاب الفارق الكبير بين العيش على «زمن الساعة» والعيش على «زمن الحدَث»؛ ففي الأول تتحدد بدايات الأشياء ونهاياتها تحديداً صارماً بالساعة، بينما في الثانية يخضع الناس لتلقائية توالي الأحداث، وقد قدم الكاتب ترتيباً لدول العالم في سرعة الحياة، فاحتلت سويسرا المكان الأول في القائمة واحتلت ثمانٍ من الدول الغربية ثمانية من الأماكن التسعة على القمة، وكانت اليابان في المركز الرابع.. وتبيّن للباحث وجود علاقة قوية بين الصحة والانضباط في الوقت، وبينها وبين نمط الشخصية، ويعني بهذا أن المنضبط والمتقيد بدقة مواعيده هو ذو شخصية جادة فاعلة، متمتع بصحة نفسية وجسدية كاملة.

إنك لتعجب كم يبحث الناس عن أيام العطلات، ليستريحوا من العمل.. وكم هم سعداء يوم الأربعاء لراحة الخميس، والجمعة.

حدثني أخي عبدالله عن طرفة حقيقية حين كان يعمل في شركة أرامكو السعودية، كان له زميل سعودي في العمل: حدث أن تم ترفيع عدد من العاملين في الشركة لم يكن هو من بينهم؛ فذهب إلى رئيس الوحدة التي يعمل فيها وهو أمريكي معاتباً لعدم ترقيته كزملائه الآخرين، فقال له الرئيس: «لماذا تطالب بهذا وأنت لا تحترم الوقت؟ أنت تحضر متأخراً، وتنصرف مبكراً، وتختفي فيما بينهما..»؛ لذا فقد اختفيت من بين مستحقي الترقية!

إن هذا الحدث البسيط في وقعه الكبير في دلالته يدفعنا إلى أن ننظر في طرائق معالجاتنا للوقت، حينما نعمد أحياناً لما نسميه «أوقات الفراغ»، كيف يقضيها الشباب؟ وماذا يفعل بها

الشـيوخ، بينمـا «الواجبات أكثر مـن الأوقات» ونحن على مسـتوى الوطن العربي لا نكاد ننتج ضـرورات الحياة، من طعام، وشـراب، ودواء، واحتياجات الدفاع عن النفس التي يسـاوي ثمنها المليارات، وتتضـخم عاماً بعد عام، ولنراجع الإحصـاءات، والدراسات لنجد عندها الخبر اليقين.

إن لدينـا في تربيتنا الإسـلامية كنوزاً مـن القيم، والمفاهيم، والنصـائح القولية والسـلوك الفعلي تؤكد أن الوقت هو من أهم ما يجب أن يُعتنى به، وإن أحد الأسئلة الأساسية التي ستوجه لكل واحد منـا يوم القيامة: فِيْمَ أبلى شـبابه، وكيف أفنـى عمره؟ كما ورد في الحديث الشريف.

مـن هنا أجزم بأننا في حاجة ماسـة إلى تربيـة متكاملة، تأتي عـن طريق القنـوات المتعددة: «البيت، المسـجد، المدرسـة، المعهد، الجامعـة، وسـائل الإعلام، المجتمـع» تربية تبعث قيمـة الوقت من مراقدها، تحفظ المهدر، وتسـتنفر المتبلد، وتستنبت الخامد، وهذا يجعلنا نقول بحق: لا مستقبل لفرد أو لشعب، لا يؤرقه الوعي بالوقت، ولا ينذره مرور الأزمان.

إنـه مما يحـزّ في النفس خلف الوعد في كثـير من الأمور، على كثـير مـن المسـتويات في مجتمعنا، ومـا خلف الوعـد إلاّ اسـتهتار بالوقت، ويأتي ضـمنه عـدم التقيد بتنفيذ المهـام في وقتها وحينها المحـدد، وكثيراً مـا أنتقد من يعطي موعداً مبهمـاً؛ كأن يقول مثلاً: نلتقي بعد العصـر، أو أرجو حضـورك بعد صـلاة العشاء، وما بعد صلاة العشاء ممتد حتى الفجر.

obeikandl.com

إن الاستهتار بدقة مواعيدنا الارتباطية والعملية ضياع سافر للوقت، وإهدار للعمر الذي نأكل منه كل يوم جزءاً كما قال العقاد في ذلك ما معناه: يجب ألا نقول صار عمر فلان أربعين عاماً، بل يجب أن نقول الحقيقية، وهي «نقص عمر فلان أربعين سنة» لأن العمر يتناقص كل لحظة حتى ينتهي؛ فعلينا ألاّ نضيع ما بقي سدى.

إن أمر الوعي بالوقت، والتزامه جدّ ليس بالهزل، وحق ليس بالباطل، ومن لا يؤمن بهذا، ويقدر على تطبيقه فهو مقصر أشد التقصير.

﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾ [محمد: ٣٨].

هذا.. وفي المقابل، فإني بالتأكيد لا أدعو إلى العمل ليل نهار.. دون راحة أو إجازة، ولكن ليس بالقدر الذي هو بيننا الآن.. فهلا نعتبر؟!

obeikandi.com

النظافة والنظام

النظافة والنظام توءمان لا ينفصلان، تشابه في الحروف الأصلية الأولى؛ لهذا فهما متلازمان دائماً، وكلاهما يكمل الآخر ويحققه.

النظافة والنظام من أجمل القيم الإسلامية وأحسنها، سواء أكانت النظافة مادية ظاهرة أم معنوية خفية، وسواء أكان النظام شكليّاً أم فكريّاً.

نقل لي من أثق فيه حدثاً عجيباً، مفاده: دخل رجل على طبيب الأمراض الجلدية يشكو إليه التهاباً شديداً بين أصابع رجليه، وحالة من التعفن الكريه.. فسأله الطبيب الألماني المسلم: هل أنت مسلم؟ قال المريض: نعم.. فقال له الطبيب: اخرجْ.. ليس لك عندي علاج. لماذا أيها الطبيب وأنت متخصص في الأمراض الجلدية؟!! فقال الطبيب المعالج المسلم: لو أنك تتوضأ كل يوم خمس، أو ثلاث مرات للصلاة ما حدث لك ذلك! اذهب وتوضأ صحيحاً، وصلّ للّه طالباً الشفاء.. وسوف ترى أثر النظافة. ألم تسمع الأثر: «تخللوا، فإنه نظافة، والنظافة تدعو إلى الإيمان، والإيمان مع صاحبه في الجنة».

أجل؛ إن هناك نظافة مادية ونظافة معنوية، والثانية أدق وأخفى، وأهم وأسمى وهي نظافة الروح من كل شوائب الحقد والحسد، ونظافة القلب من كل أدران الكراهية والغل، وسوء الظن بالناس: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الحشر: ١٠].

إن طهارة النفس ونظافة القلب هما النظافة الكبرى التي يجني المسلم ثمارها في الدنيا حبّاً واحتراماً، وتقديراً من الناس وإكراماً، وفي الآخرة رحمة من الله، ومغفرة ورضواناً.

جاء أمر النظافة في أوائل الأوامر الإلهية، وضرورة تنفيذها بكل دقة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْ﴾ [المائدة: ٦].

ترتيب ضروري، وتدقيق لا بد منه، فلا تقبل الصلاة دون نظافة الوضوء، ولا يصح الوضوء إلاّ بترتيب ونظام محددين.

النظافة هي جوهر الحياة وسر جمالها، وليس ذلك لمجرد النظافة، بل ليكون المسلم نظيفاً نقيّاً، ثم ينال الجزاء الأوفى، وتتحقق له المثوبة التي أخبرنا بها الحبيب المصطفى، حين قال: «**الطهور شطر الإيمان**».

النظافة مطلب إيماني ليس تظاهراً وادعاءً؛ ذلك لأن خالق السموات والأرض نظيف يحب النظافة، وفي الأثر: «**إن الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم**».

لست واعظاً لمجرد القول والخطابة، لكنها الثوابت الإيمانية، بل هي الكرامة والنزاهة الإنسانية.

ولا أنسى أستاذي في الدراسات العليا بالولايات المتحدة الأمريكية الذي كان يحاضرنا في تاريخ الحضارة والتربية، فقال: لقد سبق المسلمون غيرهم من كل أصحاب الحضارات السابقة

بالنظافة، فهم يستنجون بالماء، ويتوضؤون خمس مرات في اليوم، ولا يذهبون إلى المساجد إلاّ بثياب طاهرة، ورائحة طيبة، ولا يصلون إلا في مكان طاهر نظيف، وأتذكر كيف كنت فخوراً مزهوّاً بذلك الشرف أمام سائر الطلاب الأمريكيين.

والجميل أكثر أن تبقى هذه المقولة بتكرارها؛ فقد نقل لي الصديق العزيز الدكتور عبدالرحمن الجعفري أنه درس هذا المقرر بعدي بسنوات مع الأستاذ نفسه، وسمع منه هذه المقولة نفسها، وكأنها صارت لازمة له، لشدة قناعته وإعجابه بها صارت حقيقة في تقديم منهجه الدراسي لا ينساها. فما أعظم مظاهر ديننا وحقائقه!

إن حرص المرء على نظافة بيته ومكان عمله، واختياره أنظف الثياب دليل على الأخذ بقيمة مهمة من قيم الإسلام: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [الأعراف: ٣١]، وهو في الوقت نفسه مقياس ثناء عليهم، واحترام لجميل حياتهم.

لقد بيّن لنا الإسلام أن النظافة هي الرقي الإنساني، ودقّق كل التدقيق في ضرورة تحقيقها في كل شيء، في كل جزء من حياتنا، ولو علم الإنسان عامة والمسلم خاصة ما يتحقق له من النظافة لعاش ولوعاً بها، شديد الحرص على استمرار التزامه وتحليه بكل صورها.

وكلنا يعرف الحديث النبوي الشريف الذي ينهى، ويمنع حضور آكل الثوم والبصل إلى الصلاة؛ حتى لا يؤذي المسلمين برائحته، فما بالنا بمن هو كريه الرائحة من كل جسمه وثيابه! ألا يعرف أن النظافة من القيم العظيمة في الإسلام؟!

النظافة بجانب أنها من أعظم المظاهر الإيمانية في المساجد، وفي الأعياد، وفي الحفلات، والمناسبات هي سمة تجلب الاحترام لمن هو نظيف، والتقدير لمن هو متحلٍّ بها.

لقد حرص الإسلام على النظافة، أشد حرص؛ حتى رغَّب المسلم في أن يكون ثوب صلاته مع الجماعة غير ثوب عمله؛ حرصاً على تمام النظافة وحسن المظهر واللقاء، وسنّ للمقتدر أن يكون له ثوب عمل وثوب صلاة ليوم الجمعة يلبس النظيف منهما.

وليتذكر المسلم أن طهارة مكان الصلاة شرط لازم من شروط إقامتها؛ لأن المساجد هي بيوت الله المعدة لأداء الصلاة واجتماع المسلمين؛ فلا بد من شدة الحرص على نظافتها، حتى من أقل شيء يؤذيها.

هذا عن النظافة، فما النظام؟

النظام مجموعة من القواعد والأحكام المنسقة المرتبة، والمتفاعلة فيما بينها، وهو في اللغة «التأليف والجمع والاتساق».

النظام ترتيب لكل حياة الإنسان في ذاته، في بيته، ومع أسرته، في عمله وطريق سيره، في شارعه ومدينته، لكن الذي يؤلمك أن ترى بعض الناس يجعل الاهتمام بالنظام والتنظيم آخر اهتماماته؛ فهو غير نظامي في كثير من المواقف الحياتية، وهناك من لا يهتم بالنظام داخل الأسرة.

ديننا دين النظام؛ يأمر بالنظام، ويهتم به في كل كبيرة وصغيرة، في الوضوء: ترتيب بين غسل الأعضاء وتنظيم لذلك.. في الصف نظام حتمي: «لتساوُنّ صفوفكم أو ليخالفن الله بين قلوبكم».

لقد اهتم الإسلام بالتنظيم والنظام في الحياة الاجتماعية على مستوى المجتمع والأسرة والفرد، والاهتمام بالنظام سلوك فردي يتعلمه الإنسان منذ صغره، وهو من أوائل أسباب التطور وإنجاز الأعمال، ولقد علمنا الإسلام كيف يجب النظام، فقد جاء الأمر في الصلاة بدقة النظام: «ساووا صفوفكم حاذوا بالمناكب والأقدام» ولا يجوز الصلاة في صف إلا عند اكتمال الصف السابق له، ولا يتقدم مصلون خارج المسجد على الإمام.. بل إن النظام في الوضوء وترتيب غسل الأعضاء، وغير ذلك من أدق صور النظام التي تميز بها الإسلام.

إننا يجب أن ننظم أعمالنا، وسائر شؤون حياتنا؛ فالفوضى وعدم الترتيب من أسباب الإخفاق وإضاعة الجهد في البحث الطويل عما نريد، والناس لا يصلحون فوضى؛ فلا بد من نظام يجمعهم، ورابط يوحد جهودهم لخدمة الوطن، والنظام الإسلامي من أرقى النظم التي عرفتها الدنيا تنظيماً للحياة.

إننا يجب أن ننظم أفكارنا ونحن نتحدث، أو ونحن نكتب، وننظم حياتنا ونحن نعمل وننجز. كل أعمال لنا تحتاج لنجاحنا فيها وإتمامها إلى النظام.

فلنلتزم جميعاً بالنظام في كل شيء، ولنعلِّم أولادنا، ونربي صغارنا على النظام والترتيب، ونراقبهم كي تتأصل فيهم هذه القيمة الإسلامية الراقية.

المُرُوءَة

إني امرؤ لا يرد الخوف بادرتي ولا يحيف على أخلاقي الغضب
ملكتُ حلمي فلم أنطق بمُندية ٍ وصنتُ عِرْضي فلم تعلق به الريبُ

قال عن نفسه: «إني امرؤ» بمعنى أنه صاحب مروءة.

وما وصف به نفسه من عدم الخوف، وعدم الغضب، وتملك زمام الحلم، وحفظ اللسان عن نطق العيب، وصون العرض عما يسبب له الريب والشكوك هو المروءة.

والحق أن المروءة ليست قيمة، بل هي مجموعة كبرى متداخلة من القيم.

فماذا قالوا عن المروءة؟

قالوا: المروءة كمال الرجولة، واجتماع خصال الفضائل في عمل المرء، وفي قوله وفي سلوكه، وكل ما يحمد فعله، ويطلب مُثله.

مجموعة كبرى من الأخلاقيات، عدد غير محدد من القيم وكريم الصفات، ملأ الحديث عنها القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة، وكلام الخلفاء، والعلماء والشيوخ، والفلاسفة والشعراء.

ومع أن المروءة كانت معروفة سلوكاً وخلقاً قبل الإسلام، لكن ورودها في الشعر والخطب الجاهلية قليل بالنسبة إلى تخلقهم بها. ومن نوادر ذكرها ما قاله الشاعر الجاهلي.

obeikandl.com

إذا المرءُ أعيته المروءةُ ناشئاً فمطلبُها كهلاً عليه شديدُ

وقد أصاب عين الحقيقة في أن المروءة طبع كريم، يولد مع الإنسان أو منذ صغره ويكبر، وتكثر صوره مع كبر سنه؛ لأن تكلفها مع الكبر غير صالح وغير حقيقي؛ إن المروءة كما هي في أصل تركيبها مجموعة من مكارم الأخلاق التي أشاد بها الإسلام والتي وصف الله تعالى نبيه المصطفى بها؛ فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].. فالخلق العظيم هو جميع الفضائل والمكارم، وهو في ذلك أعم وصف، ومنه تقترب المروءة. فقال ﷺ: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**» وله ﷺ في المروءة أحاديث كافية شافية لا يحتاج المرء بعدها إلى تعريف أو تحديد للمروءة.

تذاكروا المروءة عند رسول الله ﷺ فأكثروا فيها؛ فقال: «**أما مروءتنا، فأن نعفو عمن ظلمنا، ونعطي من حرمنا، ونصل من قطعنا**» فأي أخلاق أكرم من ذلك؟!، وأي صفات أنبل من هذه؟!، وأي مروءة بعد ذلك؟!

وسأل رجلاً من ثقيف: ما المروءة فيكم؟ قال: الصلاح في الدين، وإصلاح المعيشة، وسخاء النفس، وصلة الرحم، فقال: كذلك هي فينا. وقال أيضاً: «لا دين إلاّ بمروءة».

إنه ﷺ يؤكد على تعدد تركيبات عناصر المروءة ويجعلها الدين.. أي كل الصفات التي يجب أن تكون ملازمة للدين الحقيقي حتى آخر عمر الإنسان، ولحظات موته، فقال: «من لم يحسن الوصية عند الموت كان نقصاً في مروءته وعقله».

وأحاديث كثيرة له ﷺ تخص المروءة، وتحدد جوهرها الذي تتركب منه. منها قوله: «**من عامل الناس فلم يظلمهم، ووعدهم فلم يخلفهم، وحدثهم فلم يكذبهم فهو ممن كملت مروءته، وظهرت عدالته، ووجبت أخوته، وحرمت غيبته**».

ما بنا حاجة بعد ما قاله ﷺ إلى البحث عن معنى ومكونات المروءة، التي اعتبرها مجموعة قيم ومثل عليا لا قيمة منفردة، أو سمة مثالية واحدة.

وفي إطار هذه الصفات التي شملتها المروءة النبوية جاءت أقوال العرب، وذكروا مكوناتها ودلالاتها الجميلة، من تلك الأقوال المأثورة: «تاج المروءة التواضع» ومنها: «آفة المروءة خلف الوعد»، ومنها: «من ترك المراء سلمت له المروءة».

وجاءت المروءة في قول كثير من الفضلاء، فمن أقوالهم فيها: «من تمام المروءة أن تنسى الحق لك، وتذكر الحق عليك، وتستكبر الإساءة منك، وتستصغرها من غيرك».

وقولهم: «من كمال المروءة أن تصون عرضك، وتكرم إخوانك».

دخل عبد الملك بن مروان، وهو فتى يافع على الخليفة معاوية بن أبي سفيان وعنده عمرو بن العاص، فجلس مليّاً، ثم انصرف، فقال معاوية: ما أكمل مروءة هذا الفتى، وأخلقه أن يبلغ! فقال عمرو: «يا أمير المؤمنين، إن هذا أخذ بخلائق أربع، وترك ثلاثاً؛ أخذ بأحسن الحديث إذا حدث، وبأحسن الاستماع إذا حُدِّث، وبأيسر المؤونة إذا خولف، وبأحسن البشر إذا لقي، وترك مزاح من لا يثق بعقله ولا دينه وترك مخالطة لئام الناس، وترك من الكلام ما يعتذر منه».

نعم، هذه بعض مؤشرات ودلائل المروءة.

وكثير من الناس ربط بين المروءة سمة أو سمات إنسانية راقية وبين بعض الأمور الأخرى التي ينفرد بها الإنسان أيضاً، فقالوا عن معالمها التي تشير إلى تحلي هذا الإنسان بالمروءة، وربطوا بينها وبين الفتوة، والعقل، والمال، والنجدة باعتبار هذه الصفات الإنسانية مركبة أيضاً، ولها دلالات عملية أيضاً.

يجمع كثير من الناس بين المروءة والفتوة، وكأنهما توءمان لا يفترقان.

ونحن اليوم أقرب إلى هذا المعنى للمروءة.. فهذا الرجل صاحب مروءة؛ لأنه انطلق يدافع عن هذا المظلوم، ولو لم يعرفه، وهذا صاحب مروءة وإباء؛ لأنه يأبى أن يرى عيباً يُفعل أمامه أو عاراً يدنس عرض أحد يعرفه، وهذا ذو مروءة؛ لأنه جاء بأسرة ممن تضرروا في السيول أو الفيضانات والزلازل وآواهم، وتولى أمر معيشتهم.

هذا ذو مروءة؛ لأنه أخذ بيد هؤلاء المعوقين، ووفر لهم سبل العيش الكريم.

هذا صاحب مروءة؛ لأنه علم أن هذا الجار قد ألمّت به نازلة، ويحتاج إلى عون، لكنه في حياء، فهذا صاحب المروءة يذهب إليه، ويعطيه ما شاء حتى يأذن الله بالفرج.

وهذا ذو مروءة عالية؛ لأنه تنازل عن حبس غريمه الذي سبب له ضرراً وخسارة، بل إنه من أعظمها تنازل أهل القتيل عن الدية أو حتى القصاص تفضلاً منهم ومروءة.

لهذه الأمثلة التي نراها في واقعنا من أهل الفضل والخير والمروءة، فنعجب بهم وندعو للتأسي بفعالهم.

المروءة هي احترام للنفس، بترك الكذب والنفاق، والغش، والتدليس، والمراءات والتزلف، وتدخل الإنسان فيما لا يعنيه، والقيام بكل الحقوق والواجبات تجاه الأهل والناس، والوطن.

ليس ذا مروءة أبداً من انقطع عن والديه وعقّهم، وتكبر خيلاء على أهله وأقربائه وأصحابه بما حقق من ثراء مادي، أو منصب قيادي.

وذلك لأن هناك تصرفات أو أموراً تخلّ بالمروءة، وتغضّ من سمو مكانتها، وقد تكون صغيرة غير ملحوظة للجميع، من هذا جاء قول الإمام الشافعي: «لو علمت أن شرب الماء البارد يثلم المروءة ما شربته».

ليس من المروءة الحقد والحسد والريبة والنميمة، والشحّ والبخل، وظلم العباد وتعذيب العاملين، والخادمين.

ليس من المروءة ملابس الفخر والخيلاء، والتباهي أمام الناس، وذكر ما له من إمكانات، وما صار إليه من قدرات.

خلف الوعد تمزيق لثوب المروءة، لأنه كثيراً ما يكون ذلك الخلف إضاعة لآمال أسرة، أو تفريج كربة، وغير ذلك كثير مما يهدم قمة المروءة من الصفات والسلوكيات، والذي لا ننساه نحن مما يشوه جمال ثوب المروءة «مصاحبة الأشرار». وكم تعاني حياتنا الاجتماعية اليوم من مظاهر سيئة الشكل والمضمون، قبيحة الأداء والنهاية ثمرة السفهاء، وما يروِّجون له من مفاسد في الحياة والناس.

للمروءة صفات وسمات، إن صعب تحقيقها والجمع بينها، فإني أقول: «ما لا يدرك كله لا يترك جلّه» والواجب علينا أن نكون أقرب للمثالية خير من أن نكون في نأي عنها.

وإني في أحاديثي عن القيم الإسلامية أذكّر من نسي أن مكانة الإسلام وحقيقة الإيمان تكون بمعيار التحلي بهذه القيم، التي بها دخل كثيرون من شتى أمم الأرض في دين الله أفواجاً، راضين راغبين، بلا سيف ولا قتال.

فيا أهل الذكر والدعوة والإرشاد، ويا أيها المربّون تمثلوا بقيمنا، وركزوا عليها في دعوتكم وإرشادكم وتعليمكم.

obeikandl.com

الرَّحْمَة

لقد وردت كلمة (الرحمة) ومشتقاتها الوصفية والعملية ثلاث مئة وأربعين مرة في القرآن الكريم، وهي بهذا الكم الهائل من صور التعبير القرآني عنها تؤكد حقيقة أنها أم القيم، وموردها.

ولكن.. لماذا هذا النهج في الحديث عن الرحمة دون غيرها من القيم؟ ذلك لأنه كلما اشتد الأمر، واستحكمت الأحوال، لا نجد ملجأ في علاج ذلك إلاّ القرآن الكريم ففيه اليسر لكل عسر، والشفاء من كل داء.

واليوم في عالمنا المعاصر تجمدت الرحمة عند الناس إلاّ من رحم اللّه منهم وغلظت القلوب، وجفّت ينابيع الشفقة، وصار بعضُ الخَلْقِ في مشاعرهم حجارة صماء وقلوبهم صخور عاتية، حتى اعتبر بعض الجفاة أن الرحمة ضعف، وأن الشفقة استرخاء، وصارت الفظاظة هي أسلوب التعامل العام، والقسوة هي الصفة السائدة في كل صور الحياة بين بعض الناس، ظنّاً أنها سبيل النجاة مما يخافونه من الزيغ والانحراف الذي ضيّع كثيراً من الناشئة، معتقدين على غير صواب أن هذه الجفوة وتلك الشدة هي السور الحاجب الذي يحمون به الصغار، ويضمنون حسن مسيرتهم في الحياة.

كثيرة صارت صور القسوة متعددة تعاملات الغلظة أما الرحمة فقد اندثرت عند هؤلاء الجفاة، وأما الشفقة عندهم فقد ووريت الأكفان، ولا حول ولا قوة إلاّ باللّه.

أعود للحديث القرآني عن الرحمة، وأقول:

يكفي الرحمة تقديراً وإعلاء وأهمية أنها هي الصفات التي وصف الله تعالى نفسه بها، وأوجب علينا البدء بها في كل عمل وكل حديث، بل وكل صلاة وقراءة للقرآن ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، وربما يسألني سائل: لماذا قال تعالى عن نفسه ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ [الفاتحة: ٣]، ثم ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ٣]؟ أقول له لغويّاً: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ كثير الرحمة، وهو وصف مقصور على الله عز وجل، ولا يجوز أن يقال لغيره، و﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ مثلها وأكثر دلالة، فهي في علم الصرف «صفة مشبهة» وهي التي تعني الثبوت وعدم الزوال أبداً.

والرحمة هي الخير والنعمة، شاملة كل ما يتصل، وينتج عن ذلك.

ومن الرحمة انطلقت كل فعاليات وسلوكيات الخير والنعمة، وصور التعامل بها وتعدد آثارها وأدائها عند الله تعالى ومنه.

ومن هنا وجدت أن الحديث عن الرحمة سيكون أعظم ما يكون بالاستشهاد لها بآيات القرآن الكريم الثلاث مئة والأربعين، أليست أم الكتاب سورة الفاتحة؟ ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ٢-٣]، التي من فهمها لأسباب الحمد لله رب العالمين أول ما تكون هي أنه سبحانه وتعالي ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ٣].

رحمة الله هي المنقذ والملاذ من كل شر ومكروه ﴿لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ [هود: ٤٣]. فالكل غارق في الطوفان، هالك إلاّ من نالته رحمة الرحمن الرحيم: ﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ﴾ [يونس: ٢١].

رحمة اللّه التي تغمد بها عباده، فأزال ما بينهم من اختلاف ممزق لحالهم: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١١٨].

فهلا نستخدم نحن الرحمة وحسن التعامل في جمع شملنا، وسعادة حياتنا استفادة بما تحدثه الرحمة الإلهية الكبرى!

ورحمة اللّه هي النجاة من النار، هي الإنقاذ من الخسران الكبير: ﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]، أبعد هذا رجاء أكبر من الرحمة: ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [هود: ٤٧].

الرحمة هي أعظم صور البر بالوالدين أحياءً.. نخدمهما.. نرضيهما.. نعمل على راحتهما.. وبعد موتهما نستمر على البر بهما، وندعو لهما دائماً لا أقول: أعدهما.. أطعمهما.. لكن دائماً نقول: ﴿ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤]، و﴿أُولَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٧].

الرحمة هي هداية القلب للإيمان، وتثبيت القلوب على الإسلام، وبغيرها الزيغ إلى الكفر والكفران: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٢].

الرحمة هي لين الجانب، وهي رقة المشاعر، هي طيب الخواطر، وجمع الجميع على المحبة: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

هذه الآيات هي التي يجب أن نضعها أمام عيوننا، وأن تسود اليوم في كل تعاملاتنا فما أحوجنا الآن مع الجميع إلى لين القلوب، وطرح الفظاظات من التعامل العصيب.

الرحمة هي فضل الله على جميع رسله وأنبيائه لذاتهم، ثم إن تعاملهم بها مع أقوامهم هو سبيل الإقناع لأتباعهم.

﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا﴾ [هود: ٥٨].

﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ﴾ [هود: ٦٦].

﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا﴾ [هود: ٩٤].

هكذا كل المرسلين، حتى كان النبي المصطفى الخاتم الذي قال له الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقال عن القرآن ﴿وَإِنَّهُۥ لَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [النمل: ٧٧].

الرحمة ليست، كما يظن البعض، نوعاً من الضعف، أو التواضع المفتعل.. أبداً.. إن الله تعالى رحيم رحمن مع أنه القوي العزيز، حتى ارتبطت رحمته سبحانه وتعالى بعزته وقدرته أكثر من خمس وعشرين مرة في القرآن الكريم قولاً وفي حياة البشرية كلها حقيقة وعملاً.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٩ وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئۡتِ ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الشعراء: ٩، ١٠].

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٦٨ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ [الشعراء: ٦٨، ٦٩].

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ١٠٤ كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٤، ١٠٥].

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء: ١٢٢، ١٢٣].

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء: ١٥٩، ١٦٠].

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء: ١٧٥، ١٧٦].

ومع كل تكذيبهم، وتماديهم في الإعراض، فإن الله غفور رحيم لمن آمن منهم، واتبع المرسلين.

من هنا جاءت رحمة الله مقترنة بمغفرته أكثر من سبعين مرة في القرآن، وهذا العدد الكبير لرحمة الله دليل على شمولها كل خلقه في كل العصور والأوطان.

﴿ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٩٢].

﴿ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٩٩].

﴿ فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٢٦].

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٨٩].

وأكثر من ذلك شمولاً لنا بالرحمة أن الرحمة هي الأرحام منذ بدء خلقنا، وجعل الأرحام من الرحمة؛ لأنها سبيل الحياة السعيدة، وهي مصدر الحنان، والحب، والعطف والإشفاق، بل جعلها سبيل النجاة من الهلاك.

obeikandi.com

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ٦].

﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴾ [الأنفال: ٧٥].

وهكذا كثيرة صلة الأرحام، وكلها من الرحمة، والبعد عنها وعدم القيام بحقوقها سوء ما بعده سوء: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴾ [محمد: ٢٢].

من هذه الرحمات الإلهية الكثيرة الشاملة أن نأخذ العبرة في حياتنا، وأن تكون الرحمة بكل صورها، وفي كل لوازمها، بكل صادق معانيها هي سلوكنا الآن في هذا العصر الذي جفت فيه ينابيع الرحمة عند بعض الناس.

وأحاديث رسول الله ﷺ في الرحمة كثيرة متنوعة المدلول؛ لأنه هو الذي قال لنا الحديث الشريف: «**قال الله عز وجل: سبقت رحمتي غضبي**»، وقال ﷺ: «**من لا يرحم الناس لا يرحمه الله**».

لقد أمرنا الحبيب المصطفى بالرحمة في كل صور حياتنا مع الناس، مع الأهل والأرحام، مع صغارنا. ومتعددة صور الرحمة في حياته ﷺ مع سائر الناس.. في كل العلاقات والمعاملات.

صور كثيرة من الرحمة الإلهية في القرآن الكريم، وأمثلة خالدة من الرحمة النبوية العظيمة ما أظن أن بعدها قول نحن في حاجة إليه لتعم حياتنا الرحمة، لنتعامل مع الجميع حولنا بالرحمة.

يـا أصـحاب القلـوب التي لم تعِ عمـق هذه المعاني، ولم تشـعر بالمعنـى العظيم للرحمة، اجعلوا الرحمة سـبيل الخير، والسـعادة، والرضا، مع كل من حولكم.. يرحمكم الله.

يـا ليـت مـن يعتلون منابـر الوعـظ والإرشـاد يذكِّـرون عامة المسـلمين بهذه المعاني العظيمة للرحمة.. بل ليتهم يوازنون بين ذكر معـاني الرحمـة، وما هو شـائع في خطبهم مما لـه علاقة بالخوف والوعـد والوعيـد.. فالرحمة في حقيقتها قوة، وسـلام، وسـعادة.. وإيمان حقيقي، وطمأنينة تغمر النفوس والأرواح.

obeikandi.com

مَن حُماةُ الفضيلة؟
وما مسؤولياتهم؟

إنها الفضيلة، وهي كل سلوك أو كلام ينمّ عن الخير والفضل، أو يؤدي إلى العمل الصالح، ويعلم السلوك القويم، ويحث عمليّاً على الخلق النبيل.

وما أكثر دعاة الفضيلة في كل زمن، وما أروع نماذج الفضائل في كل جيل حتى في العصر القديم، وفي زمن الجاهلية كانت الفضائل مما يحبه الناس، بل كان مما يتميز به أناس عن أناس غيرهم.

ولما جاء الإسلام، جاءت الشريعة الإسلامية خاتمة للشرائع السماوية، ولأن الدين الإسلامي هو الأكمل، فإنه الأكثر شمولاً لكل الفضائل بكل معانيها.

لا تجد فضيلة في الدين، أو في الحكم والقيادة، أو في المعاملات الإنسانية، أو العلاقات الاجتماعية أو الصلة بين الأهل والأرحام، أو حتى العلاقة بين الإنسان والمخلوقات الأخرى حتى الجمادات إلاّ وفي الإسلام حثّ عليها، ودعوة للعمل بها.

لكن من هُم دعاة الفضيلة؟ ماذا يجب أن يكونوا عليه حتى تثمر دعوتهم، وتؤثر فيمن يدعونهم؟

إنهم علماء الدين المخلصون، العالمون بحقائقه، المتصفون صدقاً بالفضائل التي جاءت في هذا الدين دون زيف أو تصنّع، إنهم الفقهاء الذين آتاهم الله من العلم ما كشف لهم طرق الفضائل،

وألهمهم بعلمه معانيها، وسبل تحقيقها، إنهم العلماء الذين يعرفون أن فضيلة العلم هي أنبل الفضائل وألزمها لتتحقق الفضائل الأخرى.

إنهم المعلمون التربويّون المسؤولون عن تهيئة النشء الذي يبدأ مسيرة الحياة وبفضيلة هؤلاء المعلمين يرتوي هذا الغرس الطيب، فيشبّ على هذه الفضائل الكريمة.

إنهم الأب والأم المسؤولان مع الآخرين عن تثبيت دعائم الفضيلة في الأبناء، فلا يهدم المنزل ما تبنيه المدرسة.

لكن هي حقيقة ثابتة تلك التي تقول: «إن الفضائل تنتقل من جيل إلى جيل بالقدوة الصالحة والحب، ولا تنتقل بالكلام الذي يناقضه أو لا يرافقه العمل والصدق».

حقّاً إن فاقد الشيء لا يعطيه، والفضائل وجميع القيم الإنسانية والأخلاقيات إنما هي وجود فعلي، وسلوك عملي مطلوب وجوده قبل كل شيء فيمن يدعو للفضيلة، أو يعلم الصغار، ويحث الكبار على التمسك بقيمها.

كيف يُعلّم المعلم الطلاب مادته، وهو بها جاهل؟!

كيف يطلب الوالد من ابنه ترك التدخين، وهو له مزاول؟!

كيف يخطب داعية لترك أمر من الأمور السيئة، وهو له فاعل، وبه معروف؟!

الفضيلة كالغرس لا يثمر إلاّ إذا كانت الأرض التي يزرع فيها صالحة لذلك، والزارع الذي يغرسها عارفاً بها، متمكناً من طرق إروائها ورعايتها.

ما أعجب أن ترى ذلك الرجل المتشدق المفوه بالكلام داعياً إلى الفضائل حاثّاً على ترك الرذائل، وهو غير فاعل لذلك.

إن كلامه هذا لا يتجاوز الآذان؛ لأنه ليس من القلب، بل فقط من اللسان.

يقول الله تعالى في ذلك: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤].

ويقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢، ٣].

ليس المذيع للفضائل بوصفها مهنة له، أو حرفة بين أهله دون يقين بها، وإيمان بأهميتها، وتحلٍّ بسماتها إلاّ كجهاز تكبير الصوت يذيع.. يعلو صوته وهو آلة صماء ليس في داخله شيء منها وبعد سنوات طويلة لن يتغير؛ لأنه حديد لا يشعر بها.

قال رسول الله ﷺ: «**ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلاّ كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره، ثم إنها تخْلُف من بعدهم خُلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبّة خردل**».

إن القول الذي لا يصدر عن يقين، والكلام الذي لا يرتبط بالإيمان به وممارسته وتطبيق القول مع العمل إنما هو كالريح تثير الزوابع، وتعفر الجو دون فائدة منها، أما الريح الطيبة فهي التي تحمل السحاب، وتمطر الغيث خيراً للناس وبركة الحياة.

الفضيلة تنتقل من جيل إلى جيل بالقدوة الصالحة والحب، القدوة الصالحة هي الأنموذج المتحلي حقّاً بالفضيلة، الممسك بها، المتأدب بآدابها الفاعل لأمرهاوالداعي الآخرين للتحلى بها.

هو قدوة صالحة.. لكن يجب أن تصاحبها فضيلة أخرى هي الحب..

حب هذه الفضيلة لما لها من خير في حياة الناس، ولما لها من مكان في الدين والعقيدة.

حب لأن تنتشر هذه الفضيلة بين الناس؛ فيعمل هو جاهداً على انتشارها، على بيان آثارها، على توضيح الخير فيها.

حب للخير في ذاته.. حب للناس حقّاً يريد لهم الحب.. ومن أجمل الحب لهم أن يكونوا من أصحاب الفضيلة، لا من الأراذل ورواد الرذيلة.

حب شامل للحياة.. فالفضائل تجعل حياة الناس طيبة خالية من الأذى والشر، خالية من الظلم والقهر والفقر.

حقّاً إنها القدوة والحب دعاة الفضيلة، وهناك من هم حماتها وحراسها.

حماتها هم من يدعون إليها، ولا يخالفونها، هم من يتحدثون عنها، ولا يتركون يوماً التمسك بها، والإصرار على ثباتها.

هم الذين يرددون قوله تعالى: ﴿ ...وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا

obeikandi.com

﴿بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].. هم الذين يخافون أن يكونوا من الذين جاء ذكرهم في الحديث النبوي الشريف: قال رسول الله ﷺ: «**يؤتى بالرجل يوم القيامة، فيلقى في النار، فتنزلق أقتاب بطنه، فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى، فيجتمع إليه أهل النار.. فيقولون: يا فلان ما لك؟ ألم تك تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى، كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر، وآتيه**».

هذه هي نهاية دعاة الفضيلة الذين لا يعملون بها...

هذا هو مصير الآمرين بالمعروف، التاركين لفعله...

بل هذه هي العاقبة الوخيمة للناهين عن المنكر المتمسكين بفعله...

إني لأربأ بكل مسلم عاقل مؤمن بيقين أن يضع نفسه في مثل هذا الحال.. وأرجو أن نتصور هذه الصورة، فذلك كفيل بأن نتمسك حقّاً، وقولاً، وعملاً، وإيماناً بالفضائل متصفين بها، عاملين بما فيها، مخلصين في الدعوة إليها، وحبّاً لمن ندعو لهم بالنجاة من سوء عاقبة الزيف في التظاهر بها، الذي قال فيه الشاعر:

ثوب الرياء يشفّ عما تحته فإذا اكتسيت به فإنك عاري

آهٍ.. لو أقيم العدل.. وتحققت الأمانة، وساد الإخلاص..

في هذه الأيام التي تمرّ بنا ومن حولنا أحداث تجزع لها النفس، وتتزعزع بها الحياة أجدني مشدوداً كما أنا دائماً إلى

حاجتنا للتمسك بقيمنا الإسلامية؛ فلو أن القيم الإسلامية أخذت موقعها في حياتنا، بل في حياة الأمم قاطبة لعاش العالم كله في سلام ورخاء.

فكلما تأملت فيما يجري حولنا من أحداث على الصعيد العربي والإسلامي والعالمي بل على المستوى الجزئي والكلي وجدت أن ما يصيب المجتمع من أحداث مذهلة، أو كوارث مفجعة هو من جراء تغاضي بعض الناس عن أهمية الأخذ بالقيم التي هي سور حماية لكل الأمور، ونهج إصلاح لكل المصالح العامة، وطريق سلام للمجتمعات.

من ذلك..

أنه لو ساد العدل والإنصاف، وشعر الناس بالتكافؤ فيما يقدم لهم، والمساواة في معاملاتهم ما هبّ الثائرون، ولا تزعزعت حياة الآمنين.

لكن حين يفيض الكيل تنطلق الحناجر، وتعلو الأيادي مطالبة مَنْ هم وراء ذلك من المسؤولين أن يحققوا العدل للجميع على السواء، وأن يراعوا الله والوطن في توزيع الحقوق وعدالة المعاملة، وإعطاء ما يجب لمن يستحق كما يجب، دون تحيز لمصالح شخصية، ولا إيثار لمطامع ذاتية، وكما قال أحد قدماء الحكماء: «بالراعي تصلح الرعية، وبالعدل تُملك البرية، وأفضل الحكام من أحسن في فصله ونيته، وعدل في جنده ورعيته».

رضي الله عنك يا ابن الخطاب، حين وجدك مندوب كسرى نائماً تحت شجرة تتوسد ذراعك ببردة كاد طول العهد يبليها، وأنت خليفة المسلمين وأميرهم، فقال: «حكمت، فعدلت، فأمنت، فنمت مستريحاً يا عمرُ» وعبر عن ذلك حافظ في عمريته:

وراع صاحب كسرى أن رأى عمراً بين الرعية عطلاً وهو راعيها
وعهده بملوك الفرس أن لها سوراً من الجند والأحراس يحميها
فوق الثرى تحت ظل الدوْحِ مشتملاً ببردة كاد طول العهد يبليها
فقال قولة حق أصبحت مثلاً وأصبح الجيل بعد الجيل يرويها:
أمنتَ لما أقمتَ العدل بينهم فنِمتَ نوم قرير العين هانيها

العدل والإنصاف يُبعِدان من يقوم بتحقيقهما عن كل مطامع ذاتية، أو أنانية شخصية ويُبعِدان صاحبهما عن الظلم والتجني؛ فالعادل لا يخاف أحداً، ولا يخشى سلوكاً ونُقِل عن أحد الحكماء حين سئل أيهما أفضل: العدل أم الشجاعة؟ قال: إذا استُعمِلَ العدلُ استُغْنِيَ عن الشجاعة.

أما الأمانة فهي الأمان، والسلام، والحق، والوفاء، وحين تضيع الأمانة ينتشر الظلم والفساد.

الأمانة رأس القيم وأم الفضائل، وهي طاردة الأهواء والنزعات والشهوات.

حمّل الله الإنسانَ الأمانة من بين سائر مخلوقاته، وكلهم خافوا من عظم مسؤولياتها: ﴿فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا ﴾ [الأحزاب: ٧٢] ولو أن الأمانة سادت في كل معاملاتنا عند المتحدث في كلامه، وعند الناصح في نصحه، وعند التاجر في ميزانه، وعند المسؤول فيما أوكل إليه لما كانت هناك مظالم ولا شكايات، ولعمّ الرخاء والسلام بين الجميع، ولنفذت المصالح العامة على خير وجه وأكمله؛ بما يضمن لها استمرارية الأداء وجودته.

obeikandl.com

لقد كادت الأمانة تلفظ آخر أنفاسها في حاضرنا عند بعض الناس، وليت المسؤولين على اختلاف مواقعهم يتذكرون دائماً: «أنها أمانة، وأنها خزي وندامة إلا من اتقى الله، ورعى أمانته، وأداها على خير وجه».

ويأتي الإخلاص مكملاً لعِقْد جواهر الفضائل، مذكراً بكلمة حكيمة للإمام ابن تيمية، قال رحمه الله: «إن الإسلام يدور كله حول أمرين: الإخلاص للحق، ورحمة الخلق».

تأملت في هذه الحكمة، فإذا بها حقيقة لا طريق للشكّ فيها؛ إذ إن قوام الأمر هو الإخلاص للحق، وليس للباطل، والرحمة المطلقة لعموم الخلق، فلو أن كل مسؤول رعى ذلك في مسؤولياته لما تكشفت النقائص، ولا سادت الانحرافات.

ويأتي الإخلاص للوطن الذي ينتمي إليه الإنسان أهم صور الإخلاص بعد الإخلاص لله في عباداته. ولذوي القربى في معاملتهم، الوطن هو الذات والكرامة يدافع عنه المخلص، ويرعى حقوقه، وحين يكون مسؤولاً فإنه ينفذ كل ما يوكل إليه على الوجه الأكمل يخلص للعمل ذاته، ولمن يعملون معه، ولا يحمل إلى القيادات فوقه أموراً وتقارير غير واقعية ولا صادقة، ولا يهمل ما يوجه إليه رؤساؤه.

والمال العام الذي تحت يد المسؤول أهم من ماله الخاص، إن تضييع المال العام في غير مكانه جُرم وخسارة أبشع من تضييع المال الخاص؛ لأن المال العام هو مال لكل فرد في الوطن، فلينظر المفرط فيه كم مليون صاحب حق سيقاضونه أمام الله يوم القيامة.

وهنا، ومن الإخلاص للحق، والالتزام بالأمانة، وتحقيق العدل أن يُحاسَب كل مقصر وظالم، وخائن، وأن يُردع جزاء خيانته وظلمه وتقصيره.

obeikandl.com

يا حسرتاه.. هل ضاع الصدق؟!

الصـــدق والأمانة متلازمان، ولا أمانة دون صدق، ولا صدق دون أمانة، ورسولنا العظيم وُصِف بالصادق الأمين، وقبله الأنبياء جميعاً:

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٤١].

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا﴾ [مريم: ٥٦].

ما أعظمك يارسول الله القائل: «**تحروا الصدق، وإن رأيتم أن الهلكة فيه؛ فإن فيه النجاة**».

وقولك: «**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك؛ فإن الصدق طمأنينة، وإن الكذب ريبة**».

إني أشـعر بالأســى العميق، حـين أرى الذين يتحدثـون نفاقاً، ويراؤون كذباً، ويبالغون في وصــف الآخرين خداعاً، إنهم المتزلفون، الكذابون، المخادعون ما أبشع جرمهم وما أشنع فعلهم أولئك الذين يقدمون صــوراً وردية لبعض الأمور؛ ليرضــوا رؤساءهم، والحقيقة أنها في معظمها أوهام ومبالغات، وصور كرتونية، وعرائس تمثيلية.

أيهـا الصــدق العظيــم، لقد قتلوك كثيراً، ومســخوا صــورتك الجميلة، بل استبدلوا بك أسماء هي ليست منك أبداً.

أضاعوك في أحاديثهم، وحتى في عباداتهم لله.

كـم خدع الكذابــون المنافقــون حكامهــم ورؤســاءهم، وجلبوا بكذبهم الشر والضياع لبلادهم!

لن يرقى مجتمع، ولن تتقدم أمة إلا حين يكون الصدق متمثلاً في كل الأقوال والأعمال.

صِدق الحديث صدق الإيمان صدق الشعور.

وفي اللغة تحديد لماهية الصدق.

صَدَق في الحديث صِدقاً أخبر بالواقع.

صدَق النصيحة والإخاء أخلصهما.

صدَق الوعد أوفى به.

أصْدَقَ فلاناً عدَّه صادقاً.

صَدَّقه تصديقاً اعترف بصدق حديثه.

رحبة مجالات الصدق، متعددة صوره، عظيمة آثاره القريبة والبعيدة.

العجب كل العجب أن المرء يقيم الدنيا، ولا يقعدها إذا قيل له: «إنك كذّاب» فهو يكذب ويعرف في داخله أنه يكذب ويغالي؛ لكنه يرفض أن يوصف بهذا الوصف؛ لما فيه من شناعة وخسة ومذلة، أنت وحدك تعرف نفسك إن كنت صادقاً في قولك أو عملك، وضميرك وعقلك يصدقانك أو يكذبانك.

الصدق شرط أساسي لصحة وقبول كل عمل؛ فشرط الإيمان الحقيقي هو الشعور الصادق به في داخلك، ويوافق عليه ضميرك وعقلك، وعليه فلن تقبل صلاتك، ولا صومك، ولا عباداتك إن لم

تكـن صــادق الإيمان بالله، صــادقاً في أنك تصـلي له وتصـوم له، وتتصدق لوجهه الكريم.

ولهذا كان لقب «الصــادق الأمين» الصــادق أولاً تثبيتاً للأمانة والإيمـان، وليس مؤمناً صــادق الإيمان من يفعل شـيئاً بغير صـدق حقيقي تقرّه نفسه، ويطمئن إليه قلبه، ويوافقه ضميره.

الصـدق واجب على كل إنسـان في كل موقع، ومـع كل الناس، فالمسـؤول لا بد أن يكون صــادقاً مع رؤسائه، صادق الحديث معهم، صادق البيان والوصف لما هو تحت إدارته من أعمال وواجبات يقول الحقيقة كما هي، دون زيادة أو نقص منها.

وكـم من مسـؤول لم يصـدق مـع رئيسـه، فتكشـفت الحقائق الخفية، وكانت له نهايات غير مرضية.

المدير والمسـؤول يجب أن يديم الصدق في القول والعمل مع من يعملون تحت إدارته، يطلعهم بوضـوح وصدق شامل على كل جوانب العمـل والحقائق في عمله؛ حتـى لا يكون هنـاك زيف يظهر فيما بعد تكـون نتائجـه اهتـزاز الثقة في شخصــه، وتمرد العاملـين عليه في مؤسسته، ويعاملونه كذباً بمثل ما عاملهم هو به.

الصدق مقياس دقيق بالغ الدقة لصواب كل قول وصحة كل عمل.

وإذا أنــت لم تلتزم بدقائق وخصــائص الصــدق الحقيقي في كل أقوالــك وأعمالــك وعلاقاتــك فأنت قد ملــت إلى جانب الكذب والنفاق.

obeikandi.com

وما أسوأ صورة الإنسان الذي يُعرف عنه أنه كاذب، وما أخسّ مكانة الإنسان الذي يقال عنه: إنه منافق.

وتعالَ معي نقرأ قول الله تعالى محذراً لنا من الكذب:

﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾ [النحل: ١٠٥].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ [غافر: ٢٨].

ولنتوقف عند أقوال الحبيب المصطفى الصادق الأمين يقول: «كبرت خيانةً أن تحدِّث أخاك حديثاً هو لك به مصدق وأنت له به كاذب».

وقال ﷺ: «**لا يؤمن العبد الإيمان كله حتى يترك الكذب**».

وسُئل ﷺ: «**أيكون المؤمن جباناً؟ قال: نعم، ثم قيل له: أيكون المؤمن بخيلاً؟ قال: نعم، قيل له: أيكون المؤمن كذاباً قال: لا**».

وقال ﷺ: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وَعد أخلف وإذا اؤتمن خان**»، وفي رواية: «**وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم**».

إن بلادنا منبع الإسلام والأخذ بفضائله، وقيمه واجب مقدس علينا، وعلى الصادقين الأمناء أن يَصْدُقوا الله، ويَصْدُقوا أولي الأمر، ويفضحوا الكذابين المنافقين، ولا نجاة لأي مجتمع يشيع فيه الكذب والنفاق، والتزلف والمراء؛ فلنعمل جاهدين جميعاً على تحري الصدق؛ فإنه منجاة، مصداقاً لقول الرسول ﷺ: «**إن الله نجاني بالصدق، وإن من توبتي ألاّ أحدث إلاّ صدقاً، وعرفت أني لا أنجو إلاّ بالصدق**».

obeikandl.com

فلنسـر على نهـج نبينا.. ونحقق ما أمرنا به رسـولنا.. ولنردع الكذابـين، ونبعدهم عن كل مواقع العمـل، ولا نقبل رياء المنافقين.. ولتكن لنا عبرة في كل الأحداث المعاصرة حولنا.

obeikandl.com

الحب الكبير الطاهر..
هل أنت من أهله؟!

لست صوفيّاً، لكني معجب بالمشاعر الوجدانية الإنسانية، التي أساسها ولُبّها وذروة سنامها، بل كلها الحب، ولا سواه.

الحب هل تعرفه؟! هل ملأ شغاف قلبك؟

هل ذقت حلاوة سعادته، وحلاوة عذابه؟!

الحب لمن سعد به شيء عظيم، يطلب المزيد من سيطرته على الروح والعقل.. الحب مقدم عنده على كل شيء من آمال وأعمال حياته الدنيوية.

الحب أرقى القيم بعد الإيمان، بل لا يكون الإيمان حقيقيّاً صادقاً إلاّ إذا أحببتَ الله وأحببت رسوله، وأحببت دينه، وأحببت راضياً القيام بكل ما يتطلبه هذا الحب منك.إنك لا تحب الله كامل وصادق الحب إذا خالفت شرعه، ولا تكون محبّاً حقيقيّاً له إذا لم تتمسك بتعاليم دينه، وأن تحب خَلقه، وترحمهم.

لو كان حبّك صادقاً لأطعتَه إن المحبَّ لمن يحب مطيعُ

ثمانون آية قرآنية كريمة تحمل كل صور وألوان وواجبات الحب الحقيقي.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ﴾ [الحجرات: ٧].

﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ﴾ [آل عمران: ٣١].

والحب المتبادل بين طرفي الحب يرسم لنا منهج الحياة الطيبة، ويقربنا من الله تعالى، ويجعلنا ممن هم بالإيمان متمسكون، ويحبّ من يحبونه مخلصين.

الحب صدق في القول، والعمل، والشعور تجاه من تحب.

الحب تواضع لمن تحب، وسعي دائب لإرضائه، وعمل كل ما يقربك إليه.

تتجلى مظاهر الحب النبيلة في التضحية ونبذ الأنانية، فالحب يحيط صاحبه بهالات من حبه للآخرين، والرحمة بهم، والإشفاق عليهم.

الحب هو الحق.. كل الحق.. ولا يجتمع في قلب واحد حب وظلم، أو حب وبطش..

الحب يمنع الجشع، ويقف ضد الأنانية والتسلط، بل هو من أول دوافع الأخذ بالحق، وعوامل الإيثار. هو الذي يدفع الأب أن يقدم مطالب أولاده على ضروراته وهو الذي يمنع أصحاب السلطة من الاستغلال لما عند الناس حولهم؛ فكم من المسؤولين على تنوع مراكزهم القيادية، ووظائفهم الإدارية أخذوا من حقوق غيرهم، ونهبوا من ثروات ما تحت أيديهم، وبطشوا بمن هم دونهم.. لكن لا بد للحق من يوم يقوم فيه؛ فإن الحق من أسماء الله تعالى التي لا يتوقف صداها، ولا يضيع تأثيرها.

obeikandi.com

وكم يندم من يسلب حقوق الآخرين عندما تتكشف الأمور، ويتضح الحق؛ ساعتها لا يجدي الندم؛ فالجزاء يكون دائماً كبيراً قاسياً بحجم ما كان من ظلم وطغيان.

والأحداث حولنا خير شاهد على ما يجنيه أصحاب الجشع الذين ضاع حب الخير من نفوسهم، فكان لهم سوء العاقبة، وبشاعة المصير.

أيها الكرام المحبون، أيها الأبرار الأنقياء، أيها الناصحون الأصفياء، اغرسوا معاني الحب، وأشربوها، وأطعموها للناس جميعاً؛ حتى تنمو أجسامهم وتكبر عقولهم، وتثمر نفوسهم حبّاً كالذي ارتووه منكم، وحتى تكون محبتهم للناس فوق حبهم لأنفسهم ومطامعهم وسيطرتهم، فليعرفوا نهاية الحياة المحيطة بهم، وكيف تكون ذكراهم بعد رحيلهم.

قيم الحب إذا كانت في جواهر وعظيم الفعال تكون قيماً عظيمة تجعل حياتنا سعيدة، وننال بها حب الله، وهو أسمى وأرقى صور الحب التي أضاعها بعض الناس فخسروا حب الله لهم، وحتماً سيخسرون حب الناس أيضاً، بل سيقاسون من شماتة المظلومين بهم.

إذا أردت أن تحظى بحب الله، فلا تعتدِ على حياة وحقوق الناس، وأمن وسلامة الوطن: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧].

إذا رغبت أن تسعد بحب الله لك، فلا تظلم الآخرين في شيء يخصهم: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران: ٥٧] وما أكثر صور الظلم في حياتنا المعاصرة.

قيمة التواضع ورقّة التعامل تمنحك شرف حب الله لك: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦].. مختالاً على الناس فخوراً بجاهه وماله.

ومن أكثر صور ما يبعد المرء عن حب الله، الخيانة.

فظيع جدّاً ما يترتب على الخيانة، فإذا كان ذلك في المال العام وطريقة إنفاقه فإنه أشد وأنكى.

أيها الخائن، هل تقبل أن يحدث لك أو معك من الخيانة مثل ما تفعل.. ألا تعرف أنك بخيانتك تفقد حب الله لك، ويصبح كسبك حراماً؛ فلا تأكل في بطنك، ولا تلبس على جسمك إلاّ ما جاء من حرام: «النار أخف منه».

أما سمعت الآية الجليلة المعنى في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ [النساء: ١٠٧].

قيمة الأمانة في كل صورها تجعلك ممن يحبهم الله، فلا تخن، ولا تخترق سور الأمانات في أي صورة من صورها الحسية والمعنوية.

ماذا بقي لك في حياتك أيها الخائن، بعد أن كرهك الله، ويسبب لك كراهية الناس؟!

حب الله لك يتطلب منك السعي بالخير والإصلاح.

لا للفساد: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧].

وهكذا.. أنت في حوزة ورضا أعظم حب.. حب الله لك إذا تمسكت بقيم الإيمان، وعملت بقيم الإسلام.

يا كل من يسعى للسعادة سعادة الحب، عليك بالحب الأعظم، وكن له محبّاً صادقاً، ولا تخسر هذا النعيم الخالد بهذا الحب الإلهي العظيم.

أنا لا أقول هذا ليكون مجرد كلام يُقرأ، ولا نصحاً يُنشر، لكني أهيب بالجميع أن يتدبروا في لحظات خلو مع النفس حقيقة هذا القول، ويتحلوا بما قد يكون غائباً عنهم من صور الحب، وليكن لديهم يقين بأن كل من يحظى بحب الله له ورضاه عليه، فكل شيء عنده بعد ذلك هين.

لا تحرموا أنفسكم من جنات النعيم.. لا تحيدوا عن الحب الأعظم الكبير، فالحرمان من حب الله خسارة لا تعدلها كل الدنيا وما فيها، فأسعدوا به أرواحكم، أشغلوا به قلوبكم وعقولكم.

هذه ملامح موجزة عن حقيقة هذا الجوهر الذي يعمر القلب، ويختلج في الروح، إنه الحب، والحب بمفهومه الكبير المتسع الشامل يحقق أجمل حياة، وأسعد مشاعر للإنسان.

ياليتنا جميعاً نحب.. ياليتنا جميعاً نحب الله الحب الصادق القوي.. فنحب كل ما جاء به حبيبنا الرسول ﷺ من عظيم القيم، وطاهر السلوكيات، ونحب الناس الذين تقترب منهم أرواحنا، وتتآلف معهم قلوبنا، وتشتعل أشواقنا لهم في وجداننا.

الحب هو أنت.. هو ذاتك.. هو عقلك المفكر، هو قلبك الخافق.. هو وجدانك الشاعر.

فلنكن مع المحبين الذين عرفناهم في تاريخ الحب العظيم، فلم يؤثر عنهم شيء غير الحب، ولم تمس قلوبهم شائبة البغضاء أو الكراهية لحظة واحدة.

obeikandi.com

كرامة الإنسان..
هل هناك اليوم ألزم من الدعوة إلى حفظها؟

الإنسان هو أكرم شيء في هذا الوجود، وهو مكرَّم عند الله، ابتداء من آدم عليه السلام إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، والقرآن الكريم يشير إلى كرامة الإنسان، ويؤكدها، ويخصه بها بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

لقد كرم الله الإنسان لذات إنسانيته، من غير اعتبار آخر، من دين، أو لون أو لغة، أو قومية، فالناس جميعاً متساوون كأسنان المشط، أولاد أب واحد وأم واحدة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

فلا فضل لعربي على عجمي، ولا لأبيض على أسود، ولا لثري على فقير. فالكرامة للجميع: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠]، وإنما يتفاضل الناس، ويكون بعضهم أكثر كرامة عند الله من بعض بما يُقدم للناس من خير، أو يدفع عنهم من شر: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]. أي أعظمكم كرامة.

والإنسان مكَّرم عند الله؛ لأنه من روح الله، ومن تكريم الله للإنسان أنه أمر الملائكة أن يسجدوا لآدم: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩].

ولقد خلق اللّه الإنسان في أحسن تقويم، وسخر له كل ما في السماوات وما في الأرض، وهذا يعني أن الإنسان أكرم على اللّه من الأرض وما عليها من غيره؛ ومن أجل تكريم الإنسان وقف رسول اللّه ﷺ لجنازة يهودي عندما مرت أمامه، وعندما قال له أحد الصحابة: إنها جنازة يهودي يا رسول اللّه، قال: «**أو ليست نفساً خلقها اللّه**»، ومن أجل عظيم قيمة ورفعة كرامة الإنسان عند اللّه قال رسول اللّه ﷺ: «**لو أن أهل السماء والأرض اشتركوا في دم مؤمن لأكبهم اللّه في النار**»، وقال ﷺ: «**لزوال الدنيا أهون على اللّه من قتل رجل مسلم**»، وقرر ذلك القرآن الكريم: ﴿مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا﴾ [المائدة: ٣٢]، وهنا أطلق اللّه المراد بالنفس دون أن يحدد دين صاحبها أو لونه أو جنسيته.

وإذا كان اللّه قد خلق الإنسان في أحسن تقويم، وكرمه بصفته إنساناً لا بصفته حيواناً أو أي شيء آخر، وجعله وحده خليفة في أرضه، معمراً للكون، فإن الإنسان إذا انحرف عن سنن الحق، وتنكر لخالقه، واتبع سبيل الغواية عند ذلك يسقط إلى أسفل سافلين، وينحط تحت درجة الدواب: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأنفال: ٥٥]، ومثل الذي كفر، واتبع الشيطان على الرغم من كثرة نعم اللّه عليه: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَث﴾ [الأعراف: ١٧٦]، وسُخط اللّه وقع على الذين اعتدوا على حدوده، ومن أشد الاعتداء على حدوده ما نراه اليوم من أفعال الطغاة الذين صاروا أشد ضرواة من الوحوش الكاسرة بغية التسلط والقهر لغيرهم من مواطنيهم.

ومن أظهر صور احترام الإسلام لكرامة الإنسان، وجعل الحجة والبرهان والإقناع سبيل الإيمان أن ترك للإنسان حرية الاختيار: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩].

كرامة الإنسان الحياتية والعملية هي التزامه قبل كل شيء بأسس القيم العليا، ومن الخطأ أن يظن بعض الناس أن كرامة الإنسان تعني التزمُّت والتكبُّر والتسلط والانفعال لأقل شيء، ورفض تجاوز أحد في عمل أو كلام معه، ويصرخ ويقول: «كرامتي».

أقول له: إن كرامتك تتحقق بالتزامك بالقيم الإيمانية، والأخلاق السامية، بها تكون قد أديت حق كرامتك عند الله، وبها تنال كرامتك عند الناس.

الكرامة هي الصدق المطلق، فلا كرامة عند الله أو عند الناس للكذاب الأفاق ﴿فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [محمد: ٢١].

كرامتك لا في زهوك الخادع، ولا في غرورك الجاهل؛ إنما الكرامة هي التواضع مع الناس جميعاً، وحسن التعامل معهم.

كرامتك عند الله وعند الناس تكون حين توفي بالعهد، ولا تتنصل من ذلك: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٤]، ولا كرامة لخائن؛ لأن أعظم سمات الكرامة واحترام الناس الأمانة في كل التعاملات: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾ [المؤمنون: ٨].

ثم إن العجب العجاب أن نرى الذين لا يقدِّرون كرامة الله للإنسان، فيهينونه باللفظ الموجع، والمعاملة المهينة، وهؤلاء المتكبرون زهواً كاذباً على البشر، والذين يقوِّمون الناس بما لديهم

من مال، وما هم فيه من مناصب، وما لهم من سلطان قد نسوا أن ذلك كله إلى زوال.

بل الأمر أدهى من هذا وأَمرُّ.

فياحسرتاه على حالنا نحن المسلمين اليوم، نرى بعض الأحداث حولنا تهدر فيها الدماء بلا حساب، ويقتل الناس من جراء مطالبهم الإنسانية المستحقة لهم!

إن كرامة الإنسان في وطنه أن تتحقق له أول ما تتحقق توفير سبل الصحة له ولأسرته، وموارد العيش الكريم لهم، وبيت يجمعهم ويسترهم، ومؤسسات تربوية تعلمهم وتثقفهم، وتجهزهم للمساهمة في نهضة وطنهم ونمو بلادهم، وقبل هذا كله حماية أمنهم، والحفاظ على حياتهم، وشيوع العدل بينهم.

ولا عذر لمجتمع لا يوفر لأبنائه هذه الضرورات الحياتية، وبخاصة المجتمعات ذات القدرة الاقتصادية، ويتعين ذلك أكثر حين يكون الثراء في بعض المجتمعات يزداد يوماً بعد آخر عند فئة صغيرة يمتلكون ٧٠٪ من الثروة الوطنية، ونسبتهم لا تتعدى ١٪ من مجموع المواطنين، ويشترك ٩٩٪ من المواطنين في ٣٠٪ من الثروة، وقد تكشف هذا الحيف الطاغي فيما حدث مؤخراً في بعض البلدان المجاورة، إن عظمة الرقي الحضاري للوطن تقاس بمدى كرامة حياة أبنائه، ورغد عيشهم فيه وتحقق التكافل الاجتماعي بين جميع مواطنيه وشعورهم بالمسؤولية الاجتماعية نحو بعضهم.

وحين تنادي هيئات حقوق الإنسان الحكومية منها والأهلية بصون وأداء هذه الحقوق للناس فإنها تهمل بقصد أو غير قصد

هؤلاء الجياع العرايا، المشردين في الطرقات وتحت الممرات في كثير من الدول التي تدَّعي الرقي الحضاري، والتطور الاقتصادي، إنه تناقض صارخ بين هذا الواقع الموجع، وبين ما يزعمونه من نهضة عليا وديمقراطية وتقدم.

وأشد من ذلك نكالاً ما تمارسه الدول العدوانية، وفي مقدمتها إسرائيل من تجنٍّ صارخ على حقوق الإنسان وإهانة كرامته، يتمثل ذلك في العقاب الجماعي المتكرر لأناس أبرياء، منهم الأطفال، والنساء، وكبار السن، من دون جريمة ارتكبوها ويقطعون الماء والغذاء والدواء؛ بل يمنعون وصول معونات الهيئات الإنسانية المرسلة لإغاثتهم، والزج بألوف الناس في السجون دون محاكمة لهم.

أين كرامة الإنسان عند هؤلاء الطغاة الذين يمارسون التفرقة العنصرية ضد مواطني دولتهم، والذين يقيمون جداراً للفصل العنصري لاشبيه له في أي بقعة من العالم؛ هل هؤلاء وعوا ولو نذراً يسيراً من حقوق كرامة الإنسان، وعرفوا معناها، ويندرج إهدار كرامة الإنسان تحت ما نشاهده اليوم من وحشية بعض الحكام في قمع شعوبهم التي هبت تطالب بتحقيق الكرامة الإنسانية.

ما أَعظم ديننا، ولو حققنا بصدق كامل ما دعا إليه من حقوق كرامة الإنسان ما عاش شقي ولا مهضوم، ولا شكا ذليل أو مظلوم.

فلنكافح النفاق؛ لأنه من صور الفساد

الفساد في اللغة العربية، وفي الواقع يقابله الصلاح والاستقامة، ولذا فإنه من أشد ما نهي الله عنه، ومن أجل مقاومة هذا الفساد جاء ضمن الأوامر الملكية السامية إنشاء «الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد».

وعُيِّن على رأسها رجل من خيرة رجالنا، عرف بصلاحه، واستقامته، وصدقه، وهو الأستاذ محمد بن عبدالله الشريف، أعانه الله وأعوانه على تحقيق هذه الغاية السامية.

ولكن هناك فساد لا يكافحه إلاّ نقاء الضمائر وصلاح النفوس.. ذلكم هو النفاق.

فالنفاق كذب وافتراء، وفساد في الذمة والخلق؛ لذا فهو جامع لكثير من صور الفساد، وإن أهل الرياء وأرباب النفاق هم صورة مشوهة بشعة للنفس البشرية، وفي هذا المعنى يقول رسولنا ﷺ: «**إن أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان**».

آهٍ لو عرف المرائي، ورأى المنافق لمحات من اللظى الموقد الذي ينتظره عند لقائه ربه لكفّ عن ذلك، وندم على ما فعل أشد الندم.

الإنسان الصالح صاحب الوجه المشرق، والطلعة المنيرة، هو الصادق في قوله وأما الوجه الكظيم الذي يحمرُّ ويصفرُّ، ويتلون بكل لون، في كل موقف، وكل حين بحسب لزوم الحال، ذلك الذي تَنْفرِج أسارير وجهه، ويجري الدم على قسمات خديه ويضحك بقوة

وحيوية ويبالغ مرحِّباً ومثنياً على من يأمل مصلحة عنده، أو رجاءً يبغيه وراء مدحه، وهو في هذا الموقف ذاته بداخله هاتف لا يمكن إسكاته، يقول له بصوت عالٍ: أنت كاذب، أنت مراءٍ فيما تقول وتفعل.

إن من أشد الظواهر الاجتماعية التي صارت عند كثير من الناس اليوم سلوكاً متبعاً لا يجدون في ارتكابه غضاضة هو المبالغة الممقوتة في المديح والثناء والتهويل في تمجيد الآخرين، والمبالغة الشديدة في وصف أعمالهم، ويبدو ذلك كثيراً في بعض ما به يتحدثون، وما يكتبون وينشرون في وسائل الإعلام المختلفة، وما عرفوا أنهم بصنيعهم هذا قد وضعوا أنفسهم في محط الرذيلة. وأكثر ما يوجعك أن ترى مثل هذا يأتي ممن هم ضمن قادة الفكر والرأي والمثقفين في بلادنا.

ألا يعلم المغالون في المدح أن الذين تبالغ في مدحهم، وتملأ الدنيا ثناءً رياءً لهم وتدبج الكلمات كاذباً في التقرب إليهم، والتمسح بوصلهم، والتهويل المبالغ لوصف ما يعملونهم ليسوا من الغباء حتى تنطلي عليهم هذه الصناعات اللغوية، التي ليس وراءها أي صادق من مشاعر الإنسانية؛ بل إنهم يحتقرونك كاذباً منافقاً، وقد علَّمنا رسولنا الأكرم أن نحثوا التراب في وجه المداحين المبالغين، وعلى نهج رسول الله ﷺ سار كل الصحابة والصالحين في كل العصور.

إن كل من يعلم حقائق ديننا، ويتحلى بكريم قيم وسلوكيات وآداب وأخلاق شريعتنا تجد أنه في إباء عن كل ما يخدش المروءة، وينال من كرامة الإنسان ومصداقيته، فهو لا يأتي الرياء ولو كان مضطراً، ولا ينافق ولو كان أمام من ينافقه الآخرون، بل إن المسلم

المتمسك بدينه حقّاً حريص على محاسبة نفسه في كل أقواله ومواقفه وإنه مؤاخذ على كل ذلك من رب العالمين، فهو لا يقبل أن يهان عند الله، ويكتب عنده كذاباً.

إن الناصح الأمين المخلص هو من يقول الصدق، ويسدي لمن يحبهم النصح الراشد، ولا يخدعهم بمبالغة القول، وزائف الأوصاف، وأيضاً لا يكون منكراً للصواب إذا رآه، ولا لذكر المحاسن إذا بدت أمامه، ولا جاحداً لمواقف الخير والصلاح.

وأحياناً تأتي المبالغات في المديح والإطراء طلباً للنوال والتقرب ممن يمدحونهم وما عَرفوا أنهم بإطالتهم ومغالاتهم هذه يسيئون إلى من ينشدون منهم القرب والعطاءوينقلب المدح الكاذب إلى هجاء ساخر، لمن في مدحهم كانوا مبالغين.

وفي هذا قال الشاعر:

وإذا امرؤٌ مدح امرأً لنواله وأطال فيه فقد أطال هجَاهُ

لو لم يقدِّر فيه بُعْدَ المُستقى عند الوُرودِ لما أطال رِشَاهُ

وفي هذا المعنى قال أبوالطيب المتنبي:

وماأنابالباغي على الحب رشوةً ضعيفُ هوىً يبغي عليه ثوابا

إن الكاذب في قوله، المرائي في موقفه، المنافق في مدحه، المتزلف في مبالغاته قد خسر كل شيء؛ فهو قد أغضب الله، ولم ينل تصديق ممدوحه، ولا احترام الآخرين له؛ لعدم قناعتهم بقوله، ونفورهم من سيئ مبالغاته.

التقدير الحق لمن يستحق المدح هو ذكر محاسنه للاقتداء بها، دون مزايدة فوق ما هو فيها، ولا نقصان لفضل ما تحقق بها.

العدل والإنصاف هو إعطاء كل ذي حقٍّ حقه، فالمرائي ليس عادلاً؛ لأنه يُعطي من يرائيه أكثر من حقه، وربما يدفعه ذلك إلى الغرور بنفسه، والتسلط على من هم في عمله وإدارته، والمنافق كذاب أَفَّاق مخادع؛ لأنه يكذب في حديثه مع من ينافقه

وربما نفخ أوداجه متجاوزاً لحدود الحق والعدل فيما يصفه به، وقد يخدعه ويغريه زهواً وغروراً بما سمعه من منافقه، فكيف تعتدل سيرة الحياة؟!

فبربِّكم أروني كيف يتحقق القسط، والعدل، والميزان، وبيننا من يسند إلى من ينافقهم ما لم يفعلوه، ويجحد منكراً للمخلصين ما أنجزوه!

سمج بحق قول الرياء، سفه جدّاً كلام النفاق، عريان من الكرامة ذلك المرائي، مكشوف الستر مفضوح ذلك المنافق.

كم هي أمنية غالية أن يتأمل المداح المغالي فيما جنَى من وراء نفاقه، وهل حقق شيئاً ذا بال من وراء كذبه.

هذا.. ولأن قيادتنا الصادقة الحريصة على اجتثاث الفساد من جذوره، وبكل صوره، وتعلم أن الزيف والتملق من أشد مفسدات الحياة في المجتمع، والإضرار بحياة الأمة، سواء كان ذلك الفساد كلاميّاً أم عمليّاً في أداء الناس لواجباتهم وفي أعمالهم؛ لذا فلنكن معها جميعاً عيناً يقظة للمشاركة في مكافحة أي فساد في أي صورة

أو أي عمـل. فإن مقاومة الفسـاد لا تتحقـق إلاّ إذا أبلغ كل منّا عمّا يراه من انحراف، أو يعرفه في موقع أو شخص من فساد، وأن يقاوم ذلك بنفسـه ما استطاع، والحديث الشـريف يقول: «من رأى منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان».

obeikandl.com

صناعة الإنسان أهم من صياغة الكلام

قال لي صاحبي (عادل)، وهو ممن أحبهم، وأحترم قدراتهم: «إني معجب بمقالاتك الناقدة التي تتناول فيها بعض الجوانب الحياتية: الشؤون الاجتماعية، التعليمية، الممارسات اليومية، فهلا داومت على مثل هذه الجوانب، أما مقالاتك عن القيم فإني أخشى عليها من أن تصبح كالنصائح التي يقرؤها الناس، ولا يعملون بها». فكان جوابي لمحدثي: ألا تعلم أن أوجب الواجبات على الإنسان المؤمن هو تقديم النصح والإرشاد، وأن الصحافة هي إحدى الوسائل العامة لذلك؛ بل إنها في معظم الحالات أعمّ تأثيراً من المنابر، وأكثر انتشاراً في شيوع وصولها من دروس المدارس والمعاهد، ولعلمك يا عادل فإن ما أتلقاه من تجاوب القراء مع مقالاتي عن القيم يفوق كثيراً ما تتصوره أنت من عدد، واهتمام.

آه! يا عادل لو أن جميع الناس عامة، والمسلمين منهم خاصة تمسكوا في حياتهم بهذه القيم الإسلامية الرفيعة، وعملوا بها، وكانت هي الصراط المستقيم في نهجهم لما وجدنا في حياتنا هذه المنغصات، وهذه الإحن والشحناء والفتن، ولعرفنا عمليّاً حياة الحب والخير والسلام والوئام ألا توافقني الرأي؟

إن صناعة الإنسان «لا أقصد خَلْقَه؛ فهذا لله وحده»، ولكن أريد تكوين بنائه النفسي، والخلقي، والعملي، إذ هذه العناصر تمثل المحاور الكبرى التي تسير عليها حياته، ويقوم عليها مستقبله.

إني لشديد التعجب من أناس في مجتمعنا يركزون في تعلمهم وتعليمهم على صناعة الكلام، فتسمع لهم رنيناً عالياً كرنين الأوعية الخاوية، والطبول الفارغة؛ لأنك لا تجد في أفعالهم شيئاً مما يدعون إلى العمل به في أقوالهم، وليتهم يتدبرون قول الله تعالى، ويخافون من سوء عقابه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الصف: ٢، ٣].

لن يكون للمتمكن من الكلام وحسن سبكه، ولا للخطيب البارع في خطبته أي أثر عملي يذكر إلاّ إذا كان هو فاهماً لموضوعه، عاملاً بما يحثّ الآخرين على عمله متجنباً ما يأمر الآخرين بتجنبه، وكذا الحال مع حافظي النصوص دون فهم لمعانيها.

فمن هذا المنطلق لتكن العناية كل العناية بصناعة الإنسان؛ بمعنى إعداده خلقيّاًوسلوكيّاً، وعمليّاً حتى لو كان عييّاً أو عاجزاً عن الكلام؛ لأن الإنسان الذي علينا أن نهتم بصناعته هو المتشرب للقيم العظمى، المتمثلة في سلوكياته الحميدة، إنسان لا يكذب، صريح لا ينافق، أمين لا يخون، يحب الناس، ولا يعرف البغضاء، طاهر القلب، لا يعرف الحقد أو الأنانية، قد طبع في تكوينه التواضع، ولين الجانب، مع الشجاعة، وصدق العزيمة.

إننا إذا جمعنا العناصر اللازمة لبناء الإنسان العظيم لوجدنا أنها هي ما يحقق له مكانه وقدره، واحترامه بين الناس.

نحذره من سوء الظن بالآخرين، والتجسس عليهم، وترك الهمز، واللمز، والتنابز.

نبعد عن أسس تكوينه الغلظة، والغضب، والرياء، والظلم، والبغي، والخيلاء، والكبر والطمع، والجشع، ونبين له أن من أسباب هدم البناء الإنساني اللامبالاة، والتقصير والجهر بالسوء، والفوضى، وإشعال الفتن، أو الانضمام إلى من أوقدوها: «الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها».

نغرس فيه الأصول اللازمة للمواطن الصالح، الذي يحب وطنه، ويحميه، ويعمل على خيره ويفديه.. مطيعاً لحاكمه في الصالح المشهود من أمور الدين، وصلاح الوطن ونفعه، يتكافل اجتماعيّاً مع كل المواطنين حوله، يحترم الكبير، ويرحم الصغير ويساعد المحتاج، يبادر إلى فعل الخيرات مع الناس جميعاً؛ يؤدي حقوق جواره،

ويعرف حدود عمله وإدارته، ويخلص لها، متعاون مع كل من حوله في كل شؤون العمل والحياة، مقدراً قيمة العمل التطوعي ومسهماً فيه، أميناً، ناصحاً، ومهتمّاً بالشأن العام، يحارب الفساد أنى وجد.

ومن أهم مكونات صناعة الإنسان قناعته بالأصول الاجتماعية الكبرى؛ متمسكاً محققاً للكرامة الإنسانية مع الجميع، مساوياً لهم مع نفسه في الحقوق والواجبات.

إن الناس ليسوا في قدرهم بالقدرة على الكلام؛ بل بتركيباتهم الإيمانية، وتكوينهم الأخلاقي، وسلوكهم الاجتماعي الإنساني.

ونحن نحترم إنساناً دون آخر لماذا؟ لأن عناصره النفسية، ومكوناته الأخلاقية وصوره السلوكية أعظم، وأرقى، وأسمى من غيره.

وليس الإنسـان بالكلام المزين، ولا بالقول المنمّق، ولكن بالعمل الصادق، والسلوك

القويم، والعطاء الكبير، وقبل كل ذلك هو الذي شـرب الإيمان وتغـذى على قيمه، ونهل من أخلاقه؛ فنما على طيب الغراس، وكبر على حب الناس له واحترامهم إياه.

إننـي لا أطالـب أن يكـون جميع خلق اللّه ملائكة يمشـون على الأرض، لكني أريد ما اسـتطعت أن أحقـق في حياتنا أكبر قدر من القيم والمثل العليا التي بها تسعد حياتنا.

وعلينا أن نهتم أكثر مانهتم بالقلب؛ لأنه محرك الإنسـان نحو الخير؛ ولأنه موضـع الإيمان؛ ومنه تتدفق كل الصـفات على سلوك المـرء وأعماله؛ فتعهدوا قلوب أولادكم واهتموا بمفردات صـناعتها وما يحركها تسـلمْ لهم حياتهم، ويطبْ عيشـهم، ويسهموا بفاعلية ورضـا في تقـدم مجتمعهم، وخدمته، ونمائه، وقبل كل ذلك برضـا اللّه تعالى عنهم، وبتوفيقه لهم في كل أعمالهم.

إننـا لو أجدنا بناء الإنسـان بنـاءً قويّاً ثابتاً ترسـخت فيه كل القيـم ولأصـبح المجتمـع متميزاً، خاليـاً من كل عيب يعيق مسـيرة تطوره،ولوجدنـا كل صـاحب مهنة قد أبدع فيهاوأحسـن عملها، إذ إن علتنا تكمن في عدم التمسـك بقيمنا مـا ينتج عنه قلة الإخلاص وضـعف الإتقان، وشـيوع اللامبالاة، والأنانية، والجشـع، والطمع، وعـدم الاكتراث بمصـالح الآخرين، التي لو اختفت مـن حياتنا أو حتى قلت لصرنا مجتمعاً أقرب إلى المثالية، ولصارت الحياة عندنا طيبة مرغوبة.

علينــا ألاّ تبهرنــا الأحاديــث المنمّقة، والخطــب المجهزة، حول موضوعات مكررة فلا مصداقية لكلام ليس وراءه عمل، ولا لخطبة ليس لها هناك واقع في صاحبها، فلنصـنع الإنسـان صناعة عملية متجـذرة في النفس، ظاهرة في السـلوك؛ فذلـك أدعى إلى قبول ما يقوله هذا الإنسان المخلص، لا ما يطنطن به هذا الداعية المرائي.

obeikandl.com

وهكذا.. تتحقق سيادة أهل القيم

لا أزعم أن هناك مجتمعاً مثاليّاً ملائكيّاً.. فلولا الخطأ ما كان الصـواب، ولكني في المقابل راغب في ألا يكون مجتمعنا المسلم بعيداً عن كل هذه القيم أو جُلّها.. وراغب في أن يكون التمسك بهذه القيم هو المعيار السليم للتعامل في حياتنا.

الحضارة الإسـلامية المبهرة قامت، وانتشرت، وسادت بفضل تحقق ممارسة هذه القيم فيمن دانوا بالإسلام.

بل إن الحضارات الإنسانية كلها لم تقم إلا على دعوة لهذه القيم.

والقيم التي دعوت لها، وتحدثت عنها تُجمِع عليها كل الأديان، وكل الثقافات، فهي موضع احترام عند الناس جميعاً، بل إنها لازمة للحياة الطيبة السـعيدة، والتخلي عنها، والتسـامح في تركها مجلبة للخزي، والعار، والشقاء في الحياة للفرد وللمجتمع.

إن هنـاك قيمـاً كثيرة تمثل جوهر الأخلاق الفاضـلة لم أتحدث عنها كلها، لكنها أيضاً لازمة لطيب العيش في حياتنا، وسعادة أوطاننا.

إنما الأمم الأخلاق ما بقيتْ فإن هُمُ ذهبت أخلاقُهم ذهبوا

إننا من أمة أعزها الله بالإسلام، ولا عزة لنا إلا إذا حققنا كل قيم الإسـلام في حياتنـا. واتخذناها جميعاً سـبيلاً لمعاملاتنا؛ فإن ضـياع قيمـة بمنزلة هدم ركن مـن البناء.. لذا، فإن قيم الإسـلام مع تعدد صـورها لازمة كلها متشـابكة، قامت بتحققها أمة الإسلام العظيمة، وستبقى بها عظيمة.

وإني لأتوجه بالحديث والرجاء إلى كل من هو في موقع النصح والإرشاد والتوجيه أن يوضح حقائق هذه القيم وآثارها، ونتائج التمسك بها، ونشر إضاعتها على الناس، أن يوضح ذلك لكل من حوله؛ فتلك اليوم هي رسالة الدعاة، ومسؤولية أهل الإرشاد والتربية والتعليم.

إنه لواجب شرعي على الدعاة والمرشدين أن يعلِّموا الناس هذه القيم، ويشددوا على أهمية التحلي بها، وتركهم الدعوة إلى هذه القيم نقص في واجباتهم يسألون عنه عند ربهم، والحاجة إلى الدعوة إليها أكثر إلحاحاً اليوم من تكرار الحديث عن تفاصيل العبادات التي هي معروفة عند الجميع.

يا للعجب!

كم من خطيب مسجد لم يُعْطِ هذه القيم حقها، ويرشد المسلمين إلى ضرورة التحلي بها، بل قد يتجاوز في خطبته حدود الحديث عن الآخرين، والافتراء عليهم، ويشيط غضباً لفعل تخيله، وهو لم يقع حقيقة منهم.

كم من مرشد أطال الحديث والتفصيل في الأمور التعبدية وتَرَكَ هذه القيم، وهي أساس وجوهر قبول الأمور التعبدية.

هناك أناس تحروا صحة وضوئهم، وصحة صلاتهم، لكنهم مع هذا يكذبون على غيرهم، ويفترون ويتجنون على من سواهم، ويظنون أن الحق مقصور عليهم، وأن الحكمة خاصة بهم.

كـم من سـلوك مخالف للآداب الإسـلامية ومـكارم الأخلاق يتغاضـى عنه الناس وهو عند اللّه عظيم، وكـم دقّق وتمحك بعض الناس في ضـرورة عمل شـيء هو ليس من لب الدين وجوهره، وكم سـكت أناس عن قول الحق، وهم يعلمون أن السـاكت عن الإفصاح به شيطان أخرس.

إننـا اليـوم وسـط هـذا العـالم الطاغـي، والفـتن الشـاملة، والاضطرابات المنتشرة والتسـيب الباغي في أمسّ الحاجة إلى هذه القيم، نأخذ بها، نسير على نهجها، ونجعلها معياراً لكل أعمالنا.

إني أقـول بمـلء فيّ: إن النجاة من شـرور الحياة واضـطراب أحوالها مرهون بأن نؤصل هذه القيم، وأن يكون المسؤول عن الأمور العامة هم الشـرفاء الحكماء الصالحين، لا الجهلة الغاوين، ونردد مـا كان يردده دائماً الملك المؤسـس عبدالعزيز آل سـعود رحمه الله من أبيات للشاعر الجاهلي الأفوه الأودي يقول:

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ... ولا سـراة إذا جُهَّالهـم سادوا

تهدَى الأمور بأهل الرشد ما صلحتْ ... فـإن تولـوا فبالأشـرار تنقادُ

إذا تـولى سـراةُ القوم أمرهمُ ... نما على ذاك أمرُ القوم فازدادوا

والبيـت لا يبتنـى إلا له عمدٌ ... ولا عمـاد إذا لم ترسُ أوتـادُ

فـإن تجمـع أوتـادٌ وأعمـدةٌ ... وساكن بلغَ الأمر الذي كادوا

السراة هم الشرفاء الحكماء، المتمسكون بكل القيم الإسلامية؛ لهـذا فالعرب يقرنون الشـرف بتوافر الحكمة عند صـاحبه، إذ إن تملـك الحكمة هو أهم متطلبات النجـاح، والحكمة تتمثل في الخلق الرفيع الجامع لكل القيم.

obeikandi.com

لـذا، فإنه إذا سـاد الرعناء غير أصـحاب الحكمـة مكاناً، أو تملكـوا أمراً، فإن ذلك يعني إخفاق هؤلاء القوم في تحقيق أمورهم، ومن أفظع ألوان الرعانة النفاق الذي هو مع الأسـف سـلوك بعض الناس الذين يتولون زمام الأمور؛ لذا ساد الفساد في بعض المصالح من جـراء هذا النفـاق، فتغطى الواقع الفاسـد بغطاء قـول الأفاق المنافـق، والناس هـم الذين يعانـون ويدفعون الثمـن الباهظ لهذا النفاق والكذب والافتراء

وختاماً:

جنّـب الله بلادنـا مـن كل الشـرور، ووفـق ولاة أمورنـا إلى اصـطفاء أهل القيم من أناسـنا؛ لتسـتقيم الأمور، ويعـم الرخاء، ويسود الاستقرار.

obeikandl.com

الجود المخلص، والعطاء الكريم

أن يكـون الجود خالصـاً، والعطاء كريمـاً لذات الخير من أبـرز قيمنا، ثم نرى آخرين في عصـرنا هـذا يبزّوننا بجود منقطع النظـير، فـإن ذلك أدعـى إلى الخجل من أنفسـنا ودافـع لأن نعيد حساباتنا في علاقاتنا مع الله الذي أنعم علينا بما نتمتع به من واسع الخير، وما علينا لوطننا من واجب، بل ما علينا للبشرية كافة.

نعـم، في هذا العصـر نرى مـن ينبرون للبذل من أجل إسـعاد الإنسانية بذلاً غير محدود، ومن شواهد ذلك ما بثّته إحدى الشبكات التليفزيونية الأمريكية المعروفة في اللقاء الأسـبوعي المسـمى «هذا الأسبوع» وكان الحوار فيه مع أربعة من أكبر أثرياء الولايات المتحدة الأمريكية. سبق أن تطرقت في مقالاتي الأسبوعية إلى بعض حكمهم وسـلوكياتهم، وذكر رياداتهم للأعمـال الخيرية، لكن الحوار معهم هذه المرة فاق كل متوقع، وما قدموه من فعلٍ للخير، وعطاء مخلصٍ بقدر مبهر ومثير بحق. إن ما جاء في هذه المقابلة مثير للإعجاب.

حقائق ماثلة، وأعمال رائدة في عالم الخير ودنيا العطاء أتمنى أن يسمعها كل الناس، ويتأسى بها كل الأغنياء.

«ورن بافيت»، و«بيل غيتس وزوجته مليندا»، و«تيد ترنر» و«توم ستيير».

من هؤلاء؟ لِمَ هم مبهرون؟

هم أغنى الأثرياء «ورن بافيت» يرجو الحكومة الأمريكية والكونجرس الأمريكي زيادة الضرائب المفروضة عليه، وعلى أمثاله فاحشي الثراء، ولإخلاصه وصدقه في هذا الأمر قام عدد من الأثرياء الأمريكيين بمثل هذا الطلب، وها هو الثري الكبير «بيل غيتس» وزوجته «مليندا» يقولان: إنه ينبغي أن يدفعا قدراً أكبر من الضرائب.

لماذا يطالب هؤلاء الأثرياء بزيادة الضرائب المفروضة عليهم؟

إنهم يعرفون أن الخدمات التي تقدم لعامة الناس تحتاج إلى دعم من الأغنياء ومساعدات الأثرياء.. كالخدمات الصحية، والنهضة التعليمية، والقضاء على الفقر. ذلك لأنهم موقنون بأنهم جنوا هذه الثروات من الناس المستهلكين لبضائعهم وخدماتهم الرابحة.

كم أعطوا؟ ما فلسفتهم في هذا العطاء؟

١- ها هو «ورن بافيت» الرئيس التنفيذي لشركة «يركشير هاثاواي» أحد أثرياء العالم يتبرع ب ٩٩٪ من ثروته التي تعادل خمسين مليار دولار.

وبسؤاله عن هذه اللحظة الحاسمة؟

هل كان صعباً عليك التحول من صنع المال إلى التبرع به؟

هل أصابت يديك رعشة، هل توقف قلبك عن الإخفاق وأنت تتخذ هذا القرار؟

قال بثقة واعتزاز:لا.. لم يكن من الصعب اتخاذ القرار.. اتخذنا أنا وزوجتي هذا القرار منذ زمن، ونحن لا نزال في

العشرينيات من عمرنا. لقد حظينا بثروة فاقت أقصى توقعاتنا، ونحن نشعر بامتنان عميق، ولكننا نشعر بمسؤولية التصرف بهذه النعم وهي مسؤولية عظيمة قدر عظمة هذه النعم.

٢- وها هو «بيل غيتس» مؤسس أكبر شركة إلكترونية وأشهرها شركه «مايكروسوفت» يقوم بتوزيع جزء كبير من ماله، وتسخير ذكائه.. حيث قام هو وزوجته بتأسيس أكبر مؤسسة خيرية في العالم بأصول تبلغ ٣٥ مليار دولار، يقومان بتوجيهها لتعزيز الخدمات الصحية على الصعيد العالمي، وخاصة في قارة إفريقيا، وتعزيز مستوى التربية والتعليم في الولايات المتحدة الأمريكية، يقول: «لقد انطلقنا من مبدأ أن حياة الإنسان لها القيمة نفسها بغض النظر عن مكان وجود هذا الإنسان على وجه الأرض بنغلاديش، أو بوسطن، أو بريطانيا لكننا في الولايات المتحدة نجد أن أكبر قدر من عدم المساواة الذي نعانيه هو في التعليم؛ إذ لا يتلقى كل طفل في هذا البلد تعليماً رائعاً ويجدر بهم أن يتلقوا بالفعل تعليماً راقياً لكنها مسألة الحقوق المدنية في هذه البلاد».

لقد كان من بين أهداف هؤلاء الأثرياء جميعاً من وراء التبرع بهذه المليارات هو إعداد الطلاب للتعليم الجامعي وهم يقومون بتمويل برامج مدرسية من شأنها تعزيز مشاركة الطالب في مجتمعه، وتقليص حجم الصفوف الدراسية، وتعزيز مستوى أداء المعلمين.

وفيما يتعلق بالصحة في العالم ينصب اهتمامهم على تطوير وإيصال اللقاحات لأمراض تمسّ ملايين الأطفال في كل مكان، وقد

أنفقـوا نحو ١٥ مليار دولار أمريكي في سـبيل ذلك آخذين بالحكمة المعروفة: (الوقاية خير من العلاج).

ومثل هؤلاء الأثرياء الذين أعطوا معظم ملياراتهم لعمل الخير لكل الناس.. سـواء في التعليم أم الصحة تأتي مكافحة الفقر هدفاً للملياردير (تيد ترنر) الذي تعهد بمنح معظم ماله لمؤسسـة الأمم المتحدة للمسـاعدة علـى مكافحة الفقر والمرض، ولمبادرة القضـاء على التهديد النووي، والتخلص من الأسلحة النووية.

هـا هم أثرياء.. ولكنهم كرماء.. لم يخافوا الفقر، ولم يدخروا كل المال للأبناء.

يقـول أحدهم: «لا أظن أن توريـث أطفالنا ثروتنا لمجرد كونهم أبناءنـا أمـر صـحيّ هم ليسـوا بالضـرورة أجدر من سـواهم وإن حصـلوا على كل شـيء مـن آبائهم أو مـن أجيال سـابقة لهم، فإن حياتهـم سـتفتقد إلى المعنى الحقيقي للاعتمـاد على الذات» هم لم يتركوا أبناءهم دون عطاء يكفل حياتهم لكنهم لم يعطوهم كل شيء.

ويقول آخر: «إن هناك تحديات أكثر صعوبة علينا نحن الأثرياء معالجتها، هي أن نتخلص من داء شلل الأطفال، والحصبة وغيرها من الأمراض والأوبئة بدلاً من قذف بعضنا بالقنابل».

استكشافاً لحقيقة مشاعر هؤلاء الأثرياء يُطرح سؤال صريح:

ماذا تقول لأولئـك الذين لا يملكون الكثير من المال هل عليهم المشاركة في خدمة مجتمعهم والتطوع بما يقدرون عليه؟

قــال الملياردير الكبير «ترنر»: حتى لو كانــوا لا يملكون أي مال إنه بوســعهم الإســهام في خدمة مجتمعهم حتى لو بجمع القمامة.. هذا ما أفعله أنا نحن الآن في نيويورك وفي الأمس تجولتُ في الحي الذي أنا فيه، وقمت بجمع النفايات وإلقائها في سلة المهملات.

هل هذا حدث حقّاً...؟

قــال (ترنر): أقســم بالله صــدقاً، لقــد جمعــت النفايات في أطلنطا؛ لأني أريد أن أقدم نموذجاً جيداً، وليس ذلك عيباً.. فهناك نموذج ربما يبدو للناس مشــيناً معيباً، ولكنــه ليس كذلك أبداً؛ لقد أصــدر رئيس (رواندا) قانوناً يوجب على دولته بأســرها في كل يوم ســبت مــن الأســبوع الثالث من كل شــهر على الجميــع الخروج من الثامنة صــباحاً حتى الحادية عشــرة لجمع القمامات بمن في ذلك هو نفســه الرئيــس (كانامي) ومجلس الــوزراء جميعهم يخرجون لجمــع النفايــات، وروانــدا نظيفة بهــذا العمل مثل سويســرا (هذا بحسب ما جاء في الحوار).

إن هــؤلاء النبــلاء لم يكتفوا بهــذا، بل إنهــم يقومون بحملات ليس في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها بل في العالم كله، حملات للتبرع بنصــيب كبير من أموال الأغنياء، داعين غيرهم لمثل فعلهم، وقد لاقوا قبولاً وتجاوباً عند كثيرين من أثرياء العالم.

وبعد...

ما أظن أننا في حاجة إلى كلام لأنفســنا أو لغيرنا من الأثرياء القادرين في وطننــا، فالعطاء للوطن، والخير ينبغي أن يعم الجميع

فلـن يدفن مال مع الموتى، ولن يدخر بعدهـم، وهذا ما فهمه هؤلاء الأثريـاء والحق معهم، وما أحرى أن نتأسـى بفلسـفتهم هذه التي علّمنا أحسـن منها رسـولنا الكريم وصحبه رضوان الله عليهم، وما نتلوه في قرآننا المجيد.. أقرأ معكم قوله تعالى: ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ١ ٱلَّذِي جَمَعَ مَالٗا وَعَدَّدَهُۥ ٢ يَحۡسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ ٣ كَلَّاۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ٤ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ﴾ [الهمزة: ١، ٥].

وقولـه تعـالى: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [المنافقون: ١٠، ١١].

وقوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

وليس بإمكاني المزيد من التعليق...

الحق معهم، وما أحرى أن نتأسَّى بهم

ليس للأعمال العظيمة مكان أو زمان، وليس لأهل الخير والعطاء وطن أو جنس خاص من بني الإنسان، فالسلوك النبيل، والعطاء المخلص الكريم من فطرة اللّه تعالى في بعض خلقه.. لم يؤثر بها شعباً دون غيره، ولم يقصرها على وطن من أوطان عباده.

عبر التاريخ ورواد الفضل يواصلون، وعلى امتداد المعمورة رأينا الجود وفعل الخير في كل مكان له من يفعلون.

وفي عصرنا الحديث، المتزاحم بالماديات، الحافل بالمغريات الذي صار فيه حب المال والحرص عليه من أشد السلوكيات نرى فيه العجب العجاب، نرى أناساً على غير العادة.. أفراداً يمثلون ويقومون بتصرفات مالية مبهرة.. لكنها للتاريخ العظيم للخير وفعله موثوقة، ولرجال الفضل الخالص، والعطاء الصادق. والجود الكامل صور صادقة وحقائق دامغة، أو هي في عصرنا أعمال نادرة.. أو غير مصدقة.

في المقال السابق ذِكر لبعض ما دار في الحوار التليفزيوني مع أشهر أثرياء أمريكا.. إذ تقول زوجة الشهير بل غيتس»:

«لقد تفاهمت مع زوجي في أيام خطوبتنا على ضرورة أن تعود هذه الثروة التي تنهمر علينا إلى مجتمعنا، فهو أحق بها والأمر عندنا محسوم؛ لأن كلينا نشأ في أسرة تُعظِّم شأن التطوع والعطاء، وأنا وزوجي لا نقيس النجاح بالأرقام المالية لكن الإنجاز والنجاح

الـذي نفخر به هو كمّ تبرعنا ومدى نفعـه للآخرين بل إن ذلك هو أفضل الاستثمارات».

ويقول: «بافيت» في ذلك الحوار: «إني بتبرعي بتسـعة وتسـعين في المئـة مـن ثروتي لم أتخلَّ قط عن وجبة آكلها، ولا مشـاهدة فيلم سـينمائي أرغبه، ولا عن سـفر أو أي شـيء أريده في حياتي، ولدي هذا الفائض العظيم مما أسـميه صكوكاً مسـتحقة للمجتمع، فهي شهادات أسهم قابعة في صندوق منذ أكثر من أربعين عاماً.. ويقيني أنها لن تفعل لي أي شـيء، ولن تزيد من سـعادتي.. لكن بوسعها أن تفعل الكثير للآخرين إن أُحسن استخدامها».

وبسؤال «بافيت» عن أسباب هذه الثروة هل هو الذكاء أو مجرد الحـظ؛ أو توافـر الفرصـ؟ يجيب: إننـي ولدت في المكان المناسـب «الولايـات المتحدة الأمريكية» وفي الوقت المناسـب «الثلاثينيات من القرن العشـرين»، ولقد قال لي «بل غيتس» يوماً: إنك لو ولدت منذ آلاف السنين لكان مصيرك هو وجبة غداء لحيوان مفترس؛ لأني لا أجيد العدو السريع «الركض» ولا أجيد تسلق الأشجار، وسيطاردني حيـوان ما.. لكن لهـذه الظروف المواتية والعمل الـدؤوب كان ما أنا فيه من خير.

وبسـؤال «بافيـت» عن عدم منـح كل ثروته لأبنائـه يجيب: إن فكرة الثراء السلالي جنون محض... إذ هي فكرة توحي بأن الوارث بوسـعه ألاّ يفعل شـيئاً في عالمـه في كل حياته، وأكـد أن يكون الثراء ميراثاً أسريّاً، فكرة غير طيبة.

وبسؤاله كيف تصف نفسك هل أنت فاعل خير؟ هل أنت محسن؟

قال: أنا شخص يقوم بأمر منطقي للغاية، فالمحسن الحقيقي هو الذي يتبرع بخمسة دولارات، وهو لا يستطيع الذهاب إلى السينما لمشاهدة فيلم يحبه من جراء تبرعه، ثمة كثيرون الذين يفعلون ذلك، فهم محسنون بحق، إذ يتنازلون أحياناً عن لعبة لأولادهم عندما يتبرعون بثمنها للمحتاجين.

إن أختي تخصص ساعتين من يومها لتساعد الآخرين المحتاجين، إن التبرع بالوقت من أثمن التبرعات أيضاً.

وبسؤاله: هل تسمّي ما تقوم به، وتدعو إليه واجباً أخلاقيّاً؟ قال: هو بلا شك واجب، ومع أني لست داعية لكني أرى أن يتحلى الناس بالأخلاق الكريمة، ولا أرى خياراً منطقيّاً آخر لما قمتُ به، وأعني بذلك أنه بالإمكان أن أشيد لنفسي هرماً عظيماً، وأقتل السياحة في مصر، لو أنفقت الأربعين أو الخمسين مليار دولار في تشييد هذا الهرم الذي هو عبارة عن مقبرة عظيمة، وبالإمكان أن يكون هو الأكبر على الإطلاق، ويقوم الناس بزيارته والانبهار به، أفلا يكون هذا ضرباً من الجنون لو نفذته؟!

وبسؤال السيد «بافيت»: هل أنت حر مِن الأنا؟

يقول: كلا، لست خالياً من الأنا، أنا أعتز كثيراً بنجاح شركتي، عندما نحسن التصرف أشعر بأنني مزهو بالإنجاز، بل أحب أن يقرأ الناس عما أنجزت؛ لعلهم يجدون فيه حثّاً على البذل والتفكير السليم.

obeikandi.com

أكرر أنني لست حرّاً من الأنا، بل إني أقرر أن لدي قدراً كبيراً من الغرور، لكنني لا أومن بإنفاق المال على نحو لا يخدمني في الوقت الذي يمكن لهذا المال أن يحقق الخير الكثير للآخرين.

عجيب أمرك يا «بافيت» حيث تقول: إن حياة كل إنسان تساوي حياة أي إنسان آخر، وتؤمن بالتكافل الاجتماعي.

إني بذكر هذه النماذج الرائعة في العطاء في هذا العصر، فإني أهيب بأصحاب الأموال ألاّ يفوتهم فعل الخير العظيم، ولقد كان لسلفنا الصالح نماذج في هذا الجود والعطاء تفوق كل ما عرفناه، وما ذكرناه، فلنقرأ سيرهم، ولنتعلم من فعالهم، ولنتخذ من مدرسة نبينا محمد ﷺ وصحبه الأبرار الكرام أسوة حسنة، ولنتذكر أن كثيراً من الأثرياء ما بلغوا هذه الثروة إلاّ ثمرة كدح العاملين معهم، والمستهلكين لمنتجاتهم السلعية أو الخدمية، وليتذكروا واعين حقيقة النظرية الاقتصادية الشهيرة التي خلاصتها أنه: «قد تصل ثروة الإنسان إلى نقطة لا يستفيد مما زاد على ذلك؛ بمعنى أن من يملك ملياراً على سبيل المثال لن يفيده لو زاد المال، فأصبح مليارين؛ لأن كل ما يحتاج إليه يوفره له المليار الأول.. فلتكن الزيادة للناس المحتاجين».

ولنتذكر هدي نبينا ﷺ القائل: «**والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن من بات شبعان وجاره جائع**».

وفي هذا الزمان، فإن الجار لا يعني جارك الملاصق منزله لمنزلك، بل يعني كل أبناء وطنك وغيرهم من بني الإسلام في أي مكان.

الحرية

إني بتأملـي للأحداث المؤلمة عند العرب والمسـلمين حالياً أجد أن هذا جاء نتيجة طبيعية لعدم التمسك بالقيم العظيمة التي تتميز بها عقيدتنا الإسـلامية والتي من شـأن الأخذ بها استقامة الحياة، والعلاقـات الحميـدة بين أفـراد المجتمـع الواحد وبـين المجتمعات ببعضـها؛ ما جعلني أواصل الحديث عن قيم جليلة لم أتناولها فيما سبق من أحاديثي.

من أهم القيـم العظيمة التي نُعتز بها ونلتزم بها: الحرية؛ لذا صار من أشـهر العبارات التي شاعت عندنا عبارة: «كرّ فأنتَ حُرّ»؛ لأنها فصـلت بين حياتين مختلفتين لعنترة بن شـداد العبسـي الذي كان عبـداً مملـوكاً على الرغم من فروسـيته وشـجاعته وبطولاته، ولما ضـاقت القبيلة التي هو عبد فيها، وأوشـكت أن تسقط مهزومة في إحـدى حروبهـا، قال شـيخها لعنترة: «كـرّ فأنت حـرّ»، عندها هبَّ عنـترة الحر يقاتل حتى حقق النصـر، وهو موقـف في التاريخ يشـهد عمليّاً بأثر الحرية في حياة الإنسان واستعداده للتضحية من أجـل الحصـول عليها... لمـاذا؟ لأن الحرية من القيـم الاجتماعية والإنسـانية النبيلـة التي تتعلق بهـا النفس، وتشـعر بالحاجة إليها، وهـي قيمة جوهرية يجـب أن تسـتثير اهتمام الفـرد والجماعة في خدمة المجتمع.. فالفرد الذي يقدر الحرية بوصفها قيمة اجتماعية يضـحي مـن أجل مجتمعه، ويتحمل أشـد المشـاق في سـبيل حريته الشخصية وحرية مجتمعه من الاستعباد والتبعية، وهذا ما كان من موقف عنترة ونصرة من هو معهم.

obeikandi.com

المجتمعات والشعوب تناضل وتحارب، وتقدم الشهيد تلو الشهيد في سبيل الدفاع عن أراضيها، وما ذلك إلاّ مظهر للارتباط بالحرية، والتاريخ يشهد بالحروب الطاحنة الطويلة بين أهل البلاد والمستعمرين لهم؛ ليأخذوا حريتهم، ويمتلكوا زمام أمرهم رغبة في أن تسود الحريات؛ وتتقدم الحياة عندهم كما هي فطرة الحياة.

الحرية هي الاستقلال الذاتي، الذي يصمم فيه الإنسان، ويعمل بعد تدبر وروية فتجيء أعماله بعد تأمل، ويرى المفكرون أن الإنسان الحر هو الذي لا تملكه شهوة أو رذيلة، فتستبعده، وما أبشع استعباد الشهوات للإنسان، وإذا كان لفظ الحرية يعني في بعض معانيه انعدام القيود، فإن الحرية المنشودة في قيمنا تعني أن الإنسان حر فيما يملك، ولكن عليه أن يراعي حرية الآخرين، والأخذ في الحسبان حقوقهم ومشاعرهم.

والحرية كغيرها من القيم الاجتماعية العظيمة يكتسبها الفرد، ويقدرها، ويحميها من الاغتيال عن طريق التنشئة الصالحة من الوالدين الواعين والمربين المؤهلين، سواء كان ذلك بطريق مقصود أم غير مقصود، ومن أهم المبادئ لغرس قيمة الحرية في حياة الإنسان يجيء مبدأ مراعاة الفروق بين الأفراد عاملاً بالغ الأهمية من عوامل غرس قيمة الحرية، فلا تقاس إمكانات الكبير بالصغير، ولا العامي بالمتخصص.

وللعقائد الدينية عامة والإسلامية منها خاصة دور بارز في غرس قيمة الحرية، فإذا آمن الإنسان بربه، وأنه لا معبود سواه آمن كذلك بحقه في ممارسة الحرية وأحبها وتشبع بها، ودافع عنها،

وأصبحت عواطفه ومشـاعره مع الحرية تمارسها في حقها الخاص وحقوق الآخرين، ودون حريته ينافح كل من يعتدي عليها.

لقد قدس الإسـلام الحريـة المتمثلة في الأمانـة التي كلف الله بها الإنسـان، ومع ضخامة المسـؤوليات المترتبة على الحرية، فإنها مـن أعظم النعم حتـى إن الله هدى الإنسـان النجدين: ﴿ وَهَدَيْنَهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ [البلد: ١٠]، وهـو الـذي يختار بحريتـه أحدهما، وقد عبر عـن هـذا أمير المؤمنـين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أحسـن تعبـير بقوله: «متى اسـتعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً»، والحرية لا تعني الفوضى والانفلات من الضوابط، بل هي حرية منظمة منضبطة تراعي حرمة حريات الجميع، ولهذا يقال: «حريتك تقف عند حد حريتي».

ومرة أخرى.. يبرهن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على هـذا المعنى في معاهدته لأهل بيت المقدس عقب فتحه: «هذا ما أعطى عمـر أمـير المؤمنين أهـل إيليا من الأمـان.. أعطاهم أمناً لأنفسـهم، وكنائسـهم، وصلبانهم، لا تسكن كنائسهم، ولا تُهدم، ولا ينتقص منها ولا من غيرها، لا يُكرهون على دينهم ولا يُضار أحد منهم».

حقّاً... إنه الإسلام العظيم في كل قيمه حتى مع غير المسلمين.

وتأتي حرية التفكير والتعبير والعمل بعد حرية الدين والعقيدة في أهميتها لحياة الإنسـان، وكانت الحريـة الاجتماعية هي المظهر العـام لحياة العرب قبل الإسـلام، ثم جاء الإسـلام، فارتقى بها.. فلا رقّ ولا عبودية ولا انصياع لأمر إلا عن قناعة.

إن حياتنـا اليـوم تتطلـب الاتسـام بالحرية المنضـبطة في كل جوانبهـا، وكل مسـتوياتها، حتـى الصـغير لـه الحـق في أن يختار

المدرسة التي يراها مناسبة له.. ثم يكبر، وله أن يختار التخصص الدراسي الذي هو الأنسب له ولميوله، وكذلك الحياة الخاصة في الزواج والعمل، فالفتاة تُسأل عن رأيها فيمن تتزوجه، والأسرة فيمن تقبله، ويختار الإنسان مجال العمل الأقرب إلى نفسه حتى يبدع فيه، ويخلص له.

وتشمل الحرية كل صور العلاقات الاجتماعية على المستوى الفردي والوطني.. فحرية الإعلام هي كذلك امتداد لمساحات الحرية في كل جوانب الحياة.

لكن ذلك كله مشروط بمراعاة الآداب الدينية، والأخلاقية، والاجتماعية؛ فلا يمارس أحد الحرية الضارة لغيره، أو يدعي أنه حر يفعل دون قيد ما يشاء، وما النظم الاجتماعية، والمدنية إلا تفعيل عملي للحرية؛ حتى لا تضيع حريات الآخرين.

إني لأدعو لتمكين كل من له رأي في أي شأن من الشؤون العامة التي لا تخالف الثوابت من الدين أن يعبر عن هذا الرأي بكل حرية، وليناقش من الآخرين المخالفين لرأيه بعقل وموضوعية إن كان فيما رآه خطأ، أو تجاوز للحقيقة حتى يعود صاحبه إلى الصواب عن قناعة، إذ إن كبح حريات الرأي تعسفاً يؤدي إلى ما لا تحمد عقباه في غالب الأحيان.

obeikandi.com

العفْوُ والتسامح

«العفْوُ عند المقدرة من شيم الكرام» أثر أخلاقي قديم عظيم الدلالة، هو إسقاط حق ثابت مع القدرة على أخذه، العفو حقيقة وأصلاً هو المقترن بالمقدرة.

والعفو في قيمنا هو المسموح به المباح فعله في الشريعة، والله لا يؤاخذ به، ولا يعاقب صاحبه؛ لأنه ليس ذنباً أو منكراً، وترتبط بالعفو قيم أخرى كثيرة عظيمة، في أولها التسامح، والصفح، والتجاوز، والغفران، والحلم.

ولقد حثّ النبي ﷺ على العفو، حين خاطب أصحابه قائلاً لهم: «**أوصاني ربي بتسع خصال: الإخلاص في السر والعلانية، والعدل في الرضا والغضب والفضل في الفقر والغنى، وأن أعفو عمن ظلمني، وأعطي من حرمني وأصل من قطعني، وأن يكون نطقي ذكراً، وصمتي فكراً، ونظري عبراً**». حقّاً... إنها قيم عظيمة لن تذبل أبداً، وقد جعلها الرسول الكريم أسس الأخلاق القويمة، والحياة السعيدة.

ويتمثل العفو النبوي العظيم في أعظم صوره وأكرم تعامل حين فتح الله للمسلمين مكة المكرمة، ودخل النبي ﷺ الكعبة ثم صلى عند المقام والناس مضطربون خوفاً، ينتظرون ما يقضي به الرسول الكريم عليهم، وهم الذين آذوه واضطروه للخروج من بلده، فوقف النبي ﷺ ليقول كلمته وقد حبس أهل مكة أنفاسهم خوفاً ورعباً،

openkanz.com

فــإذا بالنبي ﷺ يقول لهم: «**يا معشــر قريش، ما تظنون أني فاعل بكـم.. قالـوا خـيراً.. أخ كـريم وابـن أخ كـريم قال: اذهبـوا فأنتم الطلقاء**». هذا هو العفو في الإســلام، وهذا هو تسامح النبي ﷺ في أزهى صورة له.

وصورة أخرى للعفو النبوي العظيم حين تقدمت هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان وهي التي لاكت بين أسنانها كبد الشهيد حمزة عم رســول اللّه ﷺ تقدمت من النبي تُعلن إســلامها، وتبايع الرسول، وتطلــب منه أن يعفو عنهــا، فقال: «**عفا الله عنــك**» ودعا اللّه ليغفر لها، ﷺ فهو القائل في حديث له: «**ما زاد الله عبداً بعفوٍ إلاّ عزّاً**».

العفو أنبل الصفات، وأجمل الخلال، وأسمى القيم؛ لأنه يحمل في طياته مجموعة كبيرة من الأخلاقيات النبيلة، والصفات الكريمة وها هو حسان بن ثابت يقول في رثاء الحبيب المصطفى:

عَفوٌ عن الزلات يقبل عذرهم وإن يحسنوا، فاللّه بالخير أجودُ

وامرؤ القيس الجاهلي قال في هذا المعنى:

فخذ من أخيك العفو واغفر ذنوبَه ولا تكُ في كل الأمور معاتبا

حياة جميلة تقوم بين الناس بالعفو والتسامح.

لقد شاعت قيمة العفو والتسامح بين العرب منذ أقدم العصور، حتــى نال الحديث عنه وأخذت الدعــوة إليه، والحث على التحلي به جانباً كبيراً في شعرهم وحكمهم..

فالعفو مع القدرة أجمل وأصدق صور العفو، وأطيب التسامح.

مـا أحسـن العفوَ مـن القادرِ لا سيمـا عـن غـير ذي ناصرِ

obeikandi.com

أبيـات شـعرية بليغة في فضـيلة العفـو، يحفل الشـعر العربي بحشـد كبير منهـا... فهي ذات أثر كبـير في المجتمع الواحد، تجمع بين الأهل، وتؤلف بين القلوب، وتمسح أوتار النفوس، وتزيل الأحقاد والسخائم والضغائن من الصدور... من هنا كثرت الحكم والأمثال في تمجيد العفو والإشـادة به.. من هـذه الأمثال والحكم المأثورة في فضيلة العفو:

«التثبتُ نصـف العفو» وكانت سـبباً في عفو قتيبة بن مسلم عن رجل أتي به ليعاقبه.

وقالوا: «شـفيع المذنب إقراره، وتوبته اعتـذاره، فكيف لا يُعفى عنه».

وقالوا: «خير مناكب الملوك العفو».

ومن مشـهور الحكم قولهم: «ما قرن شيء إلى شيء أفضل من حلمٍ إلى علمٍ ومن عفو إلى مقدرة».

كثـيرة الدعوات إلى العفو، تملأ الكتب الحكم الخالدة في بيان أهميته وعظمة التحلي به.

قال أحد حكماء العرب المشاهير: «أحب الأشياء إلى الله أربعة: القصـد عنـد الجـدة، والعفو عند المقـدرة، والحلم عند الغضـب، والرفق بعباد الله».

مـا بالنـا نقرأ الكثير، ونسـمع الدائـم من الدعـوات القرآنية والأحاديـث النبوية وأقوال الحكماء والشـعراء عن العفـو؟!! ألهذا الحد يفعل العفو كل الخير في الحياة والناس؟!

نعم، العفو أكبر المكارم وأظهرها، ففيه نشر للمحبة بين الناس، وإزالة للحقد والضغينة من النفوس، وفيه تعليم لمن يُعفى عنه تعليم الندم وحب الآخرين أهل القدرة، كما يصفه الله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وقد فسر الرسول الكريم هذه الآية بقوله: «**هو أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك**»، وفي حديث آخر قوله ﷺ: «**العفو لا يزيد العبد إلا عزّاً فاعفوا يعزكم الله.....**».

وللعفو دور كبير في حياة المجتمعات والناس، وأيضاً له دوره الأكبر في إسعاد الأسرة، وترابط الأهل وذوي الرحم، فهو سبيل استبقاء المودة، ودوام المحبة، واستمرار العلاقات الطيبة بين الأهلين.

وبالعفو والتسامح تعود كثير من النفوس الظالمة إلى الصواب والخير، وبه تتألف القلوب، وتشيع الثقة بين الناس وجمع الكلمة، وتوحيد الصف.

إننا مطالبون بتعميق قيمة العفو في أبنائنا وكل أهلينا، وكذلك مع أصحابنا وزملائنا في العمل والحياة، وأطيب ما يكون ذلك أن نضرب نحن المثل الأعلى للعفو والتسامح مع كل من نتعامل معهم متأسين بالحبيب المصطفى الذي كان المثل الأعلى للعفو والتسامح: «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر».

ما أعظم قيمنا وأرقاها!

المسلم الحق لا يعاني أزمة شك

كنت في حديث مع إخوان لي حول ما تمر به الإنسانية اليوم من اضطراب وتشويه صورة كل أهل دين سماوي ومذهب لدين ومذهب غيرهم مع الشك فيما دعت إليه الأديان السماوية، وقد أدركنا من الواقع المعيش أن المسلمين هم أكثر من توجه إليهم التهم الظالمة، وتساءل بعضهم: هل مع هذا العداء السافر سيذوب المسلمون في الآخرين، ويضيعون هويتهم الإسلامية وأصالتهم الدينية أم سيحافظون على كيانهم الديني على الرغم من كل هذه السهام التي توجه إليهم؟!

وتبين لنا أن أزمات كبيرة ومتعددة مرت على المسلمين منذ بزوغ شمس الإسلام ومع ذلك ازداد المؤمنون يقيناً بدينهم وتمسكهم بالعروة الوثقى، والواقع المعيش يؤكد ذلك.

ومع أن حضارة العالم الغربي بلغت مبلغاً كبيراً، وبهرت الدنيا باستحداثاتها، واستطاعت أن تحقق للإنسان ما لم يكن يحلم به من صنوف الراحة والرفاهية المادية إلا أن إسهام أهل الفكر الغربيين في ترسيخ القيم الإيمانية ليس على مستوى الإسهام العلمي.

إن هذا التطور ينبغي أن يكون حافزاً لنا نحن المسلمين على الإسهام في هذه الإنجازات الحضارية لنثبت للعالم أجمع أن ديننا داعٍ لإعمار الأرض، وتطوير الحياة والكون بدلاً من السباب العصري والقدح في ذمم الآخرين، لدرجة وصلت بنا إلى التحارب فيما بيننا، كما نراه الآن.

وتناول حديثنا في تلك الأمسية بعض صور النزاع النفسي عند بعض الناس الذين شغلتهم القضايا المادية، وأصابهم الإحباط، ولم يعملوا فكرهم في التأمل في ذات الله وعظيم قدرته، ووصل بهم الأمر إلى التساؤل: لماذا وجدوا في هذه الدنيا، وعن طبيعة هذا الكون وما الصلة بينه وبين الإنسان، وأنشد أحدهم أبياتاً من قصيدة لإيليا أبي ماضي التي سماها الطلاسم يرددها أحد معارفه:

جئت.. لا أدري من أين؟ ولكنى أتيتُ

ولقد أبصرت قدامي طريقاً فمشيت

وسأبقى سائراً إن شئت هذا أم أبيتُ

كيف جئت؟ كيف أبصرت طريقي؟ لست أدري؟

إلى آخر هذه الطلاسم..

لكننا رفضنا بإصرار وإجماع هذا الكلام المخالف لحقيقة الدين، وأن الحياة تنتهي إلى فناء حتماً.. وأن الآخرة هي المصير.. ومن أحسن ما قيل ردّاً على هذه الطلاسم قصيدة «فك الطلاسم» من شعر ربيع السعيد عبدالحليم الطبيب المشهور يرد فيها على ما قاله إيليا أبو ماضي من شكوك يقول:

جئت دنياي وأدري، عن يقين، كيف جئتُ

جئت دنياي لأمر، من هدى الآي، جلوت

ولقد أبصرت قدامي دليلاً فاهتديت

ليست شعري! كيف ضل القوم عنه؟! ليت شعري!

obeikandi.com

ليس سرّاً ذا خفاء أمر دنياك الوجود

كل ما في الكون إبداع إلى الله يقود

كائنات البر والبحر على الخلق شهود

ليت شعري! كيف ضل القوم رشداً؟! ليت شعري!

إنها قصيدة طويلة يختتمها بقوله:

أيها الحيران عد حرّاً طليقاً في سرور

فك قيداً من شكوك، من خضوع للغرور

عش سعيداً في رياض من يقين بالنشور

كم دليل مثل ضوء الشمس يهدي! ليت شعري!

أيها الحيران قم فجراً ترى موكب نور

هاتف الأعماق يدعوك لرحمن شكور

قم، وطاوع، عائداً للحق، لله الغفور

قابل التوب ينادي! هل تلبي؟! ليت شعري!

أنا لا أغفل شيئاً من حياتي الماضية

أنا لا أنكر شيئاً من حياتي الآتية

لي ذات هي روحي وهي دوماً باقية

ومقرّي، بعد موت، دار خلد أنا أدري

ليت إيليا أبا ماضي سمعها قبل موته.. ربما كان عاد إلى صوابه.. فقد عاش عمره كله في أزمة إنسانية، وليت هؤلاء الذين

بهرونـا باختراعاتهـم المادية صـرفوا جزءاً من فكرهـم للتأمل في ذات اللّه وقدرتـه، وأنه هو الـذي أعطاهم مواهبهـم التي يتباهون بها، ونحن المؤمنين نؤمن بأن كل شـيء من اللّه وإليه، وننكر مقولة: «اخترع فلان كذا» لأن الصـواب عندنـا وفي الحقيقة هو «هداه اللّه إلى اختراع كذا...».

obeikandl.com

الإيثار

إن الحياة دون القيم الجليلة تفقد قيمتها، والإنسان الفرد لا يمكن أن تترسخ الأبعاد المعنوية الراقية لذاته إلاّ في إطار المجموع العام المحيط به، حتى يصبح الإيثار من أهم صفاته؛ حيث ينكر ذاته، ويؤثر الآخرين بالخير، ويعمل ما استطاع لإسعاد من حوله، مؤمناً بالحكمة المعروفة: «ما استحق أن يولد من عاش لنفسه فقط».

والمجد أن تهدي حياتك كلها للناس، لا بَرَم ولا إقتارُ

وللمعري بيتان جميلان:

ولو أنى حبيتُ الخلدَ فرداً لما أحببتُ بالخلد انفرادا
فلا هطلت عليّ ولا بأرضي سحائبُ ليس تنتظم البلادا

إن الإيثار من المحامد العظيمة التي نالت مكانة كبرى بين العرب قبل الإسلام، وعززها الإسلام أكثر بعد ذلك.

الإيثار هو تفضيل الإنسان غيره على نفسه، وهو عكس «الأثرة» التي هي شحّ الإنسان وحبه لنفسه، والتي تعرف بالذاتية أو الأنانية.

قال تعالى في حق أهل الإيثار: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

لقد جاء الإيثار بأرقى صوره التاريخية، والإنسانية النبيلة في إيثار الأنصار للمهاجرين على أنفسهم عند الهجرة مع رسول الله ﷺ في كل شيء، فقاسموهم ديارهم وأموالهم، وكثيرة الأحاديث والصور

العظيمة لهذا الإيثار النبيل، وفي هذا المعنى قال أبوبكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما مثلنا ومثلكم إلا كما قال طفيل الغنوي:

جزى الله عنا جعفراً حين أزلقت ... بنا نعلُنا الواطئين فزلّتِ
أبوا أن يملونا ولو أن أمنا ... تلاقي الذي لا قوه منا لملّتِ
هم أسكنونا في ظلال بيوتهم ... ظلال بيوت أدفأت وأظللتِ

ولقد كان إيثار العرب قبل الإسلام صفة يتباهى بها الجميع، قال عروة بن الورد:

إني امرؤ عافي إنائي شركةٌ ... وأنت امرؤ عافي إنائك واحد
أتهزأ مني أن سمنت وأن ترى ... بوجهي شحوب الحق والحق جاهد
أقسّم جسمي في جسوم كثيرة ... وأحسو قراح الماء، والماء باردُ

ولقد ظهر الإيثار العظيم بأسمى صوره في الغزوات، والفتوحات الإسلامية وما هؤلاء الشهداء الذين لقوا ربهم دفاعاً عن دينهم، وإيثاراً لنبيهم الحبيب، وفداء له ولإخوانهم معهم في المعارك إلاّ أرقى صورة من صور الفداء والتضحية والشجاعة والإقدام، وكلها يجمعها «الإيثار».

ومن أمثلة الإيثار العظيم ما نقل عن عبدالله بن مسعود أنه قال: «كنا في غزوة بدر كل ثلاثة منا على بعير، كان عليّ وأبو لبابة زميلي رسول الله ﷺ فإذا كان عقبة النبي ﷺ قالا: اركب يا رسول الله، حتى نمشي عنك، فيقول: «**ما أنتما بأقوى على المشي مني، وما أنا بأغنى عن الأجر منكما**». ما أعظمك يا رسول الله! نموذج مثالي في كل الأعمال، وليس لك مثيل في أعظم الأخلاق.

إن الإيثار هو تقديم الآخرين على الذات، وتفضيلهم على النفس، وهو بذلك غاية نبيلة تؤدي إلى زوال الأنانية، وتوثق الروابط بين الأفراد والمجتمعات؛ ما يرتقي بقيم الحياة كلها.

والإيثار هو الكرم الحقيقي النابع من عمق الإنسان، فهو كرم لا رياء فيه، ولا تظاهر به... بل هو دفع النفس والمال دون مطالبة لذلك.

ومن مؤكدات أهمية الإيثار ما جاء في قوله ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»، وهو بذلك عمدة العقيدة، ودعامة الأخلاق النبيلة.

ما أروع إيثار هذا الشاعر النبيل الكريم حين قال:

سأقدحُ من قِدري نصيباً لجارتي وإن كان ما فيها كفافاً على أهلي

الإيثار تحرك نفسي قوي داخل الإنسان، يشعره بالسعادة العميقة، ويدفعه لتحقيقه إحساساً صادقاً باللذة النظيفة، وهو يؤثر غيره على نفسه بأي صورة من صور الإيثار، ولهذا قسم علماء النفس العطاء إلى ثلاث مراتب: أولها، السخاء وهو أن يعطي المرء بعض ما عنده ويُبقي بعضه الآخر وثانيها، الجود وهو أن يعطي المرء الأكثر ويبقي لنفسه الأقل وثالثها، الإيثار وهو أعلاها لارتباطه بالحاجة، وفي ذلك قال أحد العلماء: «والذي قاسى الضرر وآثر غيره على نفسه فهو صاحب إيثار» كما سبق قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

إن الإيثار بصوره الأخلاقية الراقية، ودوافعه الإنسانية الصادقة هو من أهم القيم الأخلاقية التي يمكن أن تقوي العلاقات بين كل أبناء المجتمع؛ لأن عظمة الإيثار تتمثل في تقديم الآخرين على الذات، وهذا التقديم للآخرين على حساب النفس لا يكون إلاّ عند ارتقاء تلك النفس إلى غاية الكرم، وغاية التضحية، وتحقيق ذلك الارتقاء ليس بالأمر الهين، بل إنه لمّا يشق على النفس القيام به، وذلك لشدة نظرها إلى ذاتها.

إن الجهد الشاق الذي تكابده النفس الإنسانية لدى ممارسة هذا الفعل الأخلاقي هو الذي جعل الإيثار من أسمى الصفات، وأطيب العلاقات بين الناس.

لقد أحس بعض المصلحين ودعاة الخير بخطورة غياب القيم من المجتمع، وما ترتب على ذلك من الانشقاق والتصدع الذي ينتهي إلى التفكك والدمار، فدعوا إلى التحلي بالقيم الأخلاقية الراقية، ومن أول ما طالبوا بالتحلي به والعمل بمقتضاه هو فضيلة الإيثار، ودعوا إلى تعهد النفوس الإنسانية بهذا الخلق العظيم. بل جاء الإيثار في الدعوة إلى بناء المجتمع والارتقاء به مع العلم والترقي، فقال الشاعر:

إذا لم نشد بالعلم صرحَ فخارنا — بالعزم والإيثار فاستعظم الذنبا

حق الجار والجوار

من حقوق الإنسان التي يؤكدها دستور الإسلام، وتؤكد عليها قوانينه سواء في القرآن الكريم أم السنة النبوية المطهرة ما جاء بشأن حق الجار على جاره.

آيات كثيرة حددت الحقوق الإنسانية للجار.

قال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ﴾ [النساء: ٣٦].

حقوق إنسانية لعدد كبير من الناس بعد عبادة الله وتوحيده ومنهم الجار سواء الجار القريب نسباً أو القريب سكناً، ويؤكد هذا الحق الإنساني قول الرسول ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره**».

وقال ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذِ جاره**» وورد عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، إن لي جارين، فإلى أيهما أهدي؟ قال: «**إلى أقربهما منكِ باباً**».

وقال رسول الله ﷺ: «**ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه**» وتتواصل وصايا الحبيب المصطفى بالجار.. وتؤكد حقوق الجوار، كما لم نعرفه في أي تعاليم قديمة أو حديثة.. قال ﷺ: «**والله لا يؤمن، والله لا يؤمن.. والله لا يؤمن!** قيل: من يا

رسول الله؟ قال: «**الذي لا يأمن جاره بوائقه**» (البوائق: الشرور).

ويحدد الحبيب المصطفى ﷺ حدود الجوار ومساحة الجيران، قال: «**كل أربعين داراً جيران من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله**». ويفصّل الرسول المصطفى ﷺ الرحمة المهداة للإنسان ما الحقوق الإنسانية للجار على جاره حين يقول: «**حق الجار إن مرض عدته، وإن مات شيعته، وإن افتقر أقرضته، وإن أعوز سترته، وإن أصابه خير هنأته، وإن أصابته مصيبة عزيته، ولا ترفع بناءك فوق بنائه فتسد عليه الريح، ولا تؤذه بريح قِدرك إلاّ أن تغرف له منها**».

هل في أي نظام قديم أو حديث أو في أي قانون من قوانين حقوق الإنسان ذكر هذه الحقوق أو حتى واحداً منها للجار والجوار.. ما أعظم شريعة الإسلام.. ما أرقى الإنسان عند الله، وما أكرمه في كل حالاته! فهو إنسان.

الجار من نعم الله تعالى.. قال رسول الله ﷺ: «**من سعادة المرء المسلم: الجار الصالح**»، وقال ﷺ: «**اللهم، إني أعوذ بك من جار السوء في دار المقامة**».

وقال ﷺ: «**من أحب أن يحبه الله ورسوله فليصدق الحديث، وليؤدِ الأمانة، ولا يؤذِ جاره**»، وقال: «**ما آمن من بات شبعانَ وجاره جائع وهو يعلم**»، وجاء في الأثر: «**الجار قبل الدار، وقبل الرحيل**»، وورد أيضاً في الأثر: «**خير الأصحاب عند الله تعالى خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله تعالى خيرهم لجاره**».

وقال ﷺ: «**يا نساء المسلمات، لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة**» والفرسن: الحافر من البعير، والشاة، والمراد لا تمتنع جاره من الصدقة والهدية لاستقلالها واحتقارها للموجود عندها، بل تجود بما تيسر عندها لجارتها، ولو كان قليلاً، وورد عنه ﷺ أنه قال: «**لا يمنعن جار جاره أن يغرس خشبة في داره**».

هذه حقوق الإنسان في الإسلام فيما يخص الجار والجوار... ونحن اليوم ربما لا يعرف بعض سكان الحي المتجاورون بعضهم؛ وكأننا لم نعرف الحدود التي علمنا إياها الحبيب المصطفى، وهي أربعون داراً وجاراً من كل جانب.

وهناك أمر آخر يجب التشديد عليه في حقوق الجار بصفته إنساناً له مقومات إنسانية من الاحترام والراحة بصرف النظر عن جنسيته أو مذهبه أو حتى دينه.

لو أن المسلمين أدركوا قيم ديننا في كل شؤون الحياة، ومنها البر بالجار لما جاءت هذه الخصومات والنزاعات بين الجيران، وما حدث ما يشكو منه بعض الجيران من جيرانهم من تطاول عليهم وإزعاج لهم، وعدم مراعاة حرمة الجوار لهم.

لقد قرأت لزعيم كبير غربي مقولة جاء فيها: «**إن ديناً يوصي، بل يفرض على أتباعه ألاّ يناموا شباعاً وأحد جيرانهم لا ينام جوعاً**»، ويختم حديثه الطويل بالقول: «**دين هذه أحد واجباته المفروضة علينا أن نحترمه ونُجِلّه**».

ولنتذكر جميعاً أن الإسلام دخل أقطاراً كثيرة بسبب تعلق المسلمين بقيم دينهم وإني لأرجو ألاّ تكون حال بعض المسلمين اليوم

كما قال المفكر الإسـلامي العبقري الشـيخ محمد عبده، حينما عاد من رحلته الأوروبية: «وجدت إسلاماً ولم أجد مسلمين، وهنا وجدت مسلمين ولم أجد إسلاماً».

يا أيها الجيران، اتقـوا الله، والتزموا بتعاليم ديننا، وأدّوا حق جاركـم، وكامـل حقـوق كل جيرانكم؛ حتـى تحققوا مـا أوجب الله تعالى عليكم.

obeikandl.com

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾

يكـذِّب بالديـن.. لا يعمـل وفق ما جـاء فيه، لا يلتـزم بما دعا الإسـلام إلى العمل به والتمسـك بأوامره، ومن يكـذب بالدين فهو خارج عن حوزة الإسلام حتماً.

وليسـ الخروج عن الإسـلام إلى ديانة أخرى هـو كل التكذيب بالديـن.. ولكـن التكذيـب بالدين هـو كل رفض وإنـكار وترك لكل مـا أمر اللّه به عباده المسـلمين.. هم مسـلمون.. لكنهـم لا يعملون بالإسـلام، هم مسـلمون، لكنهـم لا يلتزمون بحقائق الإسـلام هم مسـلمون، ولكنهم تاركون لـه عمليّاً، وسـلوكيّاً، وأخلاقيّاً، وقد قال أحـد المفسـرين: «إن حقيقـة التصـديق بالدين ليسـت كلمة تقال باللسان، إنما هو تحول في القلب، يدفعه إلى الخير والبر بإخوانه في البشـرية المحتاجين إلى الرعاية والحماية، واللّه لا يريد من النـاس كلمـات إنما يريد معها أعمالاً تصـدقها، وإلا فهـي هباء لا وزن لها عند اللّه ولا اعتبار».

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾ .. فصَّـلَ اللّه تعالى ذلك في هذه السـورة القصـيرة عدداً في آياتها، الكبيرة الشاسـعة في جوانبها الإيمانية، ووضح سبحانه وتعالى لنا مَن هم أنواع المكذبين بالدين.

ذكـر اللّه تعالى «الكذب» بمشـتقاته الكلاميـة وألوانه العملية مئتـين واثنتـين وثمانين مرة في القـرآن، وأوجب تـرك الكذب على كل عباده ومخلوقاته «معشـر الجن والإنس» فقال في سورة الرحمن

مخاطباً لهم: «إحدى وثلاثين مرة» قائلاً لهم مستنكراً نسيانهم ونكرانهم لنعم الله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٣].

فمن هم الذين يكذبون بالدين؟ هم بيننا كثيرون.. هم حولنا لا يهدؤون أولهم: ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ [الماعون: ٢]. فمن اليتيم؟ هو الصغير الفاقد الأب من الإنسان.

معانٍ كثيرة إنسانية واجتماعية لليتم، تجعله يشمل ألواناً مختلفة من اليتم؛ حتى سميت الجمعة الأخيرة من شهر رمضان الجمعة اليتيمة.

وقد ورد ذكر اليتيم بالمفرد والجمع ثلاثاً وعشرين مرة منها:

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٢٢٠].

﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضحى: ٩].

﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ﴾ [الفجر: ١٧].

﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ [الماعون: ٢].

كثيرون هم اليتامى في كل المجتمعات، وأوجه العطف على اليتامى، كما أمر بها الله تعالى كثيرة: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ﴾، لا تقسوا عليه بالعمل أو القول ﴿يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ إطعامهم وإيواؤهم، الإنفاق عليهم بصور الحاجة، إصلاح حالهم، وحسن المشاركة لهم على حسن تربيتهم، العدل معهم في مستحقاتهم كلها صور نبيلة حثت عليها تعاليم الدين.

وهناك من التوصيات النبوية العظيمة ما يحملنا على الاهتمام باليتامى وكم هو الجزاء العظيم لذلك؟ قال ﷺ: «**خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يُحسَن إليه، وشرّ بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يُساء إليه**».

وقال: «**أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا**» وأشار بالسبابة والوسطى ومزج بينهما.

وقال ﷺ: «**من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين وضم أصابعه**».

وقال ﷺ: «**والذي بعثني بالحق لا يعذب الله يوم القيامة من رحم اليتيم، ولانَ له الكلام، ورحم يتمه وضعفه**».

كل هذا تؤكده الآية الكريمة من سورة الضحى، التي خاطب الله تعالى نبيه مبيناً له أنه ما ودّعه ولا تركه، وذكر نعمه العظيمة عليه وأولها وأجملها: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ﴾[الضحى: ٦].. من هنا كان العطف على اليتيم بكل ألوانه من أعظم الأعمال أجراً عند الله.

هذه هي شريعتنا الإسلامية الغراء.. لم تترك شيئاً إلاّ وحددت موقفنا منه.. ودعت إلى ضرورة التمسك به.. وبينت أن تركه خروج عن حقيقة الإسلام وإنكار للدين.

إنها قيم أخلاقية عظيمة يجب ألاّ تصرفنا هموم الدنيا ومشاغلها عن القيام بها وتحقيق شرعة الله فيها.

إني لن أملّ من الحديث عن القيم العظيمة التي تغيب عن بعض الناس، وخاصة من يتسنّمون منابر الوعظ والإرشاد والتوجيه،

ويقيمون مدى تمسك الآخرين بالدين في مظاهر شكلية لا تصل إلى عمق القيم، كما هي واجبة في الإسلام.

لقد سمعت من أحدهم شماتةً بإنسان رآه حليق اللحية، وما درى محدثي أن هذا الإنسان الذي عاب عليه ترك شيء من السنة أنه من أكثر الذين ينفقون على الفقراء واليتامى دون أن تعلم شماله ما أنفقت يمينه إخلاصاً منه في ذلك.

ديننا تميز بهذه القيم، ونحن مطالبون بالتمسك بها تمسكاً حقيقيّاً بأصول ديننا، فالله لا ينظر إلى صورنا، ولكن ينظر إلى أعمالنا.

obeikandi.com

فلنجعل الصبر ديدننا

أمر إلهي حتمي لكل المؤمنين في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

قيم عظيمة مرتبطة كلها بالصبر، ومنها المصابرة، والمرابطة والتقوى التي هي طريق الفلاح، وكأن تقوى الله لا تكتمل إلاّ بالصبر، والفلاح في الدنيا والآخرة لا يتحقق إلاّ بالصبر والمصابرة التي هي الثبات على الحق.

الصبر صفة من أقوى الصفات لزوماً ومعاناة، وهو من أسمى قيمنا الأخلاقية زينة وحسناً والتزاماً.

الصبر هو دوام ترويض النفس على الاستقامة ومشاقّها، والصبر على المصائب وآلامها، وعلى المنهيات والشهوات ولذاتها.

لن تثبت قيمة من القيم العليا في الإنسان إلاّ إذا كان صابراً.. فالصبر من أكبر الأخلاق حجماً ومراعاة ومعاناة، يمتنع به الإنسان عن فعل ما لا يحسن، ولا يجمل وقبل ذلك يصبر أكثر على ما يجب أن يكون عليه.. نحن نصبر على الصيام بإخلاص مع شدة المعاناة والجوع والعطش (أحياناً).. نصبر على البر بالوالدين ورعايتهما مهما كان حالهما المادي أو المعنوي، نصبر على مشقة الإخلاص في العمل وحسن الأداء مهما كان صعباً؛ حتى لا نكدر رزقنا الحلال

بشـيء من الحـرام إذا أهملنا شـيئاً من واجبات العمـل، أو تركناه دون عذر قهري.

على الإنسـان أن يوطن نفسـه على الصـبر بشدة وعزم ويقين ورضـا دون جزع أو ملل أو كراهية وسـخط، فإن ذلك يشـوه جمال الصبر، ويذهب بعظيم أجره.

وقد ورد في الأثر: «**عجبـاً للمؤمن؛ كل أمره خير: إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له**».

ويقول الشاعر:

تصبّر ففي الإرواء قد يُحمد الصبر ولولا صروفُ الدهر لم يُعرف الحُرّ

وقال آخر:

ثلاث يعزّ الصبرُ عند حلولها ويذهـل عنها عقـلُ كل لبيب
خروجُ اضطرار من بلاد تحبّها وفُرقـة إخـوان، وفقد حبيب

وللصـبر مواطـن كثيرة في حياتنـا. فنحن مطالبون بالصـبر عند الكوارث والمحن والمـوت، والمرض ومأجورون عليه، ولهذا كانت التعازي هي دعاء لأهل الفقيد: «**عظم الله أجركم، وألهمكم الصبر والثبات**».

وقال البحتري:

تعزَّ بالصبر واستبدل أسى بأسى فالشمس طالعةٌ إن غُيب القَمرُ

ماذا يحتاج الصـبر منا لنكون بحق من الصابرين، وما جزاء هذا الصبر إذا تحقق..

يحتاج الصبر إلى إيمان ثابت، وعزيمة قوية، ورباطة جأش عند الأمور التي تحتاج منا إلى صبر، دون أن يضعف الشيطان بوساوسه هذه العزيمة؛ قال تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وأجر ذلك عند الله عظيم.. ليست مكافأة مالية أو شهادة تقدير تمنح للصابر في احتفال؛ إنما هي الجنة خير الجزاء للصابرين، وناهيك بالجنة.. الحديث عنها لا ينتهي: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤]، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ﴾ [الفرقان: ٧٥]، ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٢].

وهنا نحن في حاجة إلى توفيق الله لنا بالثبات على الصبر، ومكابدة الشعور بالضعف: ﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرًا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا﴾ [البقرة: ٢٥٠].

(صبروا، تصبروا... نصبر... اصبر... صابروا... ما أصبرهم... اصطبر... الصبر... الصابرين... الصابرات.... صبار) مئة وثلاث مرات تكررت فيها صور الصبر لمختلف الضمائر والأسماء في كتاب الله الكريم والحث على الالتزام به..

الصبر للمنافحين عن حرية أوطانهم محقق لنصرهم وفوزهم..

- الصبر للطالب المجد حتماً سيصل به إلى الفوز.
- الصبر على المرض والمعاناة، مستعيناً بالله راجياً عفوه سوف يتحقق له الأجر وبإذن الله الشفاء.
- الصابر على أداء العمل إخلاصاً كاملاً سوف يبارك الله له في رزقه، ويحقق له البركة في حياته.

obeikandl.com

- الصابر على إيذاء بعض الناس سينال خير الجزاء من الله تعالى.
- الصابر على ضيق الرزق والمعاناة في العيش مستعيناً المرء بالله سوف يتحقق له الخير حتماً بفضل الله.
- الصبر سمة المؤمن المخلص، الواثق من قدرة الله على تحقيق كل ما يصبر عليه: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٦].

نحن منفذون لأوامر الله تعالى في الصبر:

- ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥].
- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ﴾ [القصص: ٥٤].
- ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٥].
- ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ١٢٠].
- ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: ١٢].
- ﴿فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾ [مريم: ٦٥].

وفي الصبر قال رسول الله ﷺ: «**ثلاث من رزقهن فقد رزق خير الدنيا والآخرة: الدعاء في الرخاء، والرضا بالقضاء، والصبر عند البلاء**».

وقال علي رضي الله عنه: «الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له».

وقال محمد بن على بن الحسين: «الصبر صبران: فصبر عند المصيبة حسن جميل، والصبر عما حرم اللّه أفضل».

وقال الشاعر العربي:

إذا ما أتاك الدهر يوماً بنكبة فافرغ لها صبراً وأوسع لها صدرا
فإن تصاريف الزمان عجيبة فيوماً ترى يُسراً ويوماً ترى عسرا

اللهم، اجعلنا من الصابرين بحق، الثّابتين على عبادتك برضا وصدق، واصرف عنا نزع النفس والشيطان، واستعجال أداء الأمور، وثبت أقدامنا على الحق والصبر، والإيمان.

حقّاً.. ما أعظم هذه القيمة العظيمة من قيمنا الرفيعة، التي لو التزم بها المسلم حقّاً لهانت عليه كل أموره، وسهلت له كل مطالبه.

obeikandi.com

التعاون

دستور كامل المواد في موسوعة التعاون جاء في قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢]، وقوله ﷺ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً**». فهو بحق تشبيه رائع؛ تكون اللبنة وحدها ضعيفة يسهل كسرها، ولكنها مع أختها في الجدار تصبح شيئاً صلباً يستعصى على الجبارين أحياناً، وكذلك الجدار إلى الجدار.

التعاون من أهم أسس بناء المجتمع الإسلامي، والعمل على إيجاد مجتمع فاضل يتجلى فيه الخير والصلاح، وأول مظهر لهذا المجتمع القوي وجود رأي عام يتعاون فيه الجميع على الخير ودفع الشر.

التعاون الاجتماعي يوجب الذود عن الأخلاق والقيم العليا، ويوجب على الرشيد أن يهدي الضال، وعلى العالم أن يعلِّم الجاهل، فتكون الجماعة في فضيلة ظاهرة التعاون على الخير، ولا تتعاون على شر أبداً.

إن جلائل الأعمال الكبرى لا تتحقق إلاّ عن طريق العمل الجماعي المنتظم المتعاون بخلاف العمل الفردي، فإنه في الغالب لا يثمر إلاّ أعمالاً ضعيفة مثل طاقة الفرد؛ لأن الارتباط بالجماعة والتعاون معها يضاعف مقادير القوة؛ لأن القوة المجتمعية تصمد أمام القوى الأخرى المعادية، ونعلم جميعاً الحكمة الصادقة: «إن يداً إلى يد قوة، وحجراً إلى حجر بناء».

التعـاون لا بد منه.. إذ هو من أقدم وأهم الصـفات الإنسـانية الضـرورية لحياة الناس.. ولا مفر من الالتزام به.. كل أعمالنا حتى شربة الماء لن تتحقق إلاّ إذا كان هناك تعاون بين مجموعة من الناس.

وليس التعاون في الأعمال المادية، ولا المشاركات العملية، بل هو تعاون في كل صـور وجوانب الحياة.. لكل الناس دون اسـتثناء، وهو تخلص من الأنانية المفرطة التي تقيس الأمور العامة من زاوية النفع الذاتي الخاص.

التعاون بكل صـوره يمثل قيمنا: عمـل الخير: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾.

والتعـاون علـى بناء المجتمـع، وتعاون على دفع الظلم ونصـرة المظلومـين.. وتعاون على تنفيس الكروب ونجـدة المأزومين، وتعاون عند الشدائد للمكروبين: «**من نفّس عن مسلم كربة في الدنيا نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة**».

التعـاون.... هـذا الخلق الإسـلامي العظيـم الذي يدعـو إليه الإسلام يشـتمل على عنصر المشـاركة الوجدانية والمساعدة المادية والمعنويـة، ويعبر عن حقيقـة الأخوة الإيمانية في الواقـع التطبيقي، ويبرز المعاني العظيمة للوحدة الإنسانية من التعاون في صوره الراقية تيسيراً على المعسرين، وحل مشكلة ذوي الحاجات من أفراد المجتمع.

ولقد ضـرب العرب والمسـلمون صـوراً رائعة للتعـاون الواقعي الحقيقـي العملـي.. وكان منـه التناصـر، والتحالـف في صـورته الاجتماعية الكبرى.

ويأخذ التعاون صوراً أخرى كثيرة لا مجال لحصرها الآن، ومن أبرزها التعاون في محيط الأسرة التي هي الصرح الاجتماعي والأساس الثابت لبناء المجتمع، ويكون التعاون الأسريُّ بتوزيع المسؤوليات على كل أفراد الأسرة.. فالرجل راعٍ ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها، وهي مسؤولة عن رعيتها.

وكذلك حق الأبناء على الوالدين عناية وتنشئة، يقابله حق الوالدين على الأبناء برّاً وإحساناً، ثم ترابط الأسرة وصلة ذوي القربى.

ومن أهم صور التعاون قوة العلاقة وصدقها بين الزوجين وتعاونهما في تربية الأولاد، إذ يبدأ حق الأولاد على آبائهم قبل وجودهم، وذلك ببذل الجهد في اختيار أمهاتهم عملاً بتوجيه الحبيب المصطفى ﷺ: «**تخيروا لنطفكم؛ فإن العرق دساس**».

والتعاون واجب في صورة الإنفاق على الأولاد، والرحمة بهم، والإحسان إليهم وتعليمهم أمور دينهم وتربيتهم تربية تمكنهم من الإسهام والتعاون في كل نافع ومفيد.

ويمتد التعاون إلى كل جوانب المجتمع، وذلك بالتعاون في الذود عن الأخلاق والفضائل، ونشر الأمن والطمأنينة، والوقوف ضد الفتن والدسائس، وجميع صور النهي عن المنكر، إن التعاون الإنساني النبيل في رعاية الفقير واليتيم من أجمل صور التعاون الأخلاقي الذي دعا إليه الإسلام، بل كل الديانات السماوية السابقة.

وما أصدق قول الشاعر:

وما المرء إلاّ بأعوانه كما تقبض الكفّ بالمعصم

ولا خير في الكفّ مقطوعة ولا خير في الساعد الأجذم

قيمنا قيم سامية راقية، لو عرفها غير المسلمين عنا نحن المسلمين لشاع دين الله في كل مكان حبّاً لهذه القيم في عظمتها وتفردها.

obeikandl.com

التفاؤل ثقة بالله فلا للتشاؤم

التفـاؤل علامة كـبرى للثقة بالله، ويقين بأن كل شـيء يحدث للإنسان المؤمن هو خير.

المتفائل يؤمن بالله، ويتوكل عليه في أعماله كلها، يدرك أن الله يعلم، ويقدر ما فيه خير العبد دائماً.

ما أجمـل أن يكون الإنسـان متفائلاً، مترقباً دائماً للمسـتقبل الجميل المشرق، إن الإنسان المتفائل هو من يلقى الناس بما يحبون، وما يحب أن يلقاه الناس به، والعرب تقول: «حُسن اللقاء أفضل من العطاء» ويعني به أن لقاء بالتفاؤل والبشر أفضل من الزاد والعطاء.

التفاؤل بُعد عن التواكل والاستسلام، إنه يدعو إلى العمل الجاد المقرون بالتطلع إلى ما هو أحسـن، دون ترك الأمور رهن الحظوظ، بل إن المتفائل ينظر إلى المستقبل دون خوف منه أو جزع.

ومهمـا لاقى المتفائل من عقبات ومصـاعب في حياته، فإنها لا تضعف قدرته، ولا تفت من عزمه؛ لأنه يثق أن الله لا يأتي لنا إلاّ بما هو في صالحنا.

الإنسـان المتفائل حقّاً لا يسـتعجل حدوث ما يرجـو؛ لأنه يبذل جهـده واثقـاً أن مع الجد حسـن الجزاء، وقد ثبت تـلازم الفأل مع الأمل دائماً عند من يثق في الله، والأمل دافع لصاحبه إلى أن يعيش بروح التفاؤل والأحياء السعداء، وشاعرنا العربي يقول:

obeikandi.com

أعلّلُ النفس بالآمال أرقبُها ... ما أضيقَ العيش لولا فسحةُ الأمل

ومن أجمل قصص التفاؤل وطول الأمل والثقة في الله ذلك الذي نقل عنه في تراثنا العربي أنه قال: «لقد سألتُ الله حاجة منذ أربعين سنة ما قضاها، ولا يئست منها، فسأله أحد أصحابه: ما هي؟ قال: ترك ما لا يعنيني».

إن التفاؤل يدفع بهمةٍ للعمل، ويحفز بقوة على الجد، ويبعث على النشاط، ويدعو المتفائل إلى عمل الخير، وعدم القنوط أبداً.

التفاؤل مأمور به في ديننا الإسلامي، وكان رسول الله ﷺ يقول إذا أعجبته كلمة: «**أخذنا فألنا من فيكَ**»، ويدعو دائماً إلى أخذ الأمور من جانبها الإيجابي، والتغاضي عما فيها من سلبيات.. والمتفائل يقول: الكأس مملوء إلى نصفه، والمتشائم يقول: الكأس فارغ إلى نصفه، وفي أمثالنا الدارجة نقول: «كل امرئ يلاقي ما تفاءل به».

كانت إحدى قريباتي كبيرة السن مقعدة كفيفة البصر تقول لي: «انظر نعم الله عليّ ها أنا بذاكرتي وبسمعي وبقدرتي على أن أؤدي شعائر ديني وشكر ربي أسعد من غيري كثيراً»، وتقول: إن الإنسان لا يعرف نعمة الله عليه إلاّ حين يرى من هو دونه محروماً من نعم هو يتمتع بها، ومن فرط تفاؤلها وثقتها في الله تقول: إني عاجزة عن شكر ربي، فلقد اختار لي ما أنا فيه، وادخر ما حرمني منه زاداً ونعيماً يوم القيامة رحمة منه، وليس بعملي.

التفاؤل هو عين الثقة بالله، والمتشائم غير واثق من نعم الله وخيره عليه... بل هو دائماً ساخط منكر متذمر ضائقة عليه الدنيا، وفي هذا المعنى يقول إيليا أبو ماضي:

أيهذا الشاكي وما بك داء كيف تغدو إذا غدوتَ عليلا
إنّ شر الجناة في الأرض نفسٌ تتوقّى قبل الرحيل الرحيلا
أدركتْ كنْهَهَا طيور الروابي فمن العار أن تظل جهولا
أيهذا الشاكي وما بك داءٌ كن جميلاً تجد الوجود جميلا

المتفائل يحسن دائماً الظن بالله مؤمل من عنده الخير، ففي الحديث القدسي «**أنا عند حسن ظن عبدي بي**».

كل شيء في عين المتفائل جميل، حياته حافلة بالسعادة والهناء، ونفسه قانعة راضية بما هو فيه من سعادات ومنح من الله تملأ حياته.. عبّر عنها الشاعر، فقال:

والذي نفسه بغير جمال لا يرى في الوجود شيئاً جميلا

أما الساخط فهو دائماً حزين متشائم، ضائق الصدر:

كل من يجمع الهموم عليه أخذته الهموم أخذاً وبيلا

وهذا الشاعر المتفائل ينصح قائلاً:

كن هزاراً في عشّه يتغنى ومع الكبل لا يبالي الكبولا

لا غراباً يطارد الدود في الأرض وبوماً في الليل يبكي الطلولا

حقّاً.. إنه إذا آمن الإنسان بيقين وجد أن الدنيا أمامه حلوة خضرة، وأدرك أن عليه ألاّ يضيع ذلك منها، وأن يسعد بحلاوتها،

ولا يتعـذب بما قد يتوهـم أنه مرارة في أحداثهـا ومواجعها، وعنده اليقـين بأن حياته في الآخرة حياة سـعادة مع مـن ينعم الله عليهم برحمته ورضوانه.

لهـذا جـاء التفـاؤل من أبـرز قيمنـا الإسـلامية، نابـذاً للتطير والتشـاؤم، مبعداً كل البعد عن دجل العرافين، فقد قال رسولنا ﷺ في هذا المعنى: «**لا عدوى ولا طيرة**» كما قال ﷺ : «**ليس منا مَن تطيّر**».

المسـلم الحق مطمئن، فرح النفس، قرير العين، يرى مسـتقبل أيامه مشـرقاً وأفضـل من حاضـره، أما مهتز الإيمان فإنه في نكدٍ دائم، وغمّ مستمر، وهمّ لا يفارقه؛ لأن ظنه بالله غير سوي.

Obeikandl.com

إصلاح ذات البين

كثيرة هي القيم الإسلامية التي تجعل الحياة سعيدة، والأوطان آمنة، وتحقق الحب والتآلف، وتؤكد حسن التعامل وقوة الارتباط والتكاتف، وهي بتأصلها تمنع تفسخ المجتمع، وتحمي لبناته من التصدع، وتقوي أواصره، وتؤكد روابطه، ومن أبرزها وأقواها وأشملها تأثيراً ما نعرفه بقيمة: «إصلاح ذات البين» وهو الذي يزيل الشحناء ويطفئ البغضاء، ويحقق التوفيق بين المتخاصمين، فيعود الإصلاح والوئام والوفاق.

إصلاح ذات البين عمل وسلوك ديني مهم، ولازم اجتماعي حتمي به تنمو المودة وتتحقق الألفة، وما أروع وصف الشاعر لذلك في قوله:

إن المكارم كلها لو حُصِّلت — رجعتْ بجملتها إلى شيئين
تعظيم أمر الله جل جلالُه — والسعي في إصلاح ذات البين

وليس الشاعر مبالغاً في جعل كل مكارم الأخلاق ترجع إلى تعظيم أمر الله تعالى والسعي في إصلاح ذات البين، ففي الإصلاح يعيش الناس آمنين مطمئنين لا خوف يزعزع أمنهم، ولا ظلم يوقد صدورهم، وفي ظل الإصلاح يعيش الناس متعاونين متحابين يساند بعضهم بعضاً في بناء مجتمعهم.

إصلاح ذات البين خلق كبير كريم، جعله الإسلام من أهم دواعي الخير، وهو يداني الصلاة والصوم في الأجر والثواب؛ لما فيه

من تحقيق مصالح كثيرة تؤدي إلى استقرار المجتمع، وشيوع الألفة والمحبة والطمأنينة بين أفراده، وقد جعل الله تعالى من يقومون به من أحسن الناس، قال تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤]، والسنة النبوية الشريفة تؤكد على القيمة العليا لإصلاح ذات البين حتى قال ﷺ: «**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة**» قالوا: بلى، قال: «**إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة**»، ويروى عنه ﷺ أنه قال: «**هي الحالقة.. لا أقول: تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين**»، وقال لأبى أيوب «**ألا أدلك على تجارة؟ قال: بلى، قال: صل الناس إذا تفاسدوا، وقرب بينهم إذا تباعدوا**».

إصلاح ذات البين القضاء على كل صور الاختلاف، والنزاع، والتفرق وما من مجتمع يلتزم بالمبادئ الفاضلة والسلوك القويم المقبول إلا كان مجتمعاً نموذجيّاً قويماً تنعدم أو تقل فيه المشاحنات، وتتلاشى فيه النزاعات، فالفرد في المجتمع يجب أن يلتزم بالانضباط بالقواعد العامة، ويراعي حقوق الآخرين، ويؤدي الواجبات التي عليه، ويقف عند حدود حقه، ولا يعتدي على حقوق الآخرين، ويبادر مجتمعه بنشر السلام وحسن التعامل، وهنا يجمع القلوب، ويؤلف بين الأفراد، ويشيع الصفاء والحب، وينشر الخير والمودة.

قال تعالى مطالباً لنا بذلك كله: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤]، وقال ﷺ: «**ألا أدلكم على ما تحابّون به؟ أفشوا السلام بينكم**».

ما أجمل ثمار إصلاح ذات البين، وما أسوأ فساد ذات البين، ففي هذا الفساد تنمو الكراهية والبغضاء، ويشيع الحسد والحقد، وتنتشر الغيبة والنميمة، وتظهر بل تسود الفتنة وغيرها من آفات الحياة الاجتماعية، وكلها أخلاق حاربها الإسلام، وطالبنا بتجنبها، وجاء في الأثر: «**لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً.. المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى ههنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم.. كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعرضه**» وقال ﷺ: «**أبغض الرجال إلي الله الألد الخصيم**».

إصلاح ذات البين خلق إيماني عظيم، كان رسول الله ﷺ مثالاً رائعاً في إصلاح ذات البين، حتى قبل النبوة، والتاريخ يحفظ له ذلك الخلق العظيم، والإصلاح القويم، ومن ذلك حضوره ﷺ حلف الفضول وغير ذلك قبل حضوره صلح حرب الفجار وعمره عشرون عاماً، ومعروفة قصة وضع الحجر الأسود عند إعادة بناء الكعبة، وادعاء كل قبيلة أحقيتها بهذا الشرف واحتدام النزاع حتى كان يحكمهم أول رجل يطلع عليهم من باب بني شيبة، فطلع عليهم رسول الله ﷺ وتم الصلح بين الجميع بوضع الحجر الأسود في ردائه، واشترك الجميع في رفعه، ووضعه بيديه موضعه الآن، وحسم النزاع الذي كان يمكن أن يتحول إلى حرب ضروس.

كذلك كان إصلاحه ﷺ بين الأوس والخزرج عند وصوله المدينة المنورة بعد الهجرة، وصاروا إخواناً بعد أن كانت العداوة مستفحلة بينهم:

﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

ومواقف أخرى كان إصلاح ذات البين فيها عملاً نبويّاً شريفاً كما كان أيضاً في غزوة بدر وما كن من نزاع بين الشيوخ والشبان، فنزل قوله تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡ ﴾ [الأنفال: ١].

ما أعظم إصلاح ذات البين أثراً في حياة الناس، وما أعظمه أجراً لمن يصلحون، جاء عن النبي ﷺ أنه قال: «**من أصلح بين اثنين استوجب ثواب شهيد**».

ونظراً لأهمية إصلاح ذات البين والحاجة الماسة لجهود المصلحين بين الناس أجاز الرسول ﷺ للساعي في ذلك شيئاً من تجاوز الحقيقة ما دامت الأمور المترتبة على الإصلاح كبيرة، فقال ﷺ: «**لا أعدّه كاذباً الرجل يصلح بين الناس**».

ليكن هناك حذر ممن يحاولون نشر الفتنة في المجتمع، أو بث الخصام بين الجماعات، أو تمزيق أواصر المحبة بين المواطنين، سواء من بعض الجهات الأجنبية المغرضة، أم من الجماعات الداخلية المفسدة، ولنعمل كل جهدنا على إصلاح ذات البين ولم شمل الجميع، وجمع أطراف النزاع؛ ليظل المجتمع آمناً هادئاً سعيداً متحد الكلمة مجتمع الشمل متماسك الأواصر بإذن الله، وتلك والله قيمة عظيمة من قيمنا.

البشاشة

«حُسن اللقاء ولا طيب الغداء».

قالوا:

عليك حسنَ البشر في اللقاءِ فإنّه من سبب الرخاءِ

وقالوا:

أخو البشر محبوبٌ على حسن بشره ولن يُعدم البغضاءَ من كان عابسا

وقالوا:

كأنا من بشاشتنا ظللنا بيوم ليس من هذا الزمان

وقبلهم جميعاً قال رسول الله ﷺ: «**إن تبسمك في وجه أخيك يكتب لك به صدقة**» وورد في الأثر: «**المعروف شيء هين وجه طلق ولسان لين**».

البشاشة ليست خُلقاً مستقلاً، وليست منفصلة عن مكارم الأخلاق، ولكنها لباس يزين الفضائل ومكارم الأخلاق، ووعاء جميل إذا حملت فيه قيم الخير والجمال زادها بهاءً وجمالاً.

تعني البشاشة في أبرز صورها لقاء الناس بالبشر، ومعاملتهم بالحسنى، فالبشاشة تأخذ بمجامع القلوب إذا ارتاحت إلى المتحدث، واطمأنت إليه، ورضيت به.

والبشاشة تبدو على وجه صاحبها، فكأنه مصباح منير، فالوجه السمح البشوش يظل حسنه وبهاؤه حتى مع تقدم العمر بصاحبه،

فالشمائل الحلوة لا تذهبها السنون، ولا تضيع من بشاشتها، بل إنها تزيدها إشراقاً وبهاءً، وتظل تفيض بخيرها على الإنسان مدى الحياة.

البشاشة التي هي السرور والرضا في نفس الإنسان تبدو في السن الضاحكة والوجه الوافر ماؤه، والحديث الجميل، وفي المداعبة والظرف، وتكون في حسن المعاملة، ومداراة الناس، وفي التحية والتودد إليهم والسرور بهم.

والبشر الوجه المشرق هو أول مظاهر البشاشة، وهو أقرب إلى مفاهيم الناس وألصق بعاداتهم، وأسهل في تجاوبهم مع ميل الإنسان بطبعه إلى الأنس ومعاملة الآخرين بالرفق، والقرب إلى نفوسهم.

ومن معاني البشر بشَّرته، أي أخبرته بخبر سارّ، بسط بشره وجهه، وذلك لأن النفس إذا سُرت انتشر الدم فيها انتشار الماء في الشجر، فاستبشر أي وجد ما يُبشره من الفرح؛ لأن البشير هو المبشر.

البشاشة التي هي رد الفعل العملي للبشر، خُلق من أخلاق القرآن الكريم وفضيلة من فضائل الإسلام، وجزء مهم من هدي النبي ﷺ فالمؤمن يجب أن يكون مبشراً بالخبر، مستبشراً به.

وحسن الوجه وبشاشته يشجع على طلب الحاجة، فغالباً ما يكون حسان الوجوه سمحاء مع الناس ودودين باشّين، إذا أعطوا فبنفس راضية، وإذا لم يعطوا ردوا بطريق حسنة لا تنقص من قدر السائل، ولا تُهدر من كرامته.

البشاشة وحسن الوجه مرتبطان بالضوء ارتباطاً وثيقاً؛ فالوجه المضيء غالباً وجه كريم، وصاحبه ذو نقاء وصفاء وسلامة صدر

وقلب طيب، ونقاء قلبه هذا هو مصدر إضاءة وجهه؛ فالخصال الكريمة تنعكس بالبشر الذي ينير الوجه.

وترتبط البشاشة بقيم خلقية كثيرة، لن تذبل أبداً ما دام صاحبها بشوشاً بحق، فبسط الوجه مطلوب عند لقاء الناس واستقبالهم إذا كانوا محتاجين أو غير محتاجين وارتباط البشاشة بالكرم وإقراء الضيف، ليس إلا تتمة لهذه القيم، فالقيم يتمم بعضها بعضاً.

والبشاشة وطلاقة الوجه هما عنوان الضمير ومرآة النفس، ودعوة لتحقيق الأمل وتقريبه، وقيل: طلاقة الوجه عنوان الضمير، بها يستنزل الأمل البعيد.

قال الشاعر:

وما اكتسب المحامدَ طالبوها بمثلِ البشر والوجه الطليقِ

فالوجه الطليق والتبسم عند لقاء الناس من أهم صور ودلالات النفس الطيبة الراضية الصافية، وما الترحيب إلاّ الجانب المسموع والمعلن للبشاشة، وقد أكده الإسلام وحث على الالتزام به؛ لما فيه من تقوية الروابط بين أفراد المجتمع، قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النساء: ٨٦].

ومن آثار البشاشة العملية المشهودة أن البشاشة سبب قوى من أسباب الرزق، إذ يكفى الإنسان أن يكون باشّاً مرحباً حتى يبارك اللّه له، ويرزقه من حيث لا يحتسب.

البشاشة هي مجموع مركباتها والمقترن من القيم العليا بها خلق رفيع وفضيلة حميدة، وخصلة إنسانية تتفق والفطرة السليمة، وتنبع من المبادئ السامية، وهي قيمة رفيعة يتقن فنّها من جُبل على الحلم والصبر والرضا والقناعة، إنها صفة كريمة لا يستغني عنها الفرد، فضلاً عن الأسرة والمجتمع؛ لأنها مفتاح إلى العلاقات الحميمة، تقرب النفوس، وتؤلف القلوب، وتجمع ولا تفرق، وتضفي جواً من الطمأنينة وراحة البال حول صاحبها، ولا سيما إذا أضيفت إليها جملة الأخلاق الأخرى، وتفاعلت معها في جو من الاطمئنان والاستقرار النفسي والاجتماعي.

البشاشة خُلق مهم ولازم لحياتنا، ودلالاته تؤكد صدق وصفا الحب الذي يوثق العلاقات بيننا.

كم هو لازم لسعادة الأسرة أن يدخل الأب متبسماً ببشاشة وجه سعيد بالعودة إليهم، وكم يفرح الطفل ببشاشة أمه وأبيه عند قربه منهما، وكم يسعد الزوجان ببشاشة كل منهما عند لقائه للآخر، وكم يسعد الموظفون حين يلاقيهم المسؤول ببشاشة وجه ورضا وسعادة نفس!... وهكذا.

إني أؤكد لزوم أن نتحلى جميعاً بالبشاشة، ونرسخها في كل سلوكياتنا بصدق وحقيقة؛ حتى لا تذبل مع انعدامها قيمة عظيمة من قيمنا الرفيعة، وآمل ألاّ أرى عابساً متجهماً مقطب الوجه عند حديثه إلى الناس أو لقائه بالآخرين، ومن حرم البشاشة فقد حرم الجمال، وأدعو كما دعا الشاعر بدوي الجبل حين قال:

ويا ربّ حبب كل طفلٍ فلا يرى وإن لجّ في الإعنات وجهاً مقطبا
وهيئ له في كل قلبٍ صبابة وفي كل لقيا مرحباً ثم مرحبا

obeikandl.com

السلام عليكم

السـلام عليكم تحية أوجبها الإسلام عند اللقاء والانصراف، وهي من أبرز الوصـايا التي حث القرآن الكريم والسنة النبوية على الالتزام بها، والتحلي بسماتها.

إن فكرة السـلام يلـزم لاعتناقها فهم عميق، وإدراك واضـح لكُنهِهَـا، وفتـح العقـول لفهم المعـاني الكبـيرة العظيمـة المرتبطة بالسلام، ودوره في الحياة، وأثره الفاعل في الفرد والمجتمع.

السـلام اسـم من أسماء الله الحسـنى؛ لسـلامته من العيب والنقص: «**اللهم، أنت السلام ومنك السلام**»، السلام هو أن يعيش الإنسـان بهناءة وأمان واسـتقرار في مجتمع لا يتعدى فيه أحد على الحقوق، ولا يتجاوز الحدود؛ فيذوق الناس طعم السـعادة الحقيقية في تواصلهم وتراحمهم.. فالسـلام اسم يطلق على حال الاستقرار والأمن، وسـميت الجنة دار السـلام: ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام: ١٢٧]، ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس: ٢٥]، لأنهـا دار السـلامة الدائمة التـي لا تنقطع، ولا تفنى، وهي دار السـلامة من الموت والهرم والأسقام، والهموم.

السلام هو السلم المنشـود لسعادة الإنسان، فكل الرسل والأنبياء دعوا إلى تحقيق السـلام بين البشر، والله تعالى يقول في محكم كتابه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨]، وليس السـلام قاصراً على إيقاف التحارب بين الناس، ولكنه يشمل

صوراً كثيرة من حياتنا، منها سلام الإنسان مع نفسه والآخرين، وعند الدخول والخروج آيات كثيرة، وأحاديث نبوية عدة، ومواقف عملية في سائر الحياة تؤكد لزوم السلام، بل إنه أهم ما يجب أن تكون عليه الحياة لتكون هناك إمكانات تحقيق كل شيء فيها بعد ذلك.

بالسلام والاطمئنان يعبد الإنسان الله بحق واستيفاء.. بالسلام يحيا المرء في وطنه دون قلق أو خوف من ظلم أو إرهاب يفاجئه، ويزعزع استقراره. إذ إن الحياة دون سلام ينتابها الخوف، ولهذا وصف الله نعمته على عباده بقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ﴾ [قريش: ٤].

بالسلام تتعايش الأمم، وتتلاقى، وتتطور المجتمعات، وتزدهر فيها الحياة، ويعم الخير والرخاء، فالسلام يُنهي الحروب التي تأكل الأخضر واليابس، وما أشنع ذلك في الوقت المعاصر!

وحين يشعر الناس بالأمن والأمان يصلون إلي حقوقهم، وتسود العدالة بينهم، ويزول البغي والإرهاب من بين ظهرانيهم؛ لأنه لا حاجة لهم للقتال والاحتراب، هم إلى السلام أحوج، وبالأمن والاستقرار أولى وأقرب.

الإسلام يطلب السلام، ويحث عليه، لكنه يطلبه سلاماً عادلاً كاملاً شاملاً كل مناحي الحياة، فالسلام في الإسلام وحدة متكاملة، ونظام مترابط، والسلام والإسلام متشابهان في الحروف وفي المعنى، فبين الاسمين روابط كثيرة وصلات وثيقة، وإنه ليس أرضى للإسلام في شرعه من سلام ينشر جناحيه على الناس

obeikandi.com

جميعاً؛ ليقيم حياتهم على بساط الأمن والمحبة والعدل، والنبي الكريم ﷺ يقول: «**أنا سلم لمن سالمتم**» يؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٦١].

لكن هناك وقفة بالغة المعنى في السلام، هي أنه يجب ألاّ نرضى بسلام قائم على التنازل من الثابت لحقوقنا في الإنسان والمكان، فليس مثل هذا سلاماً حقيقيّاً كريماً، إنما هو ذل وخضوع، ومهانة وضعف ترفضه كرامة الإنسان.

إن أي أمة تسلب أرضها، وتداس كرامتها، وترضى من المعتدى بالاستسلام له هي أمة ذليلة ضعيفة، وما عليها قبل القبول بالسلام إلاّ السعي إلى اتخاذ أسباب القوة واسترداد المسلوب من أرضها وكرامة الإنسان فيها، وصدق شوقي حين قال:

وعيشوا في ظلال السلم كدّاً فليس السلم عجزاً واتكالا

السلام دأب العقلاء، وديدن أهل الفكر، ومسلك حياة الأغنى وعياً، الأدق نظراً، فقيمة السلام من أعظم القيم، فهي القيمة القوية أثراً تتجلى فيما يعود منها على الإنسان من نفع، وإصلاح شؤون الحياة وكبح جماح النفوس الشريرة... هذه القيمة تحتاج إلى نفوس أبية كريمة تسعى للخير العام، ورغبات الجميع بعيدة عن مطامع الأنا، فما أرخص وأهون الاستسلام الذي تدعو إليه المطامع، الذي سرعان ما ينكشف، وتظهر الحقيقة في أن دعاته ليسوا حقّاً دعاة سلام بقدر ما هم أصحاب مصالح.

إن السلام الحقيقي أمر فطري أوجده الله في النفس البشرية، وليس ثمة إنسان يولد عدوانيّاً، وإنما العداء يكون في النفس نتيجة

obeikandl.com

مؤثـرات خارجية وظـروف محيطة تدفع الإنســان إلى الخروج عن طبيعتــه، حتى يتحــول من ملاك إلى شـيطان رجيم نتيجة شــعوره بالغبن والقهر وتسلط الآخرين عليه.

أقول: السلام هو أول الحياة وبداية كل الخير في الأعمال، وآخر ما يفعله المرء، وينهي به لقاءاته.. عليكم السلام ذلك؛ لأن «السلام تحية أهل الجنة» كما جاء في أثر الحبيب المصطفى، وقوله: «**أفشوا السلام تسلموا**».

إن الســلام قيمة عظمى من قيمنا التي نحيا بها، ونحقق القيم الأخرى بوجودها، فلنكن جميعاً أهل ســلام ومحبة وأمان، ولنتذكر دائماً أن السلام هو الدعاء بالخير والتعبير عن الشكر؛ فنحن نقول لمن أجاد عمله: «ســلمتْ يداك»، والســلام رســالة حـب وتقدير بين الجميع، فنحن نوصــي من ســيقابل أحداً ممن نعرفهم: «إذا لقيت فلاناً فأبلغه مني التحية والسلام».

اللهــم، أدم الســلام علــى بلادنــا، ســلاماً قائماً علــى العدل والإنصاف، سلاماً لا تكدره أطماع حاقدين، ولا أحقاد كارهين.

تقدير الكبير سِنّاً وقَدْراً

يقول مثلنا الشعبي: «من هو أكبر منك بيوم أعلمُ منك بسنة».. قد يكون هذا مبالغة في الواقع، لكنه يدل على أن للكبير منزلة ومعرفة تفوق من هو أصغر منه.

ومن حسن الأدب وطيب السلوك مع الكبار سنّاً أن نجعلهم في مقام الأب؛ إننا نقول لمن هو أكبر منا سنّاً: «يا عمّ يا خال» تقديراً له ولمكانته، واحتراماً لشخصه، كأنه من أقاربنا.

وقد جاء في الأثر ما يفيد ذلك: «**ليس منّا من لم يوقر كبيرنا**».

وقيمنا الإسلامية النبيلة المستمدة من القرآن العظيم، وسنة النبي الكريم توصي بهذا الأمر كل الوصاية، وتطلب من الجميع حتمية تقدير الكبير، ومراعاة مقامه بيننا أيّاً كان موقعه منا.

ومن أمثلة وجوب تقدير الكبار سنّاً.. ما جاء في قصة إخوة يوسف عليه السلام، حين دخلوا عليه، وقالوا: ﴿قَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٧٨]، توضح هذه الآية القدر اللازم من مراعاة كبار السن والشيوخ، وقالوا في موقع آخر: ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [القصص: ٢٣].

والسنة النبوية في تربيتها السلوكية لنا تأمرنا بهذا التقدير العملي والمعنوي للكبار من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «**إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط**».

وقولـه ﷺ: «**ليس منا مـن لم يرحم صغيرنـا، ويعرف شرف كبيرنـا**» إنها تعليمات إيمانية يسـتلزم كمـال التحلي بها تحقيق ما جـاء من توصـيات تؤكد هذه القيم العالية، حتـى إنه عبر عن ذلك بقولـه: «**ليس منـا**»، وقـال ﷺ مؤكداً ذلـك: «**استوصـوا بالكهول خيراً**»، وذلك لازم تجاه تعاملنا مع الكبار سـنّاً.. سـواء في لقاءاتنا الاجتماعية، فنرحب بهم، ونحسن استقبالهم، ونجلسهم على رأس المجلس، ونلتزم بـآداب المجالس عند حضـورهم، والاسـتماع إلى أحاديثهم، وكذلك عدم التكليف بعمل شاق عليهم إذا كانوا يعملون، ولا نلزمهـم بجهـد فوق جهدهـم إذا كانوا معنـا متعاونين، حتى إن الرسـول الكـريم ﷺ أمرنا بمراعاة ذلـك دائماً، فقـال: «**إذا صلى أحدكم للناس فليخفف، فإن فيهم الضعيف والسقيم والكبير**».

وأمـا تقدير الكبـير لموقعه في الحياة، ووظيفتـه في العمل، فإن الاحـترام واجـب على الجميع لهـم.. فباحترامهم تسـير الأعمال، وتنجـز المهمـات، وهم غالباً أهل الخبرة الصـالحة بهـذه الأعمال الموكلة إليهم إدارتها.

أن المفترض أن المدير في وظيفته عارف بلوازم الأعمال المنوطة بموقعـه وعلـى من معـه إذا كان الأمر كذلـك أن يتحلوا باحترامه وتقديره، وتنفيذ توجيهاته فيما يخص العمل الذي يقومون به معه.

وعلى كبـار المسـؤولين في الدواوين والوزارات وجـوب التقدير لهم تقديراً إدارياً وإنسـانياً ذلك لأن المسؤول الذي يسير الأعمال، ويشـرف على الوظائف وفق الحق والقانون علينا أن نسانده، ونسير وفق توجيهات العمل في إدارته.

وفي حديث شريف جاء قوله ﷺ: «**إذا كان أمراؤكم خياركم وأغنياؤكم سمحاءكم، وأمركم شورى بينكم، فظهر الأرض خير لكم من بطنها**».

هذا، وكثير من التوصيات القرآنية والأحاديث النبوية تؤكد ضرورة احترام الأكبر قدراً في العمل، والأعلى منصباً في الوظيفة، حتى تسير الأمور وفق ما وضع لها من تشريعات وخطط وقواعد.

وتقدير الكبير مقاماً هو سلوك اجتماعي جميل، فيشعر الكبير بالجميع معه بالمحبة ووجوب تقديرهم المادي والمعنوي، وكم من إدارات وهيئات عملية تعمل كلها يداً واحدة، وتعطي الأمة عطاءات عملية كل في مجال تخصصها عطاءً وافراً بسبب العلاقة القوية بين أفرادها والكبار فيها... إذ لا شقاق بينهم، ولا نفور في العلاقات الحميمة التي تجمعهم.

وفي ذلك يقول الحبيب المصطفى ﷺ: «**إذا أراد الله بقوم خيراً ولّى أمرهم الحكماء، وجعل المال عند السمحاء**».

إن تقدير الكبير سنّاً، واحترام الكبير وظيفة وموقعاً يجب أن يكون نابعاً من صدق القناعة النفسية عندنا بأننا مطالبون في شريعتنا الإسلامية الراقية بقيم عظيمة نبيلة تحقق أرقى مستويات العلاقات الإنسانية بيننا وبين الكبار سنّاً وقدراً.. ذلك لأن الاستهتار بالكبار استهتار بالآداب الإسلامية، والقيم الأخلاقية، وسوف تتحول العلاقات بين الناس إلى الكراهية والقطيعة، وبالعمل إلى الفساد وضياع الجودة في الأداء.

obeikandi.com

ومع التأكيد على ضرورة احترام كبار السن بيننا سواء من أهلينا أم ممن نلتقيهم ووجوب الالتزام بآداب العمل وتقدير رؤسائه بمختلف درجاتهم، فإنه في المقابل أن يقدم هؤلاء الكبار سنّاً وقدراً ومكانة اجتماعية من حسن التعامل والبشاشة واللطف ما يوجب احترام الآخرين لهم، وبهذا فإن احترام الكبير سنّاً ووظيفة يكون احتراماً قائماً على القناعة بوجوب ذلك دون دافع من النفاق أو التمسح، أو إظهار ما ليس حقّاً أو المبالغة الممقوتة في المدح والثناء، فليس هذا احتراماً بل تملق كاذب، وخداع دون حقيقة وراءه؛ لأن التقدير الحقيقي يخلو من كل ذلك.

إن من هو على قدر كبير من الثقة بنفسه من القياديين وكبار المسؤولين يرفض المديح الزائف، وفي هذا قال ابن المقفع: «إياك إذا كنت والياً أن يكون من شأنك حب المدح والتزكية، وأن يعرف الناس ذلك منك؛ فتكون ثلمة من الثلم يقتحمون عليك منها، وباباً يفتتحونك منه، وغيبة يغتابونك بها، ويضحكون منها، واعلم أن قابل المدح كمادح نفسه».

قيمنا قيم منصفة لكل الأطراف، فلا الجحدان وإنكار الفضل لأهله، ولا التزييف والادعاء مقبول أبداً، ولهذا يقول العرب: «من مدحك بما ليس فيك فقد هجاك بما فيك».

ما أعظم حق الوالدين!

قـرن اللّه تعـالى وجـوب حـق الوالديـن بعبادتـه، حـين قال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، ذلك لأن أداء حق الوالدين من أعظم القيم التي يسـعد بها الإنسان في حياته وبعد موته.

إن الـبر بالوالديـن والقيـام بحقوقهما مقدم علـى الجهاد في سـبيل اللّه، فقـد ورد في الحديـث أن رجـلاً أقبـل إلى نبي اللّه ﷺ فقـال: أبايعكَ علـى الهجرة والجهاد؛ أبتغي الأجـر من اللّه تعالى، قـال: فهل لـك من والديكَ أحد حـيٌّ؟ قال: نعم، بـل كلاهما، قال: «فتبتغـي الأجر من اللّه تعالى؟ قال: نعم، قـال: فارجع إلى والديكَ فأحسن صحبتهما».

وقـال ﷺ: «**رضـا الـرب في رضـا الوالديـن، وسـخـط الرب في سخط الوالدين**».

وقـال ﷺ: «**رغِـم أنـفُ ثم رغِـم أنفُ، ثـم رغم أنفُ مَـنْ أدرك أبويه عند الكبر، أحدهما أو كليهما، فلم يدخلاه الجنة**».

ومـمـا يؤكد خـير الجزاء للأبناء بفضـل برهم للآبـاء ما ورد في الحديث الشـريف قول رسـول اللّه ﷺ: «**انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكـم حتـى آواهم المبيت إلى غار، فدخلوه، فانحدرت صخرة مـن الجبل، فسـدت عليهم الغار؛ فقالوا: إنـه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا اللّه تعالى بصالح أعمالكم.**

قـال رجل منهم: اللهم، كان لي أبـوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبـق قبلهمـا أهـلاً ولا مالاً، فنـأى بي طلب الشجـر يوماً فلم أرح عليهمـا حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما، فوجدتهما نائمين، فكرهـت أن أوقظهما، وأن أغبـق قبلهما أهلاً، فلبثت والقدحُ على يـدي أنتظـر استيقاظهما حتى بـرق الفجر والصبيـة يتضاغون عند قدمي، فاستيقظا فشربا غبوقهما. اللهم، إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك، ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج منه...»، وكان دعاء الآخرين سـبباً في تمام انفراج الصخرة، بأعمال أخرى صالحة لهما.

ومن مظاهر البر ما حكي عن أعرابي مسـلم في هاجرة القيظ وفي منتصـف النهار شاهد والده يهمّ بأن يقضي حاجته في الفضاء على الرمال الملتهبة، فما كان من ذلك الابن إلا أن أسرع خلف والده برفق؛ حتى لا يشـعر به، ووضـع كفيه على الرمل ليمنع أن يتدلى أي من جسمه أو أعضائه على الرمال الملتهبة، ويلتصق فتكويه وتوجعه.

وقال الأب قولة اشـتهرت عند جيلنا: «كل ما عملته لي يا ولدي عملتـه قبلك مع أبي إلاّ هذا الموقف.. فقد سـبقتني، وزدت به علي» فليفرح كل بارٍّ بوالديه بأنه في رضـا اللّه، وسوف يجد من بنيه ومن ذريتـه من يـرد له هذا البر، وليحـذر العاقون من مغبـة العقوق في الدنيا والآخرة.

أمـا الأم فإنهـا البهجـة الباقيـة، والمثوبـة الإلهية الخاصـة، والحديث عنها يحتاج إلى صفحات طويلة.

إن أبهج اللقاءات، وأسعد الاجتماعات هو ما كانت الأم زينته، وكانت الأم سعادته، فليس هناك أجمل ولا أحلى ولا أسعد من وجود الإنسان مع أمه ووجود أمه معه مهما كانت حياتها، ومهما طال عمرها، فإنه لا يشعر بها إلاّ من فقدها، وحرم جنة الحياة معها.

تصرفات عجيبة في عالم الأمومة.. تكشف عن عظيم حبها، وفريد مشاعرها:

- أم تلقي بابنها الرضيع في النهر.. برضا نفس! «أم موسى عليه السلام».

أليس هذا عجيباً.. حقّاً! لكنها الأم التي لم تُقدِم على هذا إلاّ لصالح أيقنت به لابنها، مع مرارة داخلية تعذِّب وجدانها.

- الأمومة نظام إنساني تعلو به مكانة الأم فوق كل مكانة.

وهذا ما يؤيده قول أشرف الخلق والمرسلين لمن جاءه سائلاً عن أحق الناس بصحبته؟ قائلاً له: أمك.. قال: ثم مَن؟ قال: أمك.. قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أبوك..

- الأم هي القمة، هي الشرف الأعلى.. هي الرمز الأسمي..
- هي المجتمع والملتقى.. هي رمز الفخر والتميز في كل شيء..

طويلٌ الحديث عن الوالدين رمزاً ومعنى؛ لما لهما من العواطف ما لا قُدرة لأحد على سبر أغواره، والبر بهما من ألزم القيم الإيمانية التي يجب التمسك بها.

فما من واحد منا مهما كبرت سنه يجلس بجوار أحد والديه إلاّ ويشعر بأنه الطفل الصغير، يتملكه شعور عميق صادق قوي بالحب.. وبالحنان والإشفاق والعطف، عالم آخر نحياه، ونحن بين يديهما.

شعور، وأنت بجوار والديك لا تشعر بمثله أو عمقه، وأنت بجوار أي أحد آخر مهما كان قربه.

خص الله الوالدين بهذه المكانة السامية، وميزهما بهذا الشعور النبيل الصافي.. حبهما الذي لا يدانيه حب آخر وصفه الشاعر قائلاً:

حبٌّ طهور لا يشوب نقاءَه كدرٌ ولا تطغَى عليه حقُود

وبعد ... هل يظن القارئ أني أتحدث عن أمر بدهي يعرفه كل الناس؟ قد يكون الأمر كذلك عند الكثيرين.. لكننا في زمن رأيت أن الحقائق قد طمست عند بعض الناشئة.. وأنا حين أذكر الوالدين بدورهما العظيم.. وأتحدث عن شعورهما الحميم فإني أريد أن يعيه الأبناء بوضوح، فيقدرون والديهم حق قدرهما.

وهكذا الحديث عن الوالدين كثرة ما يملأ النفس من مشاعر الوفاء، والولاء لهما. حديث ممتع لا يمل المرء سماعه، ولا يشعر بأطيب منه؛ فلنجعل كل أيامنا أيام احتفاء بالأم، وليس يوماً واحداً، ويوماً واحداً للأب؛ فهما يكرماننا، ويفرحان بنا، ويدعوان لنا، ويحنوان علينا طوال عمرهما.

ومما هو جميل دال على سمو قيمنا في هذا الشأن أن الأبناء كثيراً ما يتنافسون في الرغبة في احتضان والديهم عند كبرهما، والقيام بما يمليه واجب البر بهما، وكل منهم في منزله لكنه دائم الرغبة في إقامتهما معه.. حبّاً لهما.. ورغبة في الفوز برضا الله عنهم لذلك.

وللبنوة حقوقها

ما أعظم موقع الأبناء في حياة الآباء والأمهات.. إن البنوة هي الروح الثانية للإنسان، هي العضد المساند للآباء.. هي الشعور باستمرارية الحياة.

ها هو زكريا عليه السلام يدعو الله ألا يحرمه من الأبناء، جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [مريم: ٥ - ٦].

إن مما جاء من بارع التعبير عن هذه المشاعر التي لا مثيل لها كمّاً وكيفاً كلمات سجلها الأستاذ عبدالعزيز البشري للتاريخ، قال: «وقد تعلم أن كلمة الحب تنطوي على ألوان من الحسن كثيرة، قد تقترب اقتراباً شديداً، وقد تفترق افتراقاً بعيداً، فللحياة حب، وللجمال حب وهكذا، لكن اعلم أن حب الولد غير أولئك جميعاً حب الولد غير حب الزوج، وغير حب الوالدين، وغير حب الإخوة وأبنائهم، هو حب له طعم لا تذوقه في شيء من أولئك، هو مزج من الرحمة والحنان، ومن السعادة والجمال، ومن الطرب ومن الطمأنينة والقلق، ومن الأثرة والإيثار ومن الخوف والرجاء، هو مزج من هذا كله مختلط، يموج بعضه في بعض، فيخرج ذلك الطعم الذي لا يكون إلاّ بمجموع هذه المعاني وإن كان أظهر عناصره الرحمة،

والحنـان» ومن هذا، فإن مـن أقدس الواجبات علـى الوالدين حب أبنائهم، والحرص الدائب على سـلامتهم وتمام صـلاح أحوالهم، وحسن سلوكهم.

إن حـب البنـوة مائدة طعام كثيرة الأنواع، كل نوع فيها أشـهى وأحب وأنضج من الآخر؛ حتى إنك لا تريد الانقطاع عن هذا الطعام أو ذلك تأكل من كل الأصناف ولا تشعر بشبع أبداً.

حقيقـة نراها، ونحـن مع الأبناء وهـم حولنا، ابنـي معناه أنا «كلي» بل إنما أريد به عصـارة ما فيَّ من عطف ورحمة وأمل وشـعور بأسعد السـعادة وأجمل الجمال، ليس لحم ابني ولا دمه وعظمه إلاّ هيكلاً لكل هذا، بل ليس إلاّ رمزاً لهذه المعاني كلها معاً.

حقيقـة إنه لا يختلـف حب الوالديـن لأبنائهـم باختلافهم في الصـفات مـن الجمـال وفقـده، والنجابة والغبـاء، وحسـن الأدب وسـوء الخلق، والنشاط والكسـل، والنجاح والخيبة، وغير ذلك من الصـفات.. فالوالد لا يكاد يرى فيهم إلاّ جميلاً، أو على الأقل إنه لا يكاد يلمح عيوبهم؛ لتغاضيه عنها، وأمله في زوالها.

لكـن هناك أمور يجـب أن يقوم بها الآباء تجـاه أبنائهم؛ حتى تكون سعادتهم بهم كاملة، وحتى يقوموا بحقوق الأبناء عليهم قياماً تامّاً.

لا تطلـب من أبنائك حقوقك عليهم دون أن تؤدي أنت حقوقهم عليك، والحكمة تقول: «من أراد أن يكون أبناؤه بررة به فليساعدهم على أن يبروا به»، أي يفعل ما يحقق ذلك مع أبنائه.

وقد أمرنا الله تعالى بحسن تربية الأبناء، وأن نرعى حياتهم في كل الأحوال قال تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡ ... ﴾ [النساء: ١١].

وقال ﷺ: «**مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين.....**».

وقال ﷺ: «**أحبوا الصبيان وارحموهم، وإذا وعدتموهم فوفوا لهم**».

وقال ﷺ: «**الزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم**».

هذا.... وعلى الوالدين أن يكونوا مثالاً صالحاً وأسوة طيبة لأولادهم.

أوجب الإسلام على الوالدين الاعتناء بالأبناء من ولادتهم، بل قبل ذلك في حسن اختيار الأمهات بالزواج من المرأة الصالحة.. اعتناء بالمولود منذ اللحظة الأولى في حياته؛ فقال رسول الله ﷺ: «**من ولد له مولود فليؤذن في أذنه اليمنى بأذان الصلاة، وليُقم في أذنه اليسرى، فإنها عصمة من الشيطان**» وجاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: «يا رسول الله ما حق ابني هذا؟ قال رسول الله ﷺ: «**تحسن اسمه وأدبه، وضعه موضعاً حسناً**».

لهذا كله، فإن تعليم الطفل مبادئ الدين الإسلامي هو تعليم له كل مبادئ الأخلاق الكريمة، والسلوك القويم؛ فينشأ على الصراط المستقيم قدر ما يعطى له من سلوك وتعليم وتنشئة سليمة.

الآباء في قيم الإسلام مسؤولون مسؤولية كبرى عن الأبناء، في كل صور الحياة المادية والمعنوية.. فقد قال رسول الله ﷺ: «**اتقوا**

الله واعدلوا في أولادكم»، وقال: «**سووا بين أولادكم في العطية**»، وقال ﷺ: «**ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويعرف شرف كبيرنا**».

الأبناء هم مصدر كل السعادة للآباء، ليس هناك شيء يسبق ذلك، حتى إن الآباء ليبذلون المال والوقت، ويتعرضون للخطر أحياناً في سبيل سلامة أبنائهم وتحقيق كل ما يمكن من حياة الرفاهية لهم، والسعي لأن يكونوا في أعلى المناصب وأرفع الدرجات، وأسعد الأوقات؛ لأنهم يرونهم حياتهم.. وبهم يتحقق ما لم يستطعوا أن يحققوه هم.

آيات كثيرة في القرآن الكريم، وأحاديث كثيرة عن أشرف الخلق والمرسلين تحدد بوضوح هذه العاطفة السامية، وتضع لها معاييرها من الواجبات عليها.. والحقوق لها.. تحقيقاً لسموها، وتناسباً مع شعورها سواء في الجانب المادي أم المعنوي.

إن ديننا يأمرنا بالتعبير الصريح، والعمل الفعلي عن حب البنوة... فقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: قَبَّلَ النبي ﷺ الحسن بن علي رضي الله عنهما، وعنده الأقرع بن حابس، فقال الأقرع: إن لي عشرةً من الولد ما قبلَّت منهم أحداً، فنظر إليه رسول الله ﷺ فقال: «من لا يرحم لا يُرحم» ما أجملك يا حبيبنا، يا رسول الله، وعسى ألاّ يكون بيننا أقرع أو حابس اليوم.. فلنجد بالعواطف جوداً غامراً، ولا نحبسها.

أبناؤنا أكبادنا تمشى على الأرض

من قيمنا الرفيعة فيما يخص الأطفال وحقوقهم يجد المتأمل لها حشداً من التعاليم ودستوراً كاملاً من التربية الروحية، والنفسية والعقلية، والجسدية.

وأتذكر أحد معلمينا كان يردد قولاً علينا حين كنا صغاراً، ويطلب منا إسماعه لآبائنا وأمهاتنا:

غرس بلا إرواء ذاك ذبول … ابن بلا تهذيب سوف يميل
علّمْ بنيك الحب كل صفاته … لله، للدين الحنيف أصول
علمه أخلاق الكمال كريمة … علمه ترك السوء فهو خبول
أبناؤنا صور لنا وثمارنا … نسب إلينا حالهم وعقول
هذا ابن هذا مثله في فضله … هذا ابن هذا تائه مهبول

ثم ما أروع قصيدة الشاعر الكبير أحمد سليمان الأحمد (بدوي الجبل) التي أهديتها إلى كل حفيد من أحفادي بحكم أنها تعبر عن مشاعري تجاه أولادي وأحفادي، وكأنه عبر حقّاً عما أريده أنا قال في ثناياها معبراً عن مشاعره تجاه صغير له:

وإن ناله سقم تمنيت أنني … فداء له كنت السقيم المعذبا
ويوجز فيما يشتهي وكأنه … بإيجازه دلاً أعاد وأسهبا
كزغب القطا لو أنه راح صادياً … سكبت له عيني وقلبي ليشربا
وأوثر أن يروى ويشبع ناعماً … وأظمأ في النعمى عليه وأسغبا

إلى أن يقول ما تتمناه كل نفس، وما تسعد به كل روح:

obeikandi.com

ويا ربّ من أجل الطفولة وحدها أفض بركات السلم شرقاً ومغربا
وصن ضحكة الأطفال يا ربّ إنها إذا غردت في موحش الرمل أعشبا
ويا ربّ حبّب كل طفل فلا يرى وإن لجّ في الإعنات وجهاً مقطبا
وهيئ له في كل قلب صبابة وفي كل لقيا مرحباً ثم مرحبا

هذه تعبيرات صادقة تعبر عن تعاليم الإسلام، إذ أمرنا الله تعالى بحسن تربية الأبناء ورعاية حياتهم، وحسن محبتهم، قال ﷺ: «**أحبوا الصبيان وارحموهم، وإذا وعدتموهم فوفوا لهم**» وقالوا: «**الزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم**».

ومن فرط الاهتمام بالطفولة في ديننا أنه أوصانا بحسن اختيار الأمهات بالزواج من المرأة الصالحة.. وأن نعتني بالطفل منذ اللحظة الأولى في حياته؛ فقد ورد في الأثر: «**من ولد له مولود فليؤذّن في أذنه اليمنى بأذان الصلاة، وليُقِم في أذنه اليسري فإنها عصمة من الشيطان**»، وجاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، ما حق ابني هذا؟ قال رسول الله ﷺ: «**تحسن اسمه وأدبه وضعه موضعاً حسناً**».

عجباً اليوم لمن يهجرون أولادهم، ويتركونهم بلا رعاية ولا إنفاق، وما أطفال الشوارع الذين أصبحوا يمثلون حالات كثيرة في بعض الأوطان إلاّ من فعل الآباء الأخساء، كيف ذلك ألم يسمعوا قول الشاعر:

وإنما أولادنا بيننا أكبادنا تمشي على الأرض

نعم.. هم أكبادنا.. وما غابوا عنا إلاّ شعرنا بنقص في نفوسنا عن أحسن ما فيها حتى يعودوا إلينا.

ابني معناه أنا.. ولست أريد ب«أنا» كُليِّ، بل إنما أريد به عصارة ما فيَّ من عطفٍ ورحمة وأملٍ وشعور بأسعد السعادة وأجمل الجمال.

هذا ولدي الصغير يلعب بين يديّ، فسرعان ما أنسى سنّي، وأطرح كل همّي، بل سرعان ما أخرج عن نفسي، فلا أراني إلا وقد رددتُ طفلاً يتمثل في خلقه، فأنا الذي يلعب ويعبث حتي إذا تعرض لمكروه في بعض جريه وعبثه عدت إلى نفسي، وسارعت لكف المكروه عنه، ثم رددت من فوري لما كنت فيه.

لقد جاء عن أعظم العظماء في هذا العالم أنهم قد اتخذوا من أنفسهم مطايا لصغارهم، فأركبوهم ظهورهم، وهم لا يرون في هذا بأساً، ولا يجدون فيه حرجاً؛ وما ذلك إلاّ لأنهم عجزوا عن إرجاع أكبادهم إلى مواضعها بين ضلوعهم، سواء عليهم أو وضعوها على الصدور أو على الظهور.

ما أعظم تعاليم ديننا، فها هو رسولنا ﷺ يعلمنا نموذجاً في حب الصغار؛ فقد كان الحسن والحسين رضي الله عنهما وهما صغيران في بعض المرات يركبان على ظهره وهو ساجد، فيطيل السجود حبّاً لهما وعدم إزعاجهما بالنزول.

هذه هي قيم الرحمة والحب والمودة لكل الكائنات وفي مقدمتها أطفالنا الصغار.. أجدني مشدوداً إلى هذه القيم الرفيعة.. ليتنا نعيها جميعاً، ونعمل بها، وتكون نبراساً في حياتنا.

صلة الرحم

الرحم بين الناس بمنزلة الخيط الذي يضم الحبات المتفرقة، فيتكون منها عقد واحد له اسم واحد، ووجود واحد، وقوة واحدة، ذلك الاسم لذلك العقد هو الأسرة، ومن الأسرة يتكون المجتمع، وكلما كانت الأسرة متماسكة أفرادها، مترابطة قلوبها، متبادلة عواطفها متحدة في الشعور بحاجات أفرادها كان المجتمع كذلك متماسكاً متضامناً، مصلحة الفرد فيه من مصلحة الجماعة، ومصلحة الجماعة من مصلحة الفرد، لا يعرف الانحلال ولا التخاذل ولا التواكل، وبذلك يحيا المجتمع حياة قوية مستمدة من نفسه وشعوره الجمعي، وبحسبه ذلك عزة وسعادة.

وإذا كان الإحسان مطلوباً بين الناس عامة قياماً بحق الإنسانية المشترك ومطلوباً بين المسلمين على وجه خاص، وبين أبناء الوطن على وجه أخص قياماً بحق الأخوة الدينية، فإنه بين الأقارب والأرحام مطلوب على نحو ألزم قياماً بحق صلة الرحم التي هي محل عناية عظيمة في الوصايا الإلهية وفي الهدي النبوي الكريم ويؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٧٥].

وصلة الأرحام واجبة على المسلم قبل صلته بغيرهم من الناس؛ فالرسول الأعظم ﷺ يقول: «**والذي بعثني بالحق لا يقبل الله صدقة من رجل وعنده قرابة محتاجون لصدقته، ويصرفها إلى غيرهم، والذي نفسي بيده لا ينظر الله إليه يوم القيامة**».

كم هو عظيم هذا الموقف الذي يصوره الحديث النبوي الشريف للأرحام في قوله: «**إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم، قامت الرحم، فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: نعم... أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى، قال: فذلك لك**». ثم قال رسول الله ﷺ: «اقرؤوا إن شئتم: ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ٢٢ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ﴾ [محمد: ٢٢]».

الصلة من الوصل، والرحم من الرحمة.. والرحمة من الرحمن الرحيم.

إن الحياة قد تطورت، وسبل الاتصال قد تيسرت، وليست هناك حجة لأحد في قطع صلته بأهله وأسرته والأرحام مهما كان محل إقامتهم.. إن صلة الرحم في صورها الواجبة تحقق للإنسان سعادة شاملة، وراحة نفسية عميقة، وكيف لا يفعل الإنسان ذلك دائماً بهم وهم الزوار عند الراحات، وهم المشاركون في الأفراح وسعيد المناسبات، وهم الحاملون عنه الهمّ والحزن في الشدائد وعند الأمراض، وهم العون والعطاء عند الحاجة، وعند الأزمات.

صلة الرحم ليست بادية فقط عندما يكون الإنسان معوزاً أو عندما يكون مريضاً، بل إن وثوقها درع ضد كل الشرور، يساند أحدهم ضد كل عدوان آخر فردي أو جماعي.

ولصلة الرحم صور كثيرة مادية ومعنوية، أسرية واجتماعية تغطي كل الأوقات وتملأ كامل الحياة... فبعد صلة الرحم الأسرية

obeikandi.com

القريبة تجيء صلة الرحم العائلية من الإخوان والأعمام والأخوال، هم في رتبة الرحم بارزون مقدمون في كل مناسبة لهم حق الصلة.. ووجوب السؤال عنهم، لهم حق زيارتهم، وإهداؤهم ما أمكن، فإن عطاء صلة الأرحام بركة عظيمة.. توسع في الرزق، وتطيل في العمر، وذلك مؤكد في قول الحبيب المصطفي ﷺ: «**من أحب أن يبسط الله له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه**»، وقال ﷺ: «**أسرع الخير ثواباً البر وصلة الرحم وأسرع الشر عقوبة: البغي وقطيعة الرحم**».

ما أعظم الفوز برضا الله في الدنيا ورضاه وحسن ثوابه في الآخرة من ثمرة صلة الأرحام.. الاتصال بالأقارب واجب كلما كان هناك أمر يحتاج إلى الاطمئنان عليهم ومشاركتهم البأساء والضراء أكبر قدراً وأعظم موقفاً وثواباً من الرحمن الرحيم، وذلك لأن صلة الأرحام واجب حتمي حتى لو كان فيهم من لا يصلك، فليكن الناس جميعاً البادئين بالصلة، الواصلين من قطعهم، الجامعين للتفرقة دون نظر لمن أساء من بعض الأرحام إليهم، وها هو الحبيب المصطفى ﷺ يفصِّل لنا ذلك في الحديث الذي يتحدث عن رجل قال: يا رسول الله، إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إلىّ، وأحلم عنهم ويجهلون عليَّ، فقال: «**لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم الملّ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم، ما دمت على ذلك**»، والملّ هو الرماد الحار.

إن الواجب دينيّاً هو توثيق الصلة بالأرحام، وتجديدها إنّ كان هناك انقطاع.. وبهذا ينجو الإنسان بصلته القوية بأرحامه من عذاب الله.

وبوصل المرء لأرحامه يكون قد وصل نفسه بربه، وبقطعه لأرحامه يكون قد قطع علاقته بالله، واستحق غضب الله عليه، إن قطيعة الرحم مرتبطة بالفساد في الأرض، ولا يريد أحد من الأسوياء أن يكون مفسداً.

obeikandl.com

المال مال الله

المال في حقيقة تعاليم ديننا يجمع بين أمرين: زينة وفتنة.. زينة لمن أحسن استعماله، وقبل ذلك طريقة كسبه، وفتنة لمن ناله عن طريق غير مشروع في ابتزازه للآخرين، أو سرقته بأي صورة من صور السرقة والاستغلال، وما أكثرها!

ومما يتصل بأحكام المال تحريم الربا الذي هو أبشع صور الابتزاز للمحتاجين وذوي الضيق في حياتهم، وفي الوقت نفسه هو تجميد للحركة المالية التجارية، وركون صاحبه للدعة مكتفياً بأرباحه الباهظة من الربا.

صاحب المال في قيمنا عليه واجبات كثيرة.. في مقدمتها زكاة المال التي هي ركن ثابت من أركان الإسلام ولا يكتمل ولا يصح إسلام المرء إلا بإخراج الزكاة إذا كان عنده نصاب من المال يستحق الزكاة عنه.

وقد علمنا رسولنا ﷺ أنه لا إيمان لصاحب المال والجدة أن يبيت شبعان وجاره جائع تكافل اجتماعي رائع..

ويكون جمع المال حلالاً طيباً حين لا ظلم ولا غش فيه، لهذا حرم الله الربا والقمار والاحتكار، والنصب، والسرقة، وما أشبهها؛ لأنها كلها ظلم، وحرم التغرير، والربح الفاحش، وإخفاء العيب في السلعة، وغير ذلك من البيوع المحرمة؛ لأنها كلها غش، وتقيد قيمنا طريق الحصول على المال بألاّ يأتي عن طرق منافية للشرع والآداب تنفي عنه صفة الحلال.

obeikandi.com

المال الحلال مال الله، جعله في يد الإنسان مؤتمناً عليه؛ ليستعمله في منفعته ومنفعة الناس من حوله، وسخره ليكون خادماً مذللاً للإنسان ومن معه: ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧]، ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [النور: ٣٣].

الإنسان في قيمنا مؤتمن على المال الخاص والعام من كسبه الحلال.. فلا يجوز له أن يجور على الناس ليملأ خزانة الدولة، ولا يجور على الدولة ليملأ جيوب الناس.. بل القسط والعدل واجب، بحيث لا يظلم أحداً، ولا يأخذ أحد من المال العام دون حق.

ولا يجوز للإنسان أن يبخل على نفسه وأولاده، فيحرمهم من لوازم الحياة التي في قدرته توفيرها لهم.. ولا يجوز للمسلم أن يسرف في الإنفاق، فيبدد المال في الملذات، قال تعالى تنظيماً لذلك: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾ [الأعراف: ٣١]، وقال: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩].

ذلك لأن التبذير والترف محل نقمة الإسلام وكرهه؛ لما ينشأ عن ذلك من تفاوت بين طبقات المجتمع تفاوتاً يثير الكراهية والحقد في نفوس الذين لا يجدون سعة من المال ينفقون ويتنعمون، ولما ينشأ عن ذلك الإسراف الممقوت من فساد أخلاق المترفين، وإشاعة الفاحشة في المجتمع.

لهذا قرر الإسلام الحجر على السفيه؛ حماية للمجتمع من أضرار السفهاء، فقال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى

جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا ﴾ [النساء: ٥]، والدولة في سبيل ذلك تصون أموال الصبيان والمعوقين من الإهدار والضياع.

وللدولة حق في المال... فإذا احتاجت الدولة إلى أموال كتجهيز جيشها والإنفاق على وسائل الدفاع عن الوطن والمصالح العامة كان لها أن تأخذ من أموال الناس ما تحتاج إليه، شريطة أن ينفق في موضعه، وأن يكون على قدر الحاجة. وما تأخذه الدولة من الأغنياء والقادرين ليس قرضاً يلزم ردّه إليهم، بل هو حق للدولة؛ لأنها هي التي تقوم بتنسيق أوجه الحياة والمرافق في سائر البلاد.. عملاً على راحة الناس وتسهيل حياتهم.

وتجب الإشارة إلى ضرورة الصدق في إخراج الزكاة، وعدم الإنقاص في بيانات مقدار الأموال والأصول التي تجب فيها، فيُعدّ سارقاً من أخفى شيئاً من حقيقة ما يجب في القيام بأداء هذا الركن الإسلامي العظيم.

ويأتي الإنفاق على المشروعات العامة، وأعمال الخير التي لا ربح مقصوداً منها: كبناء المستشفيات، وملاجئ الأيتام، ودور العناية بالكبار، والمعوقين من أنبل صور استعمال المال للخير العام، وجزاء هذا المال الحلال إذا أنفق في أوجه الخير خالصة لوجه الله، فلمن فعل ذلك من الموسرين مخلصاً صادقاً أجر عظيم عند رب العالمين: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [البقرة: ٢٦١].

obeikandl.com

وهذه هي قمة الأرباح المالية في الإسلام، ليس كمثلها أرباح في أي عمل آخر.

ليت أصحاب المال من المسلمين يدركون هذه الحقائق السامية، والقيم الإيمانية الرفيعة، ولا يكدرون صفو الحياة الدنيا ونعيم الآخرة بقليل من كسب غير مشروع وإمساك لمال لا ينفع عند لقاء الله تعالى.

وفي قيمنا أنه لا فضل لغني على فقير إلا بمقدار العمل الذي يقرب صاحبه من الله.

فالجميع سواء أمام الله وأمام المجتمع المسلم في الحقوق والواجبات، وفي هذا قال أبو ماضي:

قل للغني المستعز بماله: مهلاً لقد أسرفت في الخيلاءِ
خلق الفقير أخوك من ماء وطين وخلَقت من طين وماءِ

obeikandi.com

العمل قرين الإيمان

العمل، والكدح، والجد، والمثابرة، والإتقان قيم رفيعة يحثنا إسلامنا على التحلي بها، فلا تراخي ولا إهمال ولا تسيب؛ فالمجتمع المسلم حريٌّ به أن يكون مثل خلية النحل، فكما أن كل نحلة في الخلية تقوم بعمل لتحافظ على حياتها وحياة كل من معها في الخلية كامتصاص الرحيق، أو الحراسة، أو بناء المسكن، كذلك المجتمع على كل فرد فيه أن يقوم بعمل، فهذا زارع، وذاك صانع، وغيرهما مهندس، أو معلم أو طبيب أو رجل أعمال.. وكثيرة هي المهن، والوظائف، والحرف والأعمال التي لا بد منها للمجتمع.

بل إن من التعاليم السامية في قيمنا أن المهن والحرف باختلافها فرض كفاية على المجتمع إذا قام بها البعض سقط الإثم عن الباقين، أي أن يكون لكل عمل وحرفة من يؤديها في المجتمع؛ بحيث لا يتلفت الناس، ولا يجدون من يقوم بالمهمة من بينهم؛ إذ إن حياة المجتمع في حاجة إلى تنوع الأعمال، فإن قام كلٌّ بعمله على خير وجه قوي بناء الوطن، وتقدم المجتمع، وعلا شأنه؛ وإلّا ضعف وتخاذلت صور الحياة فيه.

إن ثروة المجتمع تأتي من ثروات أفراده بكدحهم وعملهم الجاد، ولو قلّ العمل وضعف الإنتاج، وأهمل الفرد عمله أو تهاون فيه، فإن ذلك تعطيل لخير المجموع وتعويق لمسيرة التقدم فيه، وإذا كثر العاطلون ضعف الإنتاج، وانتشر الفقر وشاعت الجريمة، وتعرضت حياة المجتمع للفوضى، والاضطراب، والخطر.

وإذا كانت قيمنا تحثنا على العلم، وتشجع على الابتكار، فإن ذلك من أجل تمكين أفراد المجتمع من القيام بكامل واجبهم في عملهم الذي يتواءم وقدراتهم واستعداداتهم وأخذهم بكل جديد ونافع في أداء الأعمال التي يقومون بها.

ومن أوضح الأدلة على شرف العمل ووجوبه ما وجه به رسولنا الأعظم ﷺ: «**ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمله**» بل إنه ﷺ ضرب مثالاً للإنسان المسلم العامل الكادح، حين قال لأصحابه يوماً: «**ما بعث الله نبيّاً إلاّ رعى الغنم**، فقالوا له: وأنت يا رسول الله؟ قال: **وأنا رعيتها لأهل مكة بالقراريط**». (وتعني القراريط الأجر)، وروى جابر رضي الله عنه كنا مع النبي ﷺ نجني الكباث (على وزن سحاب ما نضج من ثمر الأراك، والأراك شجر يتخذ من عيدانه السواك) فقال ﷺ: «**عليكم بالأسود منه، فإنه أطيبه، فإني كنت أجنيه إذ كنت أرعى الغنم**».

وقد رعى نبينا ﷺ الغنم حتى بلغ الثانية عشرة من عمره، حيث أتيح له مزاولة التجارة، إذ سافر مع عمه لهذا الغرض، ثم اتَّجر في مال خديجة رضي الله عنها.

إنها أعمال شريفة تأتي بكدح كامل وعود على صاحبها برزق حلال طيب، فلا يجب أن يتأفف أحد منا من أي عمل يسند إليه أو يعيش من رزقه فيه ورزق من يعول.

ويشترط في صحة العمل وقبوله الإتقان وتمام الأداء، اقتداءً بالمأثور: «**رحم الله امرأً عمل عملاً فأتقنه**»، والإتقان وحسن

الأداء، والإخلاص فيه من خصال الإيمان التي لا يكون الرزق حلالاً إلاّ بها..

ومن القيم الرفيعة الواجبة في أداء العمل عدم التسويف فيه، واستهلاك زمن طويل في إنجاز ما يوكل إلى الإنسان، قال أحد علمائنا حاثّاً مخاطباً لأحدهم: «إياك والتسويف، فإنك بيومك ولست بغدك، فإن يكن غده لك فكن في غدٍّ، كما كنت في اليوم، وإن لم يكن لك غدّ لم تندم على ما فرطت في اليوم» وآخر من السلف الصالح قال ضمن منظومة طويلة:

ولا ترجي فعل اليوم إلى غدٍّ **لعل غداً يأتي وأنت فقيد**
فيومك إن أحسنته عاد نفعه عليك وماضي الأمس ليس يعود

ويردد أسلافنا مقولة: إن (سوف) من جند إبليس، فاحذروا سوف...

إنه إذا كان العمل الجاد المتقن واجباً في كل الأزمنة، فإننا في زمننا لا نستطيع أن نصمد، ونواجه التحديات المعاصرة ومنافسة الأمم الراقية المتقدمة إلاّ بالعمل الدؤوب الذي يرفعنا إلى مستواهم.

إنه لا مجال للخمول والدعة، وعلى شبابنا العمل الجاد، إذ هو من صفات الأحياء فالموتى لا يعملون والعمل غنيمة، والحياة فرصة إذا مضت لا تعود وموقع كل فرد منا في مجتمعه مثل موقع الفرد في أسرته، فلا يمكن أن يرى الإنسان أفراد أسرته يعملون وهو قابع مستكين، ولنتذكر دائماً الأثر الشريف: «لئن يحتطب أحدكم ويأكل من عمل يده خير من أن يسأل الناس، أعطوه أو منعوه»، والعامل خير من العابد الناسك القابع في مسجده؛ فالعمل في عقيدتنا عبادة.

obeikandl.com

إن سلسلة أحاديثي عن القيم الرفيعة كما هي في تعاليم ديننا يعود إلى ما يلحظه الناس من تهاون بعضهم في التمسك بها، والتحلي بآدابها، والالتزام بشروطها وتطبيق ما جاء فيها في سائر أوجه حياتنا، وأجزم أنه بالتحلي بهذه القيم يعيش مجتمعنا في رغد وسلام، وازدهار، ومنافسة شريفة للأمم الأخرى.

obeikandl.com

وأخيراً..

سمو قيمنا فوق كل ما جاءت به القوانين

مـن الحقائق التي لا يماري فيها كل سـليم تلـك الحقيقة التي تؤكد أن القيم التي جاء بها الإسلام هي قيم ثابتة وسامية، صالحة لـكل زمان ومكان.. لكل ألوان البشـر في كل البـلاد.. لم يثبت يوماً وجـود خلـل فيهـا، أو تناقض بين أصـولها، أو سـوء حـال عند من تمسكوا بها.

لم ولـن تتغـير قيمنا السـماوية أبـداً.. بل لم يذكر في صـحيح الكتب السـماوية قبل بزوغ فجر الإسـلام يغاير ما جاء به الإسلام عنها، بل إن الإسلام جاء مكملاً لأسمى القيم والأخلاق.

من القيـم العظمى.. مـن الأخـلاق العليا.. طهارة الإنسـان، وحفاظه على جنسـه وتمسـكه بعفته ذكراً كان أم أنثى، فلكل منهما سلوك، وكرامة، ورسالة جامعة.

ما أعظم الفرق بين سمو قيمنا المنبثقة من ديننا وتلك الأعراف المنبثقة من الدساتير الوضعية.

وإني لشـديد العجـب من هؤلاء الذين يرون منطلقاً سـليماً في كل مـا يدعو لـه العلمانيون، ويمارسـونه من أفعال وسـلوكيات من منطلـق الحرية التي لا حدود لها عندهم، وهذا لا ينفي وجود بعض الممارسات عندهم التي تتفق مع قيمنا.

ولا يظنن أحد أن كل نهج وممارسة عند الآخرين من غير أهل ديننا أنه هو الصواب كله.

قيمنا الإسلامية قيم ليست قابلة للشك أو الجدل، فهي أوامر إلهية، وفي الانصياع لها صلاح لنا، وسلامة لأرواحنا وأجسادنا.

كل قيمة ندعو للتمسك بها مردّها أوامر الله التي جاءت في القرآن الكريم، أو أرشدنا إليها رسولنا الصادق الأمين.

إن بعض الآخرين من غير أهل ديننا يسندون ممارساتهم إلى مواد تنص عليها دساتيرهم وقوانينهم التي صاغوها، ثم هم بعد ذلك يختلفون فيما بينهم في تفسير بعض نصوصها وحدودها، كل يفسرها حسبما يريد، وفي حدود ما يراه محققاً لرغباته.

من ذلك مثلاً مفهوم الحرية التي فسرها ومارسها بعضهم إلى حد يخرج بها عن المألوف والمقبول المستساغ، ويخالف كل ذوق إنساني، وأدب أخلاقي، ومن فظيع الأمثلة على ذلك أن خرجت إحدى المعلمات الجامعيات في إحدى الدول الغربية على طلابها عارية إلا من قطعة قماش صغيرة لا تستر حتى عورتها، اضطرت هي لوضعها تنفيذاً لمادة في قانون الحريات تنص على أن الإنسان لا بد أن يضع شيئاً من القماش أو غيره على جزء من جسمه دون تحديد هذا الجزء، ولا حجم هذا الشيء، ولو خرج إنسان عارياً إلاّ من جورب في قدميه لأصبح بهذا ملتزماً بالقانون، ولا يؤاخذه أحد على ذلك، وما جاءت به هذه المعلمة العارية كان قصداً منها إثبات المعنى الواسع لمفهوم الحرية عندهم.

ولقد حفزني إلى هذا الحديث معكم متابعتي لجدل طويل وحاد في إحدى بلاد الغرب حول معاملة الشواذ من الذكور والإناث الذين يرتبطون بمثليهم «ذكر مع ذكر وأنثى مع أنثى» إذ سبق لبرلمان تلك المقاطعة منذ سنوات عدة أن شرع للمثليين ومنحهما المزايا الممنوحة للزوجين العاديين، من حيث احتساب الضرائب وغيرها وسمح لهما بإقامة حفلات زفاف وعرس زواج، ولهذا كانوا بهذا يخرجون على الملأ متعانقين، يقبل أحدهما الآخر، أو تقبل إحداهما الأخرى، وتحتضنها في شغف وإثارة.

وبعد استمرار ممارسة بنود هذا القانون تقدم جمع من المواطنين هناك باقتراح بطرح هذا القانون الذي استمرت ممارسته سنوات في استفتاء عام على أهل تلك المقاطعة، وهل يستمر العمل به أم يوقف، ثم سبقت الاستفتاء حملات دعائية لمؤيدي هذا القانون، وأخرى ضده، وجاءت نتيجة الاستفتاء بأكثرية ترى وقف العمل به، فكان هذا مفرحاً لمن يرون فساد هذا القانون، ومحزناً لمن يرون أنه قانون لا غبار عليه، ويجب الاستمرار في العمل به، وطعنوا في قانونية الاستفتاء، فعرض الطعن على محكمة دستورية لتقرر هل رفض الأغلبية من الناخبين لهذا القانون دستورية أم مخالفة للدستور.

ويا للعجب! خرج قرار قاضي المحكمة بأنه لا حَقَّ للأغلبية التي صوتت ضد هذا القانون أن يعترضوا؛ لأن الدستور ينص في أبرز مواده على حرية الأشخاص في آن يختاروا نهجهم في الحياة، وأن على الدولة أن تحمي وتحترم رغبات الناس مهما كانت توجهاتهم.

واستمعوا إلى ما هو أشنع في هذه القضية من وجهة نظري وهو أن القاضي نفسه شاذ جنسيّاً ومعروف عنه ذلك ومشهور به وهو معترِف به.

انظروا إلى هذه السلوكيات المختلة، قاضٍ شاذ جنسيّاً، ويعرف عنه ذلك قبل تعيينه، لكن ذلك في نظامهم قضية شخصية لا تؤثر في الشخص ما دام مؤهلاً علميّاً لتلك الوظيفة، وجاء في حيثيات قرار ذلك القاضي أن الزواج قد عُرِّف (بأنه ارتباط بين شخصين ومعاشرتهما لبعضهما، وسكناهما في منزل واحد) ولم يحدد القانون نوع الشخصين.

هذه سلوكيات بعض الشعوب!! وتلك قيمنا العليا السامية السماوية، فتمسكوا بها وركزوا عليها في الخطب، والوعظ، والدروس، والحوار مع الآخرين من غير ديننا.

ولنتذكر جميعاً أن التربويين يقررون أن (أفضل وسيلة لتشرّب المتعلم ما نُعَلمه إياه يكمن في ممارستنا لما نَعلمه له).

اللهَ.. اللهَ أن يخترق أحد أسوار قيمنا، أو يغري بخادع حيله صغار أبنائنا.

obeikandl.com

obeikandl.com

الخاتمة

خير ما أختتم به هذه الأفكار، والأحاديث عن القيم الإسلامية السامية التي أدعو ألاّ تذبل.. هو هذه الكلمة الحكيمة للإمام ابن تيمية قال رحمه الله: «إن الإسلام يدور كله حول أمرين: الإخلاص للحق، ورحمة الخلق» وقد علَّق على هذا القول الشيخ صالح الحصيّن في أحد لقاءاتنا، قائلاً: ألا ترى أن هذا المعنى يجب ألاّ يغيب أي لحظة عن وعي أي عامل في أي مجال من مجالات الحياة العامة.

ولقد تأملت في كلام شيخ الإسلام، فوجدته غاية في الحكمة؛ فحقيقة أن قوام الأمر هو الإخلاص، وأهميته غنية عن البيان، والإخلاص قد يكون لباطل أو لخطأ، فقيّده رحمه الله بالحق، وأما الرحمة فهي مطلقة لعموم الخلق.

وإني لأرى مع طول تجاربي في الحياة أن مقولة ابن تيمية قد جاءت في مكانها وأحق الناس بالعمل بموجبها هم هؤلاء الذين يتصدون للدعوة، والتربية والتعليم والآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر.

إن قيم ديننا العظيم قيم على جانب كبير من الأهمية على صعيد الفرد وصعيد المجتمع، خصوصاً في أوقاتنا المعاصرة، التي تدعو الحاجة فيها إلى مزيد من التعاون والتماسك والتحابّ.. سجلتها لأذكِّر بها نفسي وإخواني، وأنا على علم بأن هناك قيماً أخرى لا تقل أهمية عما ذكرناه تأتي منها قيم: المروءة، الوفاء،

الشهامة، وغير ذلك من سامي القيم الإسلامية الإيمانية العظيمة، التي قد يتضمنها إصدار آخر إن شاء اللّٰه.

إني شديد الإيمان بأن على المرء ألاّ يأمر بشيء إلاّ وهو يقوم به مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ [الصف: ٢].

ومع ذلك، فلا أدعي لنفسي العصمة، ولا لأخلاقي المثالية، لكن ما ذكرته في هذا الإصدار من قيم وغيرها مما لم أذكره هو نبراس وهدف أسعى للوصول إليه، فلم أفلح أحياناً، وأقصر في أحيان أخرى، لكن ما قصرت فيه أحياناً يخز ضميري، ويتحرك في ذاتي، فأعود إلى إحيائه في نفسي وعملي ما استطعت، مطمئناً إلى أن هذا هو حالي وحالك أيها القارئ الكريم.

فمعاً على الصراط المستقيم ما استطعنا. إني لأقرر أن هناك قيماً كثيرة عظيمة نحن في أشد الحاجة إلى التذكير بها، وقد تسنح لي الفرصة أن أعود إليها، وأستأنف الحديث عنها.

وكم كنت أرجو أن تكون هذه القيم هي محور أحاديث الوعاظ وخطباء المساجدوأن تكون هي لب المناهج التعليمية، خاصة في مواد التربية الإسلامية.

وليتهم أطاعوني، حينما ناديت بذلك؛ لكنهم اعترضوا جاهلين، وليت البرامج الإذاعية المسموعة والمرئية تُعطي هذه القيم ما تستحقه من العناية والوقت بدلاً من التركيز على أمور فقهية ثانوية معروفة.

وفي متابعتي لهذه البرامج في رمضان مثلاً وجدت أهل الإفتاء، والوعاظ يطيلون أحاديثهم في أمور معروفة مكررة للجميع.

من ذا الذي لا يعرف مبطلات الصيام، وفوائد التبكير بالإفطار، والتأخير في السحور، وفضل صلاة الجماعة والتراويح، وحكم زكاة الفطر، وما إليه من أمور دينية واضحة.

وفي موسم الحج وعيد الأضحى.. ما أكثر الحديث المكرر والمعروف عن مناسك الحج وسنن الإحرام ومبطلاته، وفضل صيام يوم عرفه لمن ليس حاجّاً، ووصف الأضاحي، وغير ذلك من كثير الأحاديث في هذا الشأن.

لا اعتراض لي على ذلك، فهو إعادة تذكير لمن يكون قد نسي شيئاً، أو تعريف لمن لا يعرف، لكن في هذه المواقف الكريمة التي يصغي الناس فيها إلى النصائح والتوجيهات الدينية القيمة أقول: فلنعطِ قيمنا العظمى التي تميزنا عن غيرنا حقها من الحديث والدعوة إلى التمسك بها، والتحلي بآدابها في هذه المواقف والمناسبات الجميلة فهي أجدر بذلك.

نعم، نريد أن نقدم قضايا ديننا الكبرى التي تشغل العالم اليوم؛ ليعرف كل أهل الأرض ما في ديننا من أمور عظيمة تصلح لإصلاح الكون كله، ويجدون ردّاً على كل ما ينتابهم من مزاعم يلفقها أعداء الإسلام وتشويه لقيمه الإنسانية العالية، تلك القيم التي دخل الناس بموجبها وإعجاباً بها في دين الله أفواجاً.

ديننــا هو الســلام بكل معايـير الســلام، حتى إنه سُــمي دين الإســلام وهو دين الأمن والأمان، فســمّي لذلك الإيمان واليقين في كل جوانب الدين، إن السلام والأمان هما قضية العالم اليوم، وليت العالم يعود في ذلك إلى الإسلام، فبه يتحقق الأمان.

لقد أشــرت هنا وفيما ســبق أن كتبتُ عنه من قيم عظيمة هي من مقومات عقيدتنا؛ لشـعوري بأنها يغشاها الغبش الآن عند بعض النـاسـ، فــلا يعون حقيقتها، ولا يشــعرون بقيمتها، بـل هم يجهلون كيفية التحلي بهذه القيم وسبيل أدائها.

وأقــرر أني فيمــا كتبتــه لا أعمم القــول، أو الوصــف بغير هذه القيم للناس جميعاًلكنه توجه مني أريد به أن يتحلى كل الناس بهذه القيم على حقيقتها، وأن يول ها عنايتهم عملاً، وشــرحاً، ونشراً في المجتمع، في كل الوسائل المتاحة.. ويكونوا هم قدوة لغيرهم.

obeikandl.com